النقابات تلوي ذراع رئيس الحكومة التونسية ص2

امحند العنصر

زعيم بتسع أرواح يكرّس سلطة المومياءات السياسية

ص8

علاقات حميمة في نحت مصري معاصر

ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/10/14

05 صفر 1440

السنة 41 العدد 11138

Sunday 14/10/2018

41st Year, Issue 11138

بحاح على رأس حكومة يمنية جديدة

● حزمة إجراءات للمصالحة بين المجلس الانتقالي الجنوبي وهادي

❑ **القاهرة** – كشفت مصادر سياسية لـ"العرب" عن وجود تفاهمات أولية بين المجلس الانتقالي الجنوبي والحكومة اليمنية بوساطة من دول التحالف العربي للحيلولة دون استمرار التصعيد الذي أعلن عنه المجلس في وقت سابق وكان من المتوقع أن يتم بالتزامن مع ذكرى ثورة 14 أكتوبر.

وأشارت المصادر، وهي مقربة من قيادات يمنية مقيمة بالعاصمة المصرية، إلى أن لجان وساطة محلية في عدن وجهود سياسية بذلها التحالف العربي أفضت إلى التوافق بشكل مبدئي للتوصل إلى حلول تنهي حالة التوتر المستمرة بين المجلس الانتقالي الجنوبي والحكومة اليمنية وتدفع باتجاه تركيز كافة الإمكانيات نحو إنهاء الانقلاب الحوثي.

ووفقا للمصادر تقضي تفاصيل الاتفاق بعودة خالد بحاح إلى منصبه الذي أقيل منه في أبريل 2016 كرئيس للوزراء وتشكيل حكومة جديدة بمشاركة كافة الأطراف بما في ذلك حزب المؤتمر (جناح الرئيس الراحل علي عبدالله صالح) والمجلس الانتقالي، وعودة الحكومة إلى العاصمة المؤقتة عدن لممارسة مهامها من هناك.

وقالت المصادر إن توافد أعضاء مجلس النواب اليمني إلى العاصمة السعودية الرياض يهدف إلى إضفاء طابع شرعي على التحولات التي من المفترض أن يشهدها معسكر الحكومة المعترف بها دوليا وتنتهي بموجبها حالة الخلاف والازدواج المستعصية التي تسببت خلال الفترة الماضية في إرباك أداء الحكومة وعرقلة جهود التحالف العربي لاستكمال التحرير.

وأشارت إلى أن مجلس النواب سيعقد جلسة هي الأولى من نوعها في العاصمة المؤقتة عدن في ظل مؤشرات على أن تلك الجلسة ستعقد بكامل النصاب القانوني الذي يعني تفعيل نشاط ثالث مؤسسة دستورية في جبهة الشرعية.

ويعزا اختيار بحاح كخيار وفاقي إلى كونه مقبولا عند المجلس الانتقالي الجنوبي بالرغم ما نسب إليه من تصريحات قال فيها إن المجلس غير قادر على إدارة مؤسسات الدولة في حال سيطر عليها وإن النخب السياسية والثقافية في الجنوب لم تؤيد بيانه الأخير. لكن بحاح نفى أن يكون قد صدرت عنه هكذا تصريحات.

وبالرغم من حالة التفاؤل التي تسود في الأوساط اليمنية جراء ما يمكن أن تسفر عنه عملية التحول المرتقبة، إلا أن مصادر يمنية مطلعة أكدت لـ"العرب" أن التغييرات المرتقبة في بنية الشرعية التي وصل النقاش حولها إلى مرحلة متقدمة لا يزال يتهددها وجود العديد من الأطراف المتحفظة على أي تغيير من هذا النوع وفي مقدمة هؤلاء حزب الإصلاح ودوائر مقربة من الرئيس هادي.

وتبدي هذه الدوائر رفضها لعقد أي تسوية مع المجلس الانتقالي وعودة نائب الرئيس ورئيس الوزراء السابق خالد بحاح وتفضل سيناريو الصدام بين الحكومة والانتقالي في عدن، في الوقت الذي يبدي فيه الرئيس عبدربه منصور هادي رفضا قاطعا حتى اللحظة لعودة بحاح والموافقة بشكل مبدئي على مبدأ التغيير.

ورجحت مصادر "العرب" أن يتسبب فشل هذا الاتفاق في تعقيد المشهد اليمني بصورة غير مسبوقة مع تلويح المجلس الانتقالي بحسم الصراع في عدن وإنهاء وجود الحكومة، مع تصاعد دعوات باتت تطلقها قوى في معسكر الحكومة وفي مقدمتها حزب الإصلاح للردّ على هذه الخطوة من خلال تصعيد مماثل قد يطال التحالف العربي بشكل مباشر.

بديل توافقي

صفقة القس برانسون لن تنهي أزمات أردوغان مع واشنطن

❑ **أنقرة** – تحركت تركيا سريعا لاستغلال التهديدات الأميركية للسعودية وقال وزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو إن الرياض لم تبد حتى الآن تعاونا في التحقيق في اختفاء الصحافي السعودي جمال خاشقجي في قنصليتها بإسطنبول، ودعاها إلى إفساح المجال لدخول محققين أتراك إلى المبنى.

وقال الوزير التركي "لم نر حتى الآن تعاونا لإجراء تحقيق سلس وكشف كل الحقائق. وهذا ما نريد أن نراه".

وجاءت تصريحات جاويش أوغلو مباشرة بعد تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن قضية خاشقجي، ما يشير إلى أن أنقرة تتمادى في استرضاء واشنطن وكسب ودها من بوابة هذه القضية.

وكان ترامب قد حذر من أن واشنطن ستنزل "عقابا شديدا" في حال تأكد دور السعودية في اختفاء خاشقجي. وقال الرئيس الأميركي، حسب مقتطفات من مقابلة نشرت السبت مع شبكة سي.بي.إس، "سنعرف ماذا حدث وسيكون هناك عقاب شديد".

ومن الواضح أن الأتراك يسعون للتهدئة مع واشنطن ببيعها قضية خاشقجي من جهة، ومحاولة استرضائها بإطلاق سراح القس أندرو برانسون من جهة أخرى.

وقللت أوساط سياسية تركية من سقف النتائج التي يراهن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على أنها ستتحقق في العلاقة مع الولايات المتحدة بعد إطلاق سراح برانسون، مشيرة إلى أن صفقة القس قد تهدئ الضغوط الأميركية على أنقرة لبعض الوقت، لكن واشنطن لن تتوقف عن مطالبة الرئيس التركي بتنازلات جديدة.

وبعد وقت قصير من الإفراج رسميا عن القس برانسون، طالب وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو أنقرة بإطلاق سراح أميركيين آخرين لا تزال تعتقلهم، بالإضافة إلى أتراك موظفين في بعثات دبلوماسية أميركية بتركيا.

ورحب البيت الأبيض في بيان له بإطلاق سراح القس أندرو برانسون، لكنه ذكر بأن "واشنطن لا تزال تنتظر إطلاق سراح آخرين". وتابع البيت الأبيض "نحن لا نزال نشعر بقلق عميق تجاه الاعتقال المستمر للمواطنين الأميركيين في تركيا وحول العالم ونحث على حل جميع تلك القضايا بطريقة شفافة وعادلة".

وتطالب الولايات المتحدة تركيا بالإفراج خصوصا عن سركان غولج الذي يحمل الجنسيتين التركية والأميركية ويعمل عالما في وكالة الفضاء الأميركية "ناسا" الذي حكمت عليه محكمة تركية في فبراير بالسجن لمدة سبع سنوات ونصف السنة بتهمة الإرهاب قبل أن يتم تخفيض العقوبة في سبتمبر الماضي إلى السجن لمدة خمس سنوات.

وتعتقل أنقرة موظفين تركيّين يعملان في بعثتين دبلوماسيتين أميركيتين في تركيا، أحدهما في القنصلية الأميركية في أضنة يدعى حمزة أولوكاي وقد رفضت المحكمة، الجمعة، طلبا تقدّم به لإطلاق سراحه.

وتشير الأوساط التركية إلى أن واشنطن لن تغفر لأردوغان محاولاته في إظهار التحدي لترامب واستهداف الدور الأميركي في المنطقة بالتحالف مع روسيا وإيران.

ويعتقد مراقبون أن واشنطن ستزيد من ضغوطها لإجبار أنقرة على مراجعة خطواتها في بناء تحالف مع روسيا وإيران، وخاصة الاستمرار في صفقة صواريخ أس – 400، لافتين إلى أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تقبل لعضو من حلف الأطلسي أن يكون حليفا لروسيا ومستوردا لأسلحة متطورة منها.

وأشار المراقبون إلى أن التجاهل الأميركي لاتفاق منبج وعدم تنفيذ بنوده خاصة ما تعلق بالدوريات المشتركة هو رسالة من واشنطن إلى أنقرة بأن القرار الأخير يعود إلى الولايات المتحدة، وهو قرار تحدده استراتيجيتها في البقاء شرق سوريا لمنع التمدد الروسي والإيراني، وضمان أن يكون رأيها محددا في ضبط ملامح الحل المستقبلي في سوريا.

وما زال لغز منبج مستمرا رغم مرور ستة أشهر على خارطة الطريق التي أعلن عنها وزير الخارجية الأميركي. وفي الوقت الذي يؤكد فيه البنتاغون أن القوات التركية لن تدخل إلى المدينة، نجد أن التصريحات التركية تؤكد عكس ذلك.

وبالتزامن مع لحظة إطلاق سراح القس برانسون، سعى الرئيس التركي إلى إظهار نوع من التحدي تجاه واشنطن بسبب منبج، حين قال إنهم (الأميركيون) "وعدونا بمغادرة إرهابيي 'ي.ب.ك' منطقة منبج خلال 90 يوما ولم يوفوا بالوعد وبدورنا سنقوم باللازم".

لكن مراقبين قالوا إن هذا التصعيد الكلامي هدفه محاولة الظهور في موقع قوة لتبديد الاتهامات بعقد صفقة لإطلاق سراح برانسون، واستدرار عطف واشنطن للسماح لأنقرة بهامش من المناورة وبعض المكاسب في مقابل ذلك.

ولا يتوقع المراقبون أن يساهم إطلاق سراح برانسون في تليين مواقف جبهة الرفض لأردوغان داخل البيت الأبيض والتي يتزعمها مستشار الأمن القومي جون بولتون.

بروج مشيدة: البعد المجهول في تاريخ جمال خاشقجي يعود للأضواء

❑ **لندن** – لم يكن لورنس رايت مؤلف كتاب "بروج مشيدة: القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر" يتخيل أن شخصية أخرى من شخصيات كتابه ستصبح محل جدل سياسي ودبلوماسي كبير لا تقل عن الشخصية المحورية للكتاب، أي أسامة بن لادن.

في كتاب "بروج مشيدة" الذي تحوّل إلى مسلسل تلفزيوني بنفس الاسم ويروي حكاية هجمات القاعدة على نيويورك وواشنطن، تتسلل فقرة عن صديق لبن لادن يشاركه طموحه "في إقامة دولة إسلامية في أي مكان في العالم". الصديق هو جمال خاشقجي، العضو الفاعل في تنظيم الإخوان المسلمين والذي انتمى إلى الحركة في الوقت نفسه لانتماء بن لادن لها والتي تحوّل قسم منها على يده ويد عبدالله عزام، صديق جمال خاشقجي الآخر، إلى تنظيم القاعدة، التنظيم الأخطر في العالم.

وينقل رايت في كتابه عن خاشقجي (ص 78)، أنه وبن لادن كانا يؤمنان "بأن شيئا سيقود إلى آخر وأن العالم سيتساقط كأحجار الدومينو وسنغير مسار التاريخ". واستخدم الكاتب الوصف القرآني من سورة النساء "بروج مشيدة" للدلالة على استهداف أبراج مركز التجارة العالمي في نيويورك.

ورغم أن العالم اليوم يتابع قصة اختفاء جمال خاشقجي الصحافي والمدافع عن حقوق الإنسان في السعودية، إلا أنه يجهل إلى حد كبير تاريخه في النشاط قريبا من تنظيم القاعدة خلال حرب أفغانستان وتقديمه المجاهدين السعوديين على وجه الخصوص مركّزا على علاقته وصداقته ببن لادن.

ونشر خاشقجي في صحيفة "أراب نيوز" السعودية الصادرة في 4 مايو 1988 تحقيقا عن جولته في أفغانستان مع ناشطي القاعدة ومشاركته لهم حياتهم. ورغم أن خاشقجي كان صحافيا، إلا أن التحقيق الذي كتبه كان يتضمن صورا له وهو يرتدي ملابس المجاهدين الأفغان ويحمل قاذفة صواريخ محمولة على الكتف "آر.بي.جي". وتضمن التحقيق تصريحات وصورا لبن لادن ولعدد من قادة القاعدة المؤسسين.

وكتب خاشقجي التحقيق تحت عنوان "الشباب العربي يقاتل جنبا إلى جنب مع المجاهدين" وصف فيه عمليات أعضاء القاعدة المؤسسين في تلك المرحلة الحاسمة من الحرب الأفغانية انطلاقا من باكستان.

وقال مراقب عربي لم يشأ ذكر اسمه "إن جمال خاشقجي نسي دائما أن قتال المجاهدين العرب إلى جانب المجاهدين الأفغان لم يكن سوى في إطار لعبة رسمت سي.آي.أي إطارها من البداية إلى النهاية".

وأضاف أن "جمال خاشقجي لم يكن في أي وقت سوى رجل مخابرات بثياب صحافي. ذهب في النهاية، في حال لم يعثر عليه حيا، ضحية لعبة اختلطت فيها الصحافة بالأجهزة الأمنية لم يقدر يوما أنها يمكن أن ترتد عليه. ففي هذا النوع من الألعاب في استطاعة أي طرف خارجي دخول اللعبة متى وجد ذلك مناسبا له من أجل تصفية حسابات معينة مع جهة معينة يبدو أنها المملكة العربية السعودية هذه الأيام".

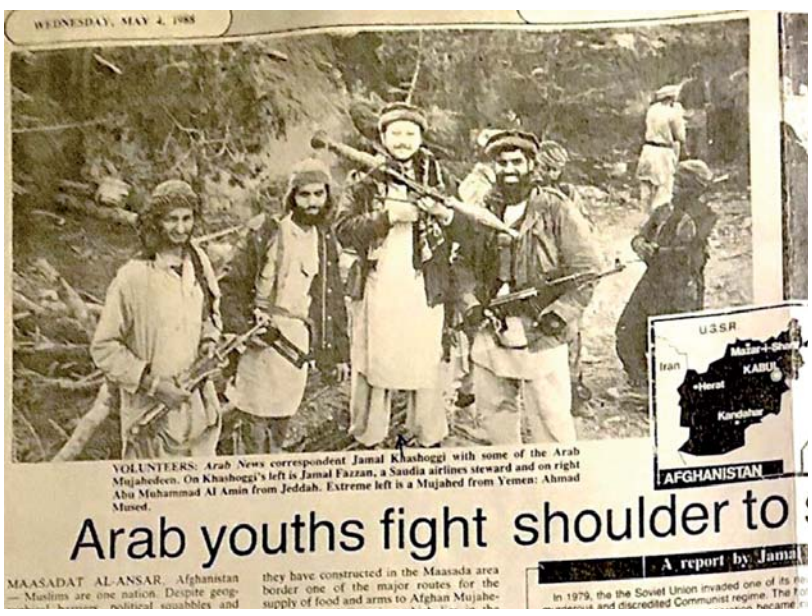

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العاهل المغربي يطرح خارطة طريق بأهداف سياسية واجتماعية

رفع الدعم العمومي للأحزاب وتحفيزها على التجديد

في خطاب اعتبره الكثير من المتابعين للشأن السياسي في المملكة المغربية خارطة طريق جديدة تهدف إلى حث الطبقة السياسية في البلاد على وجوب تنزيل كل المشاريع التنموية على أرض الواقع، حث العاهل المغربي الملك محمد السادس بمناسبة افتتاح الدورة الأولى للسنة التشريعية للبرلمان، أبناء المغرب على التعبئة الشاملة لتطوير قدرات البلاد، خاصة في ما يتعلق بالتنمية والتشغيل، علاوة على إعلانه رفع الدعم المالي المخصص للأحزاب، بما يؤكد حرص الملك وفق الملاحظين على تحفيز العمل السياسي بما له من فوائد على رأسها لعب أدوار الوساطة بين المجتمع والسلطة.

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – جاء خطاب العاهل المغربي الملك محمد السادس في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية العاشرة، مساء الجمعة، محملا بمبادرات واقتراحات على مستويات اجتماعية وسياسية للرفع من مستوى أداء الحكومة والهيئات السياسية، وقد دعا بالمناسبة إلى الرفع من الدعم العمومي للأحزاب المغربية، مع تخصيص جزء منه لفائدة الكفاءات التي توظفها في مجالات التفكير والتحليل والابتكار.

كما أكد ملك المغرب حرصه على مواكبة الهيئات السياسية وتحفيزها على تجديد أساليب عملها، بما يساهم في الرفع من مستوى الأداء الحزبي، ومن جودة التشريعات والسياسات العمومية.

وتأتي هذه المبادرة الملكية في ظل ما تعرفه الساحة الحزبية من ترهل سياسي

مصطفى الخلفي:
خطاب الملك محمد السادس يكرس منح الأولوية لقضايا الشباب وجعل المؤسسات السياسية تتحمل مسؤوليتها

وعدم مواكبة لاحتياجات المواطنين اجتماعيا وسياسيا وتراجع مستوى تأطير أبناء المغرب وتحفيزهم على الاهتمام بالشأن السياسي والحزبي.

وشدد العاهل المغربي على أنه رغم اختلاف انتماءات البرلمانيين الحزبية والاجتماعية، فإن "المصلحة الوطنية واحدة، والتحديات واحدة ويبقى الأهم هو نتيجة عملكم الجماعي".

وقال مصطفى الخلفي الناطق الرسمي باسم الحكومة، إن خطاب الملك محمد السادس يكرس مسار التعبئة الوطنية الذي يمنح الأولوية لقضايا الشباب من تشغيل وتعليم، وجعل المؤسسات السياسية تتحمل مسؤوليتها في تجسيد مقتضيات هذه التعبئة على مستوى هذه الأولويات، مؤكدا أن الخطاب بما أعلن فيه من إجراءات ستجبر الحكومة على التجند من أجل ترجمتها على أرض الواقع.

وأوضح عبدالمنعم لزعر، الباحث في العلوم السياسية والقانون الدستوري لـ"العرب"، أن مضمون الخطاب الملكي جاء على مستوى بنائه ولغته ورسائله منفتحا ومتفاعلا مع أسئلة اللحظة السياسية والاجتماعية ومؤطرا بأجوبة اجتماعية ومستثمرا في رهانات ذات الطابع الاجتماعي ومحملا بمقترحات ذات الأثر والعائد الاجتماعي.

وحسب مراقبين فإن مبادرة الملك محمد السادس جاءت لإنقاذ الأحزاب عن طريق الدعم العمومي المشروط بمدى مواكبتها لما تعرفه الساحة السياسية والاجتماعية من تحولات جوهرية وما يمكنها أن تقدمه من حلول مبتكرة ترفع من أدائها أثناء تعاطيها مع القضايا الكبرى والصغرى للمجتمع.

واعتبروا أن هذه المبادرة بمثابة أوكسجين لحياة سياسية جديدة للأحزاب التي تعتبر أن الديمقراطية ضرورية لإنجاح مسار الإصلاحات التي يباشرها المغرب منذ سنوات في مجالات متعددة، خاصة أنها تأتي بعدما كشفت الاحتجاجات الاجتماعية

نفس جديد لتحديث الطبقة السياسية

التي عرفتها المملكة في السنتين الأخيرتين عن تدني مستوى التواصل بين الأحزاب والمواطنين.

وحول الأدوار الملقاة على عاتق البرلمانيين أكد العاهل المغربي في خطابه على أنهم، معارضة أو أغلبية، يتحملون مسؤولية ثقيلة ونبيلة وهي المساهمة في دينامية الإصلاح، التي تعرفها البلاد، مشيرا إلى أن "التوجهات والتدابير التي دعونا إليها، خاصة في خطابي العرش وذكرى 20 ’ثورة الملك والشعب‘، تقتضي التعبئة الشاملة، والعمل الجماعي وقيام كل واحد بدوره كاملا، في ظل احترام القناعات والاختلافات".

وأكد البرلماني وهبي عبداللطيف لـ"العرب"، أن الخطاب حمل اهتمامات كبرى خاصة بالأحزاب والنموذج التنموي ورفع النقاش الذي يتوجب أن يكون داخل البرلمان، متسائلا هل للبرلمان قدرة لتجسيد ما جاء في أولويات الخطاب الملكي ليكون في مستوى توجيهات العاهل المغربي.

من جهته، أكد عبدالمنعم لزعر لـ"العرب"، أن الخطاب الملكي حاول التأكيد على ضرورة الاستثمار في التماسك والتضامن الاجتماعيين، كسبيل للخروج من القلق الاجتماعي الذي أصبحت موجاته تؤثر في حركية الفعل والسلوك.

وأعلن الملك محمد السادس أمام البرلمانيين أنه قرر تكليف لجنة خاصة لترفع إليه مشروع النموذج التنموي الجديد بعد تجميع المساهمات والمقترحات وترتيبها وهيكلتها وبلورة خلاصاتها، في إطار منظور استراتيجي شامل ومندمج؛ في غضون الثلاثة أشهر المقبلة مع تحديد الأهداف المرسومة له.

كما أكد الملك محمد السادس، أمام أعضاء مجلسي البرلمان، على أن الخدمة العسكرية تقوي روح الانتماء إلى الوطن، كما تمكن من الحصول على تكوين وتدريب يفتحان فرص الاندماج المهني والاجتماعي أمام المجندين الذين يبرزون مؤهلاتهم، وروح المسؤولية والالتزام، وأن جميع المغاربة معنيون، دون استثناء، بأداء الخدمة العسكرية.

وقال الباحث السياسي هشام معتضد لـ"العرب"، إن إدراج قانون الخدمة العسكرية في خطاب افتتاح السنة التشريعية هو إشارة سياسية ذات أهمية بالغة إلى جميع المنخرطين في الحقل التشريعي لإعطاء هذا المشروع المكانة الأخلاقية والمجتمعية، التي تتماشى وتطلعات هيئات المجتمع المغربي بكل مكوناته وأطيافه السياسية".

وحول مبدأ المساواة في أداء الخدمة العسكرية، أكد الباحث المغربي أنه يأتي من باب الإنصاف الاجتماعي والعدالة القانونية، وخاصة لطمأنة فئات مجتمعية أبدت تخوفها من قانون الخدمة العسكرية.

اتحاد الشغل يلوي ذراع الحكومة التونسية

وسام حمدي

❏ **تونس** – التقى رئيس الحكومة التونسية يوسف الشاهد بأمين عام اتحاد الشغل نورالدين الطبوبي وتبادلا وجهات النظر بشأن كل النقاط والمطالب النقابية الواردة في برقية التنبيه بالإضراب العام في مؤسسات القطاع والمقرر تنفيذه على مرحلتين يوم 24 أكتوبر الجاري في ما يخص القطاع العام وإضراب عام آخر يوم 22 نوفمبر القادم في قطاع الوظيفة العمومية.

وعقب اللقاء، أكد بيان صادر عن المنظمة النقابية أن رئيس الحكومة دعا خلال الاجتماع إلى وجوب ترك جلسات التفاوض مفتوحة للمزيد من التواصل وتعميق التشاور بين مختلف الأطراف المعنية، وذلك قصد إيجاد الحلول الملائمة لتجنّب تنفيذ الإضراب العام.

وتأتي هذه المشاورات بين الطرفين الحكومي والنقابي، بعد أن أصدر اتحاد الشغل منذ أيام برقية بالإضراب في القطاع العام الذي ينوي تنفيذه كامل يوم الأربعاء 24 أكتوبر الجاري، مؤكدا أن قرار الإضراب المتخذ من قبل الهيئة الإدارية للقطاع العام يأتي بسبب "تعثر المفاوضات الاجتماعية في القطاع العام نتيجة عدم جدّية الوفد الحكومي في الحرص على إيجاد الحلول الملائمة للتوصل إلى اتفاق بخصوص ترميم ما تدهور من المقدرة الشرائية للأجراء العاملين في المؤسسات والمنشآت العمومية".

ويؤكد اتحاد الشغل أن الإضراب تقرر بسبب "حزمة الإجراءات المتخذة من جانب واحد" من قبل الحكومة الساعية لخوصصة المؤسسات كليّا أو جزئيا رغم وجود اتفاق بين الحكومة والاتحاد حول إصلاحها، بحسب ما جاء في نص برقية التنبيه بالإضراب في القطاع العام الموجهة لمختلف الوزارات والهياكل المعنية.

ورغم أن بيان اتحاد الشغل التوضيحي للقاء الطبوبي بالشاهد جاء مقتضبا، فيما لم تفسر الحكومة عما تم الاتفاق بشأنه، إلا أن العديد من المراقبين اعتبروا أن الجلسة باءت بالفشل ولم ينتج عنها حدوث أي تقارب بين تصورات الطرفين النقابي والحكومي.

ويستدل العديد من المتابعين للشأن النقابي في تونس بمواصلة قيادات الاتحاد وفي مقدمتهم أعضاء المكتب التنفيذي الإشراف على اجتماعات تعبئة وتحشيد لمنظوري الاتحاد بتعلة أنه لا وجود لأي حلحلة للمسائل الخلافية العالقة بين الحكومة ومنظمة العمال.

وفي إطار تواصل تحركات الحشد النقابي، أعلن اتحاد الشغل بعد يوم فقط بعد لقاء أمينه العام الطبوبي برئيس الحكومة يوسف الشاهد عن انعقاد ثلاث هيئات إدارية جهوية السبت بكل من محافظات قابس (جنوب البلاد) والكاف (شمال شرق البلاد)، وقبلي (جنوب غرب البلاد) لتأطير وهيكلة أنصاره قبل تنفيذ الإضراب العام.

وقال عبدالكريم جراد، الأمين العام المساعد لاتحاد الشغل، إن مواصلة قيادة الاتحاد حشد منظوري المنظمة للاستعداد لخوض الإضراب العام، لا تعبّر صراحة عن عدم حصول أي تقدم عقب اجتماع رئيس الحكومة والأمين العام لاتحاد الشغل.

وشدّد في تصريح لـ"العرب" على أن ترك جلسات المفاوضات بين الطرفين مفتوحة يعني في مفاهيم العمل النقابي أن هناك العديد من الفرص للتفاهم والتوافق على العديد من النقاط والمطالب التي يعتبرها اتحاد الشغل خطوطا حمراء لا يمكن المساس بها.

وأضاف "اتحاد الشغل لا يرغب في تنفيذ إضراب عام لغاية الاستعراض أو إظهار آلته البشرية المنتشرة في مختلف محافظات البلاد. المنظمة الآن قامت بما يجب فعله بمنحها رئيس الحكومة يوسف الشاهد ’البندقية وغصن الزيتون‘".

وتابع "إذا كفت الحكومة عن سياسات المماطلة التي تنتهجها، فلن تجد من اتحاد الشغل سوى السلم الاجتماعي، أما إذا قررت مواصلة الهروب إلى الأمام، فإن للمنظمة النقابية بندقية اسمها هياكلها ومنخرطوها القادرون على اتخاذ كافة الأشكال النضالية للدفاع عن أنفسهم وعن قطاعهم العام".

اتحاد الشغل يعود إلى المربع النقابي

وشدّد جراد على أن أهم شروط الاتحاد لإلغاء الإضراب "عقد جلسات جديدة مع الحكومة والتوصل خلالها إلى اتفاقات ترضي الطرف النقابي وتستجيب لمطالبه المتمثلة في الزيادة في أجور القطاع العام وتحسين القدرة الشرائية للمواطن ومقاومة سياسة الاحتكار والتهريب".

وأكد أيضا على وجوب تراجع الحكومة، الخاضعة لإملاءات صندوق النقد الدولي وفق تعبيره، عن التفكير في التفريط في أي من المؤسسات العمومية للقطاع الخاص.

وعلى عكس توجهات اتحاد الشغل، يربط العديد من المراقبين تصعيد المنظمة النقابية بتطورات المشهد السياسي خاصة بعد أن عجزت منظمة العمال التي تطالب منذ مطلع عام 2018 بإسقاط الحكومة الشاهد الذي تمكن من قلب المعادلة وتحصين نفسه بحزام سياسي جديد قوامه الاستقواء بالكتلتين البرلمانيتين لحركة النهضة الإسلامية وكتلة الائتلاف الوطني التي تم تشكيلها حديثا والمتهمة بالنطق باسم رئيس يوسف الشاهد.

وفنّد عبدالكريم جراد ربط تحركات المنظمة النقابية بما يعتبره كثيرون أن القضية تحوّلت إلى خصومة شخصية بين اتحاد الشغل والحكومة أو بين نورالدين الطبوبي ويوسف الشاهد.

وشدّد على أن اتحاد الشغل لا يخضع لمثل هذه الحسابات الضيقة وأن مصلحته الوحيدة هي الوطن عبر حماية الأجراء والموظفين بالقطاع العام من الإجراءات الحكومية المجحفة بحقهم والتي أدت إلى تقهقر أوضاعهم الاجتماعية في ظل وضع اقتصادي صعب زاد في حدة تأزمه ارتفاع التضخم بنسب كبرى وغير مسبوقة.

وفي المقابل، يرجّح العديد من المتابعين أن تكون للإضراب العام في الوظيفة العمومية، إن تم تنفيذه، تداعيات كبرى على مستقبل البلاد التي تعيش أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية متراكمة خاصة خلال نهاية العام الجاري، حيث تستعد الحكومة لمناقشة قانون الموازنة المالية بعد أن أحاطت نفسها بحزام برلماني يمكنها من تمرير أي مشروع قانون بأريحية تامة.

48 مليار دولار خسائر المعارك الليبية

❏ **طرابلس** – كشف محافظ المصرف المركزي الليبي الصديق الكبير، عن تراجع العائدات المالية للحكومة إلى 4.6 مليار دولار في العام 2016 من 53.2 مليار دولار في العام 2012 بسبب انهيار الإنتاج النفطي منذ العام 2013.

وأرجع الأسباب إلى اندلاع معارك مسلحة لأسباب سياسية وتوقف العمل في المنشآت النفطية، وما أعقبه من انخفاض حاد في أسعار النفط عالميا في العام 2014.

وقال الكبير لمجلة "جلوبال فاينانس الأميركية، إن هذا يعني خسارة ليبيا ما قيمته 48.6 مليار دولار خلال تلك السنوات، بسبب الصراعات السياسية.

وأضاف أن التحديات الأساسية التي تواجه ليبيا في الوقت الراهن أسبابها الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية التي شهدتها البلاد منذ العام 2011.وتابع ، أن تلك الظروف تسببت في تقلب الاقتصاد وتضخيم العيوب الهيكلية القائمة، وخلقت حالة من عدم اليقين حول السياسات النقدية.

وعن الصدمات المتكررة التي ضربت القطاع النفطي في ليبيا، قال الصديق إن ذلك تسبب في عجز ميزان المدفوعات بين العامين 2014 و2017، ما وضع ضغطا هائلا على الاحتياطات النقدية الأجنبية لليبيا وعلى سعر صرف العملة الثابت.

ورغم استئناف الإنتاج النفطي في العام 2017 وزيادة العائدات المالية، إلا أن الكبير أعرب عن تخوفه من استمرار حالة عدم اليقين المحيطة بالوضع الأمني في ليبيا والسياسات المالية، وهو ما يظل عقبة أمام تعافي الاقتصاد.

وقال "إن من القضايا المثيرة للقلق تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر ليبيا وانتعاش شبكات التهريب بين ليبيا وجيرانها".

وذكر أن ليبيا تملك ثروات هيدروكربونية كبيرة لم يتم استثمارها بعد، إلى جانب قربها من أسواق النفط والغاز العالمية، ما يجعلها قادرة على جذب الكثير من رؤوس الأموال والخبرات الأجنبية، مشيرا إلى أن عمليات إعادة الإعمار بعد انتهاء الصراع ستجعل ليبيا مصدر جذب رئيسيا للشركات الدولية.

السعودية تنفي الاتهامات الموجهة لها بشأن قضية خاشقجي

الحملة الإعلامية تفشل في تأجيل مؤتمر دولي عن الاستثمار في الرياض

استنكرت السعودية تقارير إعلامية قالت إنها لا تستند إلى مصادر مؤكدة أو تفاصيل جنائية، لكن تزعم بوجود أوامر من السلطات بقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، وأكدت أنها مجرد أكاذيب ومزاعم لا أساس لها من الصحة التي يريد خصومها استغلالها لاستهدافها بشكل مباشر.

استغلال قضية خاشقجي لاستهداف السعودية

❑ **دبي** – نفت السعودية السبت ما قالت إنها معلومات تداولتها تقارير إعلامية منسوبة إلى مصادر غير مؤكدة تدّعي أن السعودية أصدرت أوامر بقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي المختفي منذ مطلع الشهر الجاري، منددة بـ"أكاذيب ومزاعم لا أساس لها من الصحة".

وأظهرت السلطات السعودية استعدادا للتعاون مع السلطات التركية منذ اليوم الأول لحادثة الاختفاء حيث يزور وفد سعودي تركيا لإجراء محادثات حول هذه القضية، والتي من شأنها أن تهدّد العلاقات الهشة بين البلدين.

وأعلن وزير الداخلية السعودي الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف، بحسب ما نقلت عنه وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس" فجر السبت، أنّ "ما تمّ تداوله بوجود أوامر بقتله (خاشقجي) هي أكاذيب ومزاعم لا أساس لها من الصحة تجاه حكومة المملكة المتمسّكة بثوابتها وتقاليدها والمراعية للأنظمة والأعراف والمواثيق الدولية".

وأعرب الوزير السعودي عن "شجب المملكة واستنكارها لما يتم تداوله في بعض وسائل الإعلام من اتهامات زائفة وتهجّم على المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا على خلفية قضية اختفاء المواطن السعودي جمال خاشقجي".

> السعودية تنفي ما يتم تداوله في بعض وسائل الإعلام من اتهامات وتستنكر التهجم على المملكة على خلفية قضية اختفاء خاشقجي

ونقلت "واس" عن الوزير السعودي قوله "حرص المملكة التّام على مصلحة مواطنيها في الداخل والخارج وحرصها بشكل خاص على تبيان الحقيقة كاملة في موضوع اختفاء المواطن جمال خاشقجي". وتزعم تقارير إعلامية أن الصحافي السعودي فقد أثره بعد دخوله قنصلية بلاده في إسطنبول في الثاني من أكتوبر الحالي لإتمام معاملات إدارية استعدادا لزواجه من خطيبته التركية خديجة جنكيز. وبعد أربعة أيام قال مسؤولون أتراك لوسائل إعلام محلية إنه قتل داخل مبنى القنصلية. وأوفدت السعودية فريق عمل إلى تركيا سيجري محادثات مع مسؤولين أتراك في نهاية الأسبوع في أنقرة بحسب ما أورد الإعلام التركي الرسمي.

ونوّه وزير الداخلية السعودي السبت بـ"التعاون مع الأشقاء في تركيا من خلال لجنة التحقيق المشتركة وغيرها من القنوات الرسمية"، مشدّدا بحسب وكالة واس على "دور وسائل الإعلام في نقل الحقائق وعدم التأثير على مسارات التحقيق والإجراءات العدلية".

وكانت وكالة الأنباء السعودية نقلت الجمعة عن مصدر سعودي مسؤول أنه يرحب بـ"تجاوب" تركيا مع طلب السعودية "تشكيل فريق عمل مشترك يجمع المختصين في البلدين الشقيقين للكشف عن ملابسات اختفاء المواطن السعودي جمال خاشقجي".

لكن قطر تحاول عبر وسائلها الإعلامية استغلال قضية اختفاء خاشقجي لاستهداف السعودية وتشويه صورة المملكة أمام حلفائها، خاصة بعد تنامي دور السعودية على المستوى الإقليمي بسبب انخراطها في الحرب ضد الإرهاب، واصطفافها مع الولايات المتحدة لتطويق خطر الميليشيات الإيرانية على أمن المنطقة.

ووجدت الدوحة في قضية اختفاء خاشقجي الفرصة سانحة للانتقام من المقاطعة الخليجية لها بإرباك السعودية على مستوى دبلوماسي.

وتأتي تطورات هذه القضية فيما تنظم الرياض مؤتمرا اقتصاديا كبيرا تحت عنوان "مبادرة مستقبل الاستثمار" للعام 2018 من 23 إلى 25 أكتوبر الجاري وأطلقت عليه تسمية "دافوس في الصحراء" تيمنا بالمنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس.

ولم يفلح الضغط الذي تمارسه وسائل إعلام غربية ومنظمات حقوقية في وقف المؤتمر أو تأجيله رغم أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب أعرب عن انزعاج بلاده من قضية اختفاء خاشقجي خلال مقابلة مع شبكة "سي.بي.إس" التلفزيونية الأميركية، السبت، معتبرا أن الرياض يمكن أن تكون وراء اختفاء خاشقجي في إسطنبول، وهدّدها إذا صح ذلك بـ"عقاب قاس". وقال "سنعرف ماذا حدث وسيكون هناك عقاب شديد". إلا أنه شدد على أنه "لا أحد يعلم حتى الآن من المسؤول عن الحادثة".

وأوضح ترامب أن قطع المبيعات العسكرية الأميركية للمملكة لن يكون خيارا مطروحا، وقال "لا أريد الإضرار بالوظائف". وسبق للرئيس الأميركي أن أوضح الخميس أنه لا يرى داعيا لوقف الاستثمارات السعودية في الولايات المتحدة، مشيرا إلى أن المملكة ستنقل عندئذ أموالها إلى روسيا والصين.

وردا على دعوات المقاطعة أكد وزير الخزانة الأميركي ستيف منوتشين السبت، على هامش اجتماعات صندوق النقد الدولي السنوية في بالي بإندونيسيا أنه سيحضر الاجتماع مع متابعة تطورات التحقيق، في خطوة تؤكد ثقة الجانب الأميركي في السلطات السعودية وعدم السماح لقضية مازالت ملابساتها غير واضحة بالتأثير على مسار العلاقات التاريخية بين الطرفين.

ومن جهتها، اعتبرت مديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاغارد السبت أن قضية اختفاء الصحافي السعودي "مروّعة" لكنها تعتزم الحضور إلى السعودية للمشاركة في المؤتمر.

البحرين تحذر منظماتها الأهلية من «الاشتغال بالسياسة»

❑ **المنامة** – حذرت وزارة العمل والتنمية الاجتماعية بالبحرين، السبت، وفق ما ذكرته وكالة الأنباء الرسمية، المنظمات الأهلية من الاشتغال بالسياسة، قبيل أيام من انطلاق الحملات الانتخابية النيابية والبلدية، وأكدت الوزارة أن على "جميع المنظمات الأهلية (لم تحدد عددها) بضرورة الالتزام بعدم الاشتغال بالسياسة بأي شكل، والنأي بنفسها عن الأنشطة ذات العلاقة بالحملات الانتخابية".

وقالت إنه "لا يجوز توظيف برامجها وأنشطتها لدعم مرشحي المجالس النيابية والبلدية وفق القانون". وأشارت الوزارة إلى عدم الخلط بين العمل "الاجتماعي والثقافي والخيري" و"العمل السياسي".

وأضافت الوزارة "أنه لا يجوز استخدام أموال المنظمات الأهلية أو مبانيها أو أي من ممتلكاتها لغير الأهداف التي أنشئت من أجلها، كما لا يجوز توظيف برامجها وأنشطتها لدعم مرشحي المجالس النيابية والبلدية".

ويبلغ عدد منظمات المجتمع المدني المسجلة في البحرين حوالي 540 بحسب أرقام رسمية لعام 2013.

وتستعد البحرين لانتخابات تشريعية وبلدية، وقد أعلنت المملكة الخليجية في سبتمبر الماضي عن تنظيم الانتخابات البلدية بالتزامن مع النيابية في 24 نوفمبر المقبل بالبلاد.

وقرر الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء دعوة الناخبين إلى مقار لجان الاقتراع والفرز، لانتخاب أعضاء المجالس البلدية 24 نوفمبر المقبل، على أن تكون الإعادة مطلع ديسمبر المقبل، ووفق ما أوردته وكالة الأنباء البحرينية الرسمية وحسب القرار ذاته، يتم فتح باب الترشيح لعضوية المجالس نفسها بالبلاد بدءا من الأربعاء 17 أكتوبر الجاري ولمدة 5 أيام.

وأكد الأمير خليفة بن سلمان أن الحكومة بكافة وزاراتها وأجهزتها ستهيئ كل الإمكانات وتوفر كافة التسهيلات التي تدعم سير العملية الانتخابية بكل سهولة ويسر أمام الناخبين في أجواء تكفل الشفافية والنزاهة، مشيدا بما تحقق من مكتسبات ديمقراطية، وبالتعاون المثمر بين الحكومة والسلطة التشريعية في مختلف الفصول التشريعية السابقة".

وسيتم انطلاق عملية الاقتراع والترشح للانتخابات النيابية والبلدية في توقيت واحد بالبلاد. ووفق أرقام رسمية عام 2014 التي شهدت انتخابات مماثلة، بلغ عدد من يحق لهم التصويت نحو 349 ألفا و713 لاختيار 39 عضوا للمجلس النيابي، و29 عضوا للمجالس البلدية.

ويضم المجلس الوطني البحريني (البرلمان الوطني)، والمؤلف من مجلسي النواب والشورى، في عضويته 80 نائبا نصفهم بالانتخاب ونصفهم بالتعيين.

الأسد يصدر قانونا لتنظيم الأوقاف يحدد ولاية مفتي الجمهورية

❑ **دمشق** – أصدر الرئيس السوري بشار الأسد، وفق ما أفاد به الإعلام الرسمي الجمعة، قانونا جديدا لتنظيم الأوقاف الإسلامية يُحدد فترة ولاية مفتي الجمهورية بثلاث سنوات فقط ويمنح صلاحيات واسعة لوزير الأوقاف.

ويحل القانون الذي أصدره الأسد ثم أجرى مجلس الشعب السوري تعديلات عليه في العاشر من الشهر الحالي مكان قانون لتنظيم الأوقاف يعود إلى العام 1961. وحدد القانون الجديد مدة ولاية مفتي الجمهورية بثلاث سنوات قابلة للتمديد، على أن تتم تسميته بموجب مرسوم "بناء على مقترح وزير الأوقاف".

وكان رئيس الجمهورية هو من يعين المفتي من دون تحديد مدة ولايته. ويشغل أحمد بدرالدين حسون منصب مفتي الجمهورية منذ العام 2004.

ومنح القانون الجديد صلاحيات واسعة لوزير الأوقاف، ويعتبره "الممثل الشرعي والقانوني للأوقاف الإسلامية في سوريا"، وهو المشرف على المدارس والمعاهد الشرعية ويرأس "المجلس العلمي الفقهي" و"مجلس الأوقاف المركزي".

وفي اختصاصات الوزير، تحدث القانون عن أن الوزير هو المسؤول عن تنفيذ خطة وسياسة الدولة في ما يختص بالوزارة، وهو الرئيس الإداري الأعلى للوزارة، وله حق التوجيه للعاملين فيها والمكلفين بالعمل الديني، ويراقب ويوجه عمل الوزارة بما يكفل تحقيق الاستقرار المؤسسي، ورفع مستوى الكفاءة في التنفيذ.

وبحسب القانون يصبح وزير الأوقاف "عاقد النفقة وآمر التصفية والصرف لنفقات الوزارة، وهو الممثل الشرعي والقانوني للأوقاف الإسلامية في البلد، ويتولى الإشراف على إدارتها وتنميتها واستثمارها، والدفاع عنها، وتمثيلها أمام القضاء والغير".

ويدعو القانون الذي نشرت تفاصيله وكالة الأنباء السورية الرسمية وزارة الأوقاف بمحاربة الفكر التكفيري المتطرف بتياراته ومشاربه كافة وتجفيف منابعه لحماية البلد من مخاطر هذا الفكر للمواجهة الفكرية لكل من يحمله، كفكر تنظيم الإخوان المسلمين وما يماثلها من الحركات والتنظيمات المتطرفة.

ويحظر القانون على أئمة الجمعة والمؤذنين والمدرسين الدينيين "إثارة الفتن الطائفية"، و"استغلال المنابر لأغراض سياسية"، والانتماء إلى أحزاب سياسية محظورة أو غير مرخصة، والمشاركة في مؤتمرات في سوريا أو خارجها أو حتى مغادرة الأراضي السورية من دون الحصول على موافقة الوزير أو مفوض عنه.

وبين مهام وزارة الأوقاف الجديدة، وفق القانون، "التنسيق مع وزارتي الإعلام والثقافة للإشراف على البرامج الخاصة بالعمل الديني في وسائل الإعلام كافة، وكذلك المطبوعات الدينية".

وينص القانون على إنشاء 1355 وحدة دينية في المدن والبلدات والمناطق السورية، يدير كل وحدة المفتي الخاص بها.

لكن القانون أثار جدلا خلال الأيام الماضية ففي حين رأى فيه البعض محاولة لتنظيم الخطاب الديني و"محاربة التطرف"، اعتبر آخرون أن بمنحه صلاحيات واسعة لوزارة الأوقاف فإنه يكرس سلطة المؤسسات الدينية. وذهب آخرون إلى حد اعتبار أنه يعزز قبضة السلطات على المؤسسة الدينية في سوريا بشكل كامل.

ونقلت مواقع التواصل الاجتماعي رفض العديد من النشطاء السوريين لهذا القانون. واعتبر هؤلاء أن موافقة البرلمان عليه، من شأنه تكريس السلطة الدينية في البلد. وأبدى الكثيرون مخاوفهم من أن هذا القانون يضرّ بمدنية الدولة ويزيد من صلاحيات وزارة الأوقاف. فيما اعتبر وزير الأوقاف الحالي محمد عبدالستار السيد أن المرسوم التشريعي الناظم لعمل الوزارة لا يوسع من سلطاتها، وأن بعض أعضاء مجلس الشعب الذين عارضوا صدوره أساؤوا فهمه.

وقال وزير الأوقاف في مقابلة تلفزيونية إن القانون يأتي بعد "فوضى تشريعية" ناتجة عن قوانين قديمة. وأضاف أن "هذه أول مرة في التشريع تصدر ضوابط ومعايير للعمل الديني وشروط لتعيين الأئمة والخطباء وهذا إنجاز كبير بأن تتم مأسسة هذا العمل".

وأوضح محام سوري لفرانس برس، رافضا الكشف عن اسمه، أن القانون الجديد يمنح صلاحيات أوسع لوزير ووزارة الأوقاف على حساب مفتي الجمهورية، كما يعطيها حق التدخل "في نشاطات أخرى خارجة عن إدارتها مثل المطبوعات".

ورغم الجدل الذي أثاره القانون وافق أعضاء البرلمان السوري على تعديل مواد المرسوم التشريعي الخاص بوزارة الأوقاف.

وقال عضو المجلس إسكندر لوقا حداد، عبر صفحته في فيسبوك، الأربعاء الماضي، إنه "تم تعديل بعض مواد المرسوم التشريعي الخاص بالوزارة، وحذف بعض مواده ورفعه إلى الرئاسة ليصبح قانونا". فيما لفت عضو البرلمان نبيل صالح إلى أن المجلس النيابي فوجئ خلال جلسته الأخيرة بموافقة الحكومة على مشروع جديد لوزارة الأوقاف "يدعو في ظاهره إلى التطوير والتحديث ومكافحة الإرهاب، وفي باطنه يرسخ وزارة الأوقاف كمؤسسة مستقلة عن الحكومة، كما يضاعف سلطان وزيرها بحيث يغدو أكبر من وزارته، وهذا لا يستقيم في قوانين الإدارة الحديثة".

وأوضح صالح إن المجلس لم يكن على علم مسبق بهذا القانون، واعتبره "مخالفا لقانون العمل والقوانين المالية والرقابية في البلاد، كما أنه يخالف المبدأ الأول في الدستور السوري، الذي يقول إن المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات".

النظام يستفرد بالسلطة في جميع مؤسساتها

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

حملة أميركية غير مسبوقة ضد الصين نتائجها غير مؤكدة

● خيار اختبار القوة يكسب تأييدا داخل إدارة ترامب

● الأوروبيون لا يبدون رغبة في اللحاق بحرب ترامب التجارية

تصاعد التوتر التجاري مؤخرا مع إعلان الإدارة الأميركية فرض رسوم على ما قيمته مليارات الدولارات من السلع الصينية في مسعى لما تعتبره واشنطن ممارسة تجارية صينية غير مقبولة، لكن لصندوق النقد والمجتمع الدولي وجهة نظر أخرى، فحرب مواجهة التمدد الصيني والحفاظ على زعامة العالم، التي تخوضها الولايات المتحدة، لها تداعيات كبيرة على الاقتصاد والأمن العالميين.

❑ **واشنطن** – شنت الولايات المتحدة بقيادة الرئيس دونالد ترامب حملة مباشرة على الصين على جميع الأصعدة، لم تخض واشنطن مثلها من قبل، في وقت يحذر فيه صندوق النقد الدولي من أن هذه الحرب ستجر وراءها تداعيات على اقتصاد العالم بأسره، محذرا من أن "فسحة الفرص تضيق".

ورغم أن الرئيس الأميركي أعرب في أوقات سابقة خصوصا في بداية رئاسته، عن إعجابه بالرئيس الصيني شي جينبينغ، حيث قال "لدينا علاقات رائعة مع الصين وأنا معجب حقا بالرئيس شي"، إلا أنه في الفترة الأخيرة الماضية أشهر سلاح الحرب التجارية في وجه الصين.

بدأت طبول الحرب تدق بشكل قوي في مطلع هذا الصيف عندما عاد الرئيس الأميركي إلى التصعيد التجاري مع الصين وبدرجة غير مسبوقة تنذر بإشهار حرب تجارية بين البلدين حين هدّد بفرض رسوم مشددة جديدة على منتجات صينية مستوردة.

بعد ذلك تواصلت التهديدات، ووصلت إلى حافة الهاوية في سبتمبر الماضي حين فرض ترامب رسوما بنسبة 10 بالمئة على واردات بنحو 200 مليار دولار لكنه استثنى منتجات شركة أبل الأميركية وسلعا استهلاكية أخرى. وهدد ترامب في بيان من أنه إذا ردت الصين بإجراءات انتقامية "فسندخل فورا المرحلة الثالثة وهي فرض رسوم على واردات إضافية بقيمة 267 مليار دولار تقريبا" أي شمول جميع الصادرات الصينية إلى الولايات المتحدة.

> هناك إحساس عام في واشنطن بأن الصين واقتصادها أهم من أن يُسمح لهما بالاستمرار في انتهاك كل القواعد الدولية لا سيما وأن الرئيس الصيني شي جينبينغ يحمل بلدا مختلفا تماما إلى الساحة الدولية، مع سياسة خارجية أكثر طموحا وتوسعية بكثير

وكان لهذا البيان صدى خلال الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث سجلت في دورتها الـ73، في 25 سبتمبر الماضي مواجهات بين وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو ونظيره الصيني وانغ يي.

وقال أحد الحاضرين خلال الغداء الذي تنظمه الأمم المتحدة بين الدول الخمس الدائمة العضوية، أن بومبيو شنّ "حملة هجاء فظيعة" ضد الصين، قابلها رد بالقدر ذاته من "العنف" من وانغ يي.

اعتبرت هذه الانتقادات الشديدة خلال اجتماع تسوده اللباقة في غالب الأحيان، مؤشرا مسبقا على خطاب علني ألقاه نائب الرئيس مايك بنس في 4 أكتوبر. وتضمن الهجوم غير المسبوق بشدته اتهامات عدة منها المنافسة التجارية غير النزيهة والتوسع الدبلوماسي والعسكري ولا سيما في بحر الصين الجنوبي، والانتهاكات المكثفة للحريات العامة ولحقوق الأقليات الدينية، وصولا إلى اتهام مدهش بالتدخل في الانتخابات الأميركية من أجل التخلص من ترامب.

وقالت الباحثة في معهد العلاقات الخارجية إليزابيث إيكونومي "لم يسبق للصين أن تعرضت لحملة علنية بهذه الطريقة من قبل"، مشيرة إلى "هجوم مباشر في جميع الاتجاهات". ولفتت إلى أن هذا النهج "جديد" لأن واشنطن "باتت تطرح صراحة على الطاولة كل التحديات الصينية التي تواجهها الولايات المتحدة والدول الأوروبية".

حرب تجارية

رأى الخبير في معهد بروكينغز راين هاس المسؤول في إدارة الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما أن الإدارة الجمهورية "اختارت اتباع مسار مختلف عن الحكومات السابقة، مركزة على الضغوط العلنية على حساب الدبلوماسية".

وإلى جانب الرسوم الجمركية المشددة على الصادرات الصينية والتهديدات بفرض رسوم إضافية على المزيد من المنتجات، توعد ترامب بتدابير أخرى مثل التشديد على عمليات نقل التكنولوجيا النووية المدنية لمنع "تحويرها" من أجل "أهداف عسكرية".

ولطالما حرصت الولايات المتحدة منذ التقارب الذي باشره ريتشارد نيكسون عام 1972 مع الصين في عهد ماو تسي تونغ، على إبقاء الحوار مفتوحا على أمل أن انفتاحا اقتصاديا أكبر سيؤدي إلى المزيد من الانفتاح الدبلوماسي والسياسي. غير أن خيار اختبار القوة يكسب تأييدا متزايدا داخل الإدارة الحالية.

وقالت إليزابيث إيكونومي "هناك إحساس عام في واشنطن بأن الصين واقتصادها أهم من أن يُسح لهما بالاستمرار في انتهاك كل القواعد الدولية" لا سيما وأن الرئيس الصيني شي جينبينغ "يحمل بلدا مختلفا تماما إلى الساحة الدولية، مع سياسة خارجية أكثر طموحا وتوسعية بكثير".

وإلى الخلاف حول بحر الصين الجنوبي، ثمة خطتان صينيتان تثيران المخاوف، هما "طرق الحرير الجديدة"، المشروع العملاق القاضي بإقامة بنى تحتية لربط العملاق الآسيوي بباقي العالم، وخطة "صنع في الصين 2025" لجعل الصين رائدة على صعيد التكنولوجيا.

ما يريده ترامب

يرى الأستاذ الجامعي المستقل هوا بو مت أن الولايات المتحدة تخشى أن تنازعها الصين على زعامتها في العالم. وتعيد هذه المبارزة بين القوتين الاقتصاديتين الكبريين العلاقات الدولية عقودا إلى الخلف.

وقال هوا بو مت "ترامب يريد بوضوح خوض حرب باردة جديدة" ويستخدم من أجل ذلك كل أدوات القوة الأميركية، يسخر كل ما لديه من أجل "الفوز بسباق مئة متر، في حين أن الصين تعتزم منازعة الولايات المتحدة في الماراتون". وأضاف أن "الأوروبيين لا يبدون رغبة خاصة في اللحاق بحرب ترامب التجارية هذه لأنهم لا يعتبرون أن الصين تمثل تهديدا جوهريا لأوروبا مثل الاتحاد السوفييتي سابقا".

لكن، رغم وقع الخطوات الأميركية، تبقى فرص ترامب لتغيير الصين ضئيلة، حيث أن الوضع العالمي اليوم يختلف عن سياق الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي. كما أنه ليس من الواضح ما تريده الولايات المتحدة فعلا.

ويقول راين هاس بهذا الصدد إن "إدارة ترامب تراهن على أن نهجها سيرغم بكين على التطور، لأنها تعتقد أن الصين حريصة على "تفادي أي مواجهة". لكنه لفت إلى أن الصينيين "قلما يرون مصلحة في الرضوخ لطلبات ترامب سواء في التجارة أو في غيرها، لأن هذا لن يوجد تسوية لجذور الخصومة المتصاعدة، وهي الجهود الأميركية لاحتواء تصاعد نفوذ الصين".

وبدا ترامب في الأساس على استعداد للاكتفاء بعرض من الصين يقضي بزيادة وارداتها من البضائع الأميركية لإعادة التوازن إلى الميزان التجاري بين البلدين، وهو ما كان وعدا أساسيا في حملته الانتخابية. لكن يبدو أن أوساطه أقنعته بتبني رؤية استراتيجية أكثر، تهدف إلى حمل الصين على تبديل سلوكها، وهو ما سيكون في غاية الصعوبة، إن لم يكن مستحيلا.

غير أن هذا لا يستبعد برأي إليزابيث إيكونومي أن "يكتفي ترامب بنجاح محدود ليعلن انتصارا هائلا"، لا سيما وأنه بحاجة إلى بكين في قضية نزع سلاح كوريا الشمالية النووي. وفي هذه الحالة، فإن التوتر سيتراجع.

الصين تتوعد بالرد على واشنطن بالقدر ذاته «العنف»

يلقي هذا المد والجزر في العلاقة بين بكين وواشنطن بظلاله على الاقتصاد العالمي، حيث حذر صندوق النقد من أن المخاطر "تتزايد باستمرار وسط توترات تجارية متصاعدة ومخاوف جيوسياسية مستمرة".

وقالت المنظمة التي تضم 189 دولة إن "فسحة الفرص تضيق" داعية الأعضاء "إلى الامتناع عن التخفيض التنافسي (للعملة) واستهداف معدلات الصرف لأغراض تنافسية".

كان ترامب اتهم بكين بخفض قيمة عملتها لتخفيف أثر الرسوم التجارية الأميركية. وخالف وزير الخزانة الأميركي ستيفن منوتشين، خلال الاجتماع السنوي للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، التحذيرات المتزايدة بشأن الخلاف التجاري بين الولايات المتحدة والصين.

واعتبر أن الضغط على بكين لتبني سياسات تجارية أكثر انفتاحا سيكون مفيدا للجميع. وقال "هدفنا مع الصين واضح جدا: أن تكون لنا علاقة تجارية أكثر توازنا". وتابع "أعتقد أننا إذا ما توصلنا إلى ذلك، فسيكون الأمر جيدا للشركات الأميركية والعمال الأميركيين والأوروبيين واليابان وجميع حلفائنا الآخرين، وجيدا للصين".

لكن تصريحاته لم تلق تأييدا كبيرا من الحاضرين. وقال حاكم البنك المركزي الياباني هاروهيكو كورودا إن "النزاع التجاري سيضر بجميع الاقتصادات وليس فقط الولايات المتحدة والصين". وأضاف "هذا النزاع لن يكون جيدا لاقتصادي الولايات المتحدة والصين وكذلك لاقتصادات آسيا والعالم".

وينصب الاهتمام الآن على الأمل في عقد لقاء بين ترامب ونظيره الصيني شي جينبينغ على هامش قمة العشرين في الأرجنتين ودفن الأحقاد باتفاقية ما.

وقال منتوشين إن أي قرار لم يتخذ بعد وأن الولايات المتحدة لا تطلب، في الوقت الراهن، أي تنازلات صينية قبل أن يوافق ترامب على عقد اجتماع.

وقال للصحافيين "إنه أمر أشجعه ونجري مناقشات بشأنه (...) لكن في الوقت الحاضر، ليست هناك شروط مسبقة، والرئيس سيقرر بهذا الصدد".

مطار بيروت: واجهة دولة فاشلة

مكرم رباح
كاتب في العرب ويكلي

❑ غالبا ما يكون مطار الدولة مقياسا دقيقا لقدرتها على الإدارة والحكم وقدرة فروعها المختلفة على العمل بشكل متناسق. فالمطارات تعتبر من وجهات الدول. ويتم تحديد الانطباعات الأولى للزائرين من قاعات الوصول. وقاعات المطار بيروت تعكس عدم قدرة المنشأة والحكومة التي تديرها.

كان مطار بيروت الدولي من أحد المشاريع الرائدة لرئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري. قاد الحريري مشاريع إعادة البناء والتوسع في المنشأة مباشرة بعد أن أصبح رئيسا للوزراء في عام 1992، مع استكمال المرحلة الأولى في عام 1998.

وخلّد التاريخ اسم الحريري من خلال إطلاق اسمه على مطار بيروت، الذي أعيدت تسميته إلى "مطار بيروت – رفيق الحريري الدولي" عقب اغتياله عام 2005.

ومع ذلك، لم يكن التاريخ منصفا للمطار الذي يحمل اسم الحريري. ظهر المطار في الآونة الأخيرة في عناوين الصحف عندما اتهم رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، حزب الله باستخدام المنطقة المحيطة بالمطار كمواقع لتحويل الصواريخ، وهو ادعاء دعمه بعرض لقطات استطلاع جوية لثلاثة مواقع.

وردّ وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل، وهو حليف لحزب الله، بتنظيم رحلة ميدانية للسلك الدبلوماسي ووسائل الإعلام إلى المواقع واتهم نتنياهو بالتحريض على الحرب.

بغض النظر عن مزاعم نتنياهو، الحقيقة أنه منذ اغتيال الحريري، تدهورت البنية التحتية للبنان ومطارها. حتى أن انقطاع الخدمة أصبح أمرا شائعا، وأصبح التأخير المتكرر في مواعيد الرحلات أمرا عاديا، مما يجعل المطار كابوسا افتراضيا للآلاف الذين يُجبرون على اللجوء إليه.

خلال الأسابيع القليلة الماضية، انهار "نظام الصعود" في المطار، مما أدى إلى تعليق جميع الرحلات المغادرة وحبس المسافرين في المطار لساعات، ما أحدث فوضى عارمة تمت مشاركتها بسرعة في جميع أنحاء العالم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. كما أدى الخلاف الذي حدث بين الوكالتين الأمنيتين المكلفتين بحماية المطار في وقت لاحق إلى إغلاق نقاط التفتيش لساعات.

وبشكل نظري، تتم إدارة المطار من قبل خمس وكالات أمنية – الجمارك والأمن العام وأمن المطارات وقوى الأمن الداخلي والجيش. يتم تكليف كل منها بقطاعات معيّنة، مع تداخل بعض المهام في ما بينها. ومما يزيد الوضع تعقيدا حقيقة أن كل وكالة تعمل في خدمة الطوائف اللبنانية المختلفة، وبالتالي هناك قلق دائم من نشوب أي صراع بينها قد يتطور فجأة إلى صراع خطير وطائفي.

وتضمّن الحادث الأخير قوات الأمن الداخلي، المكلفة بفحص وتفتيش الركاب، وأمن المطارات، المكلف بالحفاظ على الأمن في جميع أنحاء المنشأة وما حولها. وكلا الهيئتين تحت سلطة وزير الداخلية نهاد مشنوق، لكن رئيس الأمن في المطار، وهو ضابط يوناني كاثوليكي في الجيش اللبناني يرفع تقاريره مباشرة إلى الرئيس اللبناني ميشيل عون، متجاهلا التسلسل القيادي الطبيعي.

وضع مرهق للبلاد والعباد

أما الضابط الذي يرأس فرقة الأمن الداخلي بالمطار، وهو سني يتبع المعسكر السياسي لرئيس الوزراء سعد الحريري، فتعامل بندية قبل ذلك مع رئيس الأمن بالمطار، مما أدى إلى زيادة المشاحنات بينهما.

ومن المؤسف أن هذا الإخفاق الأخير لم يُحسم إلا عندما تدخل المشنوق مباشرة، وقام بزيارة طارئة إلى المطار لإعادته إلى وضعه الطبيعي. لكن هذا الحادث الأخير اعتُبر ضربة إضافية لما تبقى من مظهر الدولة اللبنانية.

للأسف، لم يتخذ عون ولا الحريري أي إجراءات عقابية ضد الضابطين المعنيين أو مرؤوسيهم، مفضلين الوقوف إلى جانب رعاتهم، حتى على حساب إضعاف الدولة.

لكن الفشل الحقيقي ليس أن بوابة لبنان إلى العالم قد تحولت إلى بالوعة، أو أن الأشخاص المكلفين بصيانتها وحمايتها فشلوا في أداء وظائفهم. بل إن هذا النموذج الفاشل هو انعكاس دقيق لكامل الدولة وفروعها المختلفة.

لا يمكن لأحد أن يجادل بأن هناك أي بصيص من الأمل بالنسبة للبنانيين ودولتهم الفاشلة. إن الطريقة التي تتعامل بها النخبة اللبنانية والشعب الذي يدعمها في التعامل مع التحديات السياسية والاقتصادية وحتى البيئية، تُثبت أن حكم القانون استبدل بقانون الغابة، وهي غابة تسكنها كائنات فقدت قدرتها على اتخاذ خيارات عقلانية تنقذها.

ورقة روسيا في سوريا... ليست ورقة!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ في مثل هذه الأيّام من العام 2015، باشر سلاح الجو الروسي مشاركته المباشرة في الحرب على الشعب السوري. ففي اليوم الأخير من شهر أيلول – سبتمبر من ذلك العام، بدأت القاذفات الروسية تقلع من قاعدة حميميم قرب اللاذقية مستهدفة مواقع للتنظيمات المعادية للنظام القائم. قصفت أيضا مدارس ومستشفيات.

هناك تنظيمات تضمّ بالفعل عناصر إرهابية تنتمي إلى مجموعات دينية متطرّفة استهدفتها الطائرات الروسية، لكن السؤال هل خطورة هذه المجموعات المتطرفة تقلّ عن خطورة الميليشيات المذهبية التي ترعاها إيران في الأراضي السورية والتي تحولت بين ليلة وضحاها إلى حليف لموسكو؟

> كيف يمكن لعاقل المشاركة في حرب على شعب بكامله غير مدرك للنتائج التي يمكن أن تترتب على مثل هذه الحرب؟ الأكيد أن لروسيا حساباتها الضيقة القائمة على فكرة أن سوريا ورقة يمكن استخدامها في مقايضات مع الولايات المتحدة وأوروبا. لكن هل هناك من يريد بالفعل الدخول مع صفقة مع روسيا انطلاقا من امتلاكها الورقة السورية؟

تعود مشكلة روسيا في سوريا، منذ البداية، إلى أنّها تدعم نظاما أقلويا لا شرعية له يعتمد بالدرجة الأولى على الأجهزة الأمنية التي أثبتت غياب فعاليتها لدى اندلاع الثورة الشعبية في آذار – مارس 2011. سارعت إيران وقتذاك إلى نجدة النظام من منطلقين. الأوّل أنّه يمثل الأقلّية العلوية والثاني أن فرصة لاحت كي تلعب دورا في تغيير طبيعة التركيبة السكانية لسوريا. فوق ذلك كلّه، اكتشفت إيران فرصة لا تعوّض لتدمير المدن السورية الكبيرة التي كان حافظ الأسد يكنّ كرها كبيرا لها، مثل حلب وحمص وحماة. أمّا دمشق، فجرى تطويقها من كلّ الجهات وذلك كي تصبح معزولة عن البعد السنّي للعاصمة، أي عن المجتمع السوري وسوريا العميقة التي نسبة ستة وسبعين في المئة من سكانها من أهل السنّة الذين يعتبرون من أهل الاعتدال في أكثريتهم.

كيف يمكن لعاقل المشاركة في حرب على شعب بكامله غير مدرك للنتائج التي يمكن أن تترتب على مثل هذه الحرب؟ الأكيد أن لروسيا حساباتها الضيّقة القائمة على فكرة أن سوريا ورقة يمكن استخدامها في مقايضات مع الولايات المتحدة وأوروبا. لكن هل هناك من يريد بالفعل الدخول في صفقة مع روسيا انطلاقا من امتلاكها الورقة السورية؟

من الواضح، أقلّه إلى الآن، أن ليس في نيّة الولايات المتحدة الدخول في هذه اللعبة. ما ينطبق على أميركا، ينطبق أيضا على ألمانيا التي لا تبدو مهتمّة بأي صفقة مع روسيا بحجة أنها تمتلك الورقة السورية. الظاهر أن السيطرة الروسية على سوريا شيء وإمكان توظيف هذه السيطرة في صفقة ما تشمل أوكرانيا وغير أوكرانيا شيء آخر.

تظلّ مشكلة روسيا في سوريا من دون أفق في غياب من هو مستعد لاعتبار سوريا ورقة. في النهاية ما الذي تستطيع روسيا أن تفعله في سوريا؟ قبل كل شيء، لا تستطيع إعادة الحياة إلى نظام صار في مزبلة التاريخ منذ فترة طويلة. لم يعد لدى هذا النظام ما يفعله في هذه الأيّام سوى ابتزاز الدروز عن طريق "داعش" من أجل حملهم على إرسال شبابهم للخدمة في الجيش التابع للنظام. كيف يمكن لشيوخ الطائفة الدرزية في سوريا وللشخصيات التي تمتلك حيثية ما في أوساط الطائفة القبول بأن يدخل الشباب الدرزي في معارك مع سوريين آخرين معظمهم من أبناء الطائفة السنّية. هناك بين الدروز ما يكفي من العقلاء لمعرفة أن لا مصلحة لأبناء هذه الطائفة في الدخول في حرب على الشعب السوري. لا يعني انتصار النظام في مثل هذه الحرب شيئا في وقت تفتّت سوريا وصارت تحت وصايات عدة تتنازع أراضيها. هناك وجود أميركي شرق الفرات، وهناك وجود روسي وتركي في الشمال وعلى الساحل وفي حلب وهناك وجود إيراني في مناطق عدّة وهناك إسرائيل التي أجبرت الإيرانيين، ولو نظريا، على الابتعاد نحو مئة كيلومتر عن الجولان المحتل. ليس السؤال هل إسرائيل لاعب في سوريا؟

تزداد مشاكل روسيا في سوريا يوما بعد يوم. هذا عائد أساسا إلى أن فلاديمير بوتين لم يستطع التخلّص من عقلية زعماء الكرملين في أيّام الاتحاد السوفييتي. لم يتوقف بوتين، الذي يريد أن يعطي عن نفسه صورة الزعيم القوي القادر على استعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي، أمام المرآة ولو للحظة كي يطرح على نفسه سؤالا في غاية البساطة. ما الفائدة من التورّط عسكريا في سوريا ما دام على روسيا الاعتماد على إيران عندما يتعلق الأمر بوجود قوات على الأرض؟ الأهمّ من ذلك كله، كيف التوفيق بين إيران وإسرائيل. هل في استطاعة روسيا أن تكون مع إيران وإسرائيل في الوقت ذاته، خصوصا أنها تعلم تماما أن إيران لا تستطيع الانسحاب عسكريا من سوريا.

الواقع، أن النظام الإيراني يلعب بمصيره في سوريا. إلى جانب أزمته الداخلية المستعصية، وهي أزمة اقتصادية أوّلا عائدة إلى أنه يعتمد اليوم أكثر من أي وقت على عائدات النفط والغاز، هناك أزمة التورّط العسكري في سوريا. أي انسحاب عسكري للنظام الإيراني من سوريا، سيعني انسحابه من طهران. سيعني أيضا فقدان قدرته على متابعة فرض الوصاية على لبنان عبر أداته المسمّاة "حزب الله".

الابتعاد عن إيران أولى الخطوات للارتقاء نحو مرحلة تفكيك عقد المأزق السوري

في النهاية، هناك وجوه عدّة للتورط الروسي في سوريا. إلى جانب عدم القدرة على توفير المال لإعادة إعمار سوريا، نظرا إلى أن المال موجود عند الولايات المتحدة وعند الأوروبيين، في مقدمهم ألمانيا، ولدى الصين إلى حدّ ما، لا وجود لمن يريد شراء الورقة السورية ولا حتّى ورقة رأس النظام. أكثر من ذلك، لم تستطع روسيا أن تفعل شيئا بعد مناداتها بعودة اللاجئين السوريين إلى الداخل السوري. يحتاج البلد إلى مليارات الدولارات لإعادة الحياة إليه. لا تمتلك روسيا هذه المليارات. في انتظار غد أفضل لمشروعها السوري، تستطيع أن تفعل ما تشاء، بما في ذلك الدوران في حلقة مقفلة. لعل أفضل تعبير عن هذا الدوران في تلك الحلقة العجز عن التعاطي مع موضوع الوجود الإيراني في سوريا من جهة والسيطرة الأميركية على "سوريا المفيدة" من جهة أخرى. في "سوريا المفيدة" النفط والغاز والثروات الطبيعية، بما في ذلك الزراعة والمياه.

في غياب من يريد شراء الورقة السورية من روسيا، ما الذي ستفعله موسكو بهذه الورقة التي تحوّلت عبئا عليها؟ الجواب بكل بساطة أنّ ليس أمام روسيا سوى إعادة النظر في سياساتها السورية. كل ما في الأمر أن الولايات المتحدة شجعتها على الغرق في الرمال المتحرّكة السورية إلى أن وصلت إلى يوم وجدت فيه أن الورقة التي في يدها ليست ورقة!

تركيا، التي تعاني كل نوع من أنواع المشاكل بسبب العقلية الإخوانية التي تسيطر على رجب طيب أردوغان وتتحكم بتصرفاته وجدت نفسها في وضع أفضل منها في سوريا. وجدت تركيا قسّا تبيعه إلى الأميركيين فأفرجت عن القس أندرو برانسون مما أدّى إلى تحسن فوري لسعر عملتها الوطنية وبدء الحديث عن تعاون عسكري تركي – أميركي في مناطق سورية معيّنة...

اتفاق إدلب وفُرَص المسار الروسي للحل السوري

رانيا رضوان مصطفى
كاتبة سورية

❑ يعبّر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين خلال مراسم اعتماد 22 سفيرا روسيا، الخميس الماضي، عن رضاه التام على سير اتفاق المنطقة العازلة في إدلب، وامتدح الدّور التركي في تنفيذ جزئها الأول المتعلق بإخراج السلاح الثقيل من الشريط المتفق عليه إلى عمق 15 حتى 20 كم، بدءا بريف اللاذقية الشمالي نزولا إلى أرياف إدلب وريف حماة الشمالي ثم باتجاه ريف حلب الغربي.

لكن بوتين أيضا يعود في خطابه لطرح سلة "إعادة الإعمار وعودة المهجّرين"، مع الدعوة الصريحة للمجتمع الدولي والغرب إلى ضرورة المساهمة في ما سمّاه "المسار الإنساني"، أي تمويل "إعادة بناء الاقتصاد والبنية التحتية" في سوريا بعد تدميرهما، وعودة الأمن واللاجئين لتخفيف ضغط الهجرة على الكثير من الدول الأوروبية.

ردّ بوتين على تصريحات وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، مساء الأربعاء، حول رفض واشنطن تقديم أي مساهمة في تمويل إعادة إعمار سوريا دون خروج القوات الإيرانية والميليشيات الداعمة لها من سوريا؛ وعاد للحديث عن مخرجات مؤتمر "الحوار الوطني السوري" في سوتشي مطلع هذا العام، باعتبارها، إضافة إلى القرار الأممي 2254، أساسا لما سمّاه "مفاوضات السلام السورية".

في إدلب، أخرج السلاح الثقيل من المنطقة العازلة، وهيئة تحرير الشام موافقة على تراجع عناصرها إلى مقراتهم في عمق إدلب، ولا تواجد في الأصل للعناصر الأكثر راديكالية من حراس الدين والحزب التركستاني داخل الشريط المعني، وستبقى عناصر من "الجبهة الوطنية للتحرير" بسلاح خفيف ومتوسط، ومن الجيش التركي، فيما ستتواجد شرطة عسكرية روسية ضمن مناطق النظام.

وبالتالي الفرصة مهيّأة لاستكمال باقي بنود الاتفاق، المحدَّدة مدّتُه حتى نهاية العام الحالي، أي بأن يتم فتح الطريقين الرئيسيين: دمشق– حلب المقطوع في مناطق المعارضة من خان شيخون حتى معرة النعمان وسراقب، وطريق اللاذقية– حلب المقطوع في جسر الشغور باتجاه أريحا وسراقب؛ على أن يتم ذلك بحماية فصائل من الجيش الحر في الجبهة الوطنية للتحرير وبرعاية تركية، وفق تصريح القيادي في "فيلق الشام" أبوعمر فيلق.

استكمال اتفاق إدلب يحقّق للروس عدة مكاسب: فتح الطرق التجارية وتأمينها، وحصر المتطرفين في منطقة ضيّقة على الحدود التركية بانتظار حل نهائي لها، وتطويع الفصائل المعارضة وربطها عسكريا بالجانب التركي بشكل كلي، ما يعني رضوخ المعارضة السياسية أيضا، ممثلة بهيئة التفاوض للضغوط التركية كليا.

أما أنقرة، التي تعاني من خلافات مع واشنطن، ومن عقوبات اقتصادية أميركية، فالاتفاق يعني لها بقاء إدلب منطقة نفوذ عسكري لها، لتأمين حدودها، وتأمين عمق مناطق سيطرتها في عفرين وغصن الزيتون، خاصة أنها تبقى منطقة توترات بسبب ما حصل بها من تغيير ديموغرافي، وبسبب انتهاكات الفصائل التابعة لتركيا للسكان الأصليين.

هذا الانسجام، وتقارب المصالح الروسي التركي، لا يعني أن تركيا موافقة على الحل الروسي للأزمة السورية، بإعادة إنتاج النظام مع تعديلات غير جوهرية في بنيته؛ فتركيا المنشغلة بأمنها القومي وأزمتها الاقتصادية كأولوية، لم تتخلّ بعد عن شرط التغيير في سوريا ومشاركة المعارضة في الحكم، وإن كانت تراجعت عن تصريحاتها في هذا الشأن منذ تقاربها مع روسيا وإيران مع بدء جولات أستانة.

قرب انتهاء مرحلة الحسم العسكري في سوريا يعقد الوضع على روسيا

تركيا تلعب على الخلاف الروسي الأميركي في ما يتعلق بالتغيير في سوريا، وقد تدفع الهيئة العليا للمفاوضات إلى تلبية دعوة موسكو إليها للتشاور، دون الرضوخ للمطالب الروسية بتجميد مسار جنيف وإحياء مسار سوتشي للحل.

في الأصل الهيئة العليا للمفاوضات ليست في وضع يسمح لها بتقديم الكثير من التنازلات، خاصة مع الرفض الشعبي لها في تظاهرات إدلب الجمعة قبل الماضية؛ من هنا عليها أن تتمسك بالمسار الأممي للحل، مستغلة الضغوط الغربية على موسكو.

روسيا، بعودتها إلى مسار سوتشي للحل السوري، تصرُّ على وضع كل رهاناتها في سلّة النظام وإبقائه في الحكم، حيث عقدت معه جملة صفقات، ومعاهدة احتلال تضمن لها جني مكاسب تدخلها العسكري في سوريا منذ أواخر 2015، وهي تستمر في تقوية تواجدها العسكري على الأرض وفي البحر وفي الجو، لتدعيم موقفها.

لكن بوتين لا يصيب حين يطرح مسارا إنسانيا أمميا، أي تمويل إعادة الإعمار دوليا، يكون مترافقا مع مسار سياسي روسي، غير أممي، يبقي على النظام. هو يعلم أن إبقاء النظام بشكله الحالي دون تغييرات عميقة يعني بقاء إيران وميليشياتها، رغم أنه لا يدافع عن الوجود الإيراني، ومتضرر من منافسته في السيطرة على مراكز القرار السوري وفي عقود الاستثمار، وسمح مرارا لـ"إسرائيل" بضرب المواقع الإيرانية في سوريا.

يبدو أن موسكو تنتظر من واشنطن تقديم صفقات تضمن لها مصالحها واستثماراتها في سوريا، لذلك يبدو أنها تتمسك بالنظام وبإيران مؤخرا، بعد تعطيل الهجمات الإسرائيلية على الأجواء السورية، بتسليم النظام منظومة أس – 300، إثر حادثة إسقاط طائرة الاستطلاع التابعة لها. وهي تتقوّى بالحديث عن انتصاراتها العسكرية ودحر الإرهاب، وتضيف نجاح اتفاق إدلب إلى تلك الانتصارات.

> الحل الممكن لسوريا مرتبط بإمكانية تحقيق جملة من المصالح للدول المتدخلة؛ التعقيد هو في تشابك خلافات تلك الدول. وبالتالي ستبقى سوريا ساحة لتصفية الحسابات وتبادل أوراق الضغط. لكن المتضرّر الأكبر من استمرار هذا الوضع هو روسيا، فيما ستكون إيران أكبر الخاسرين إذا ما تلاقت المصالح على حل سياسي

الاستعجال الروسي على طرح تمويل أممي لإعادة الإعمار يشكّل عامل ضعف لروسيا، وورقة بيد واشنطن، غير المستعجلة، لممارسة الضغوط على موسكو، يضاف إليها تعزيز واشنطن لوجودها العسكري شرقي الفرات وفي منبج، بعد إعلانها البقاء في سوريا، وبالتالي إعطاء حلفائها في قوات سوريا الديمقراطية الكردية العربية دورا في الحل السياسي، وطرح فكرة اللامركزية الإدارية والاقتصادية بقوة. وبالتالي واشنطن شريك أساسي مقرر في الحل السوري، ولا يمكن تجاهل شروطه بإخراج إيران من سوريا، وتجميد النظام والعودة إلى المسار الأممي للحل.

بالمحصلة الحل الممكن لسوريا مرتبط بإمكانية تحقيق جملة من المصالح للدول المتدخلة؛ التعقيد هو في تشابك خلافات تلك الدول، وأن خلافاتها خارج سوريا أكبر وأعمق، وبالتالي ستبقى سوريا ساحة لتصفية الحسابات وتبادل أوراق الضغط. لكن المتضرّر الأكبر من استمرار هذا الوضع هو روسيا، فيما ستكون إيران أكبر الخاسرين إذا ما تلاقت المصالح على حل سياسي.

هل حان الموسم المصري لجني الثمار الروسية

القاهرة توثق علاقتها بموسكو مع الحفاظ على توجهاتها نحو واشنطن

يدير الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بعض الملفات الخارجية وفق سياسة عدم التخلي عن أصدقاء حاليين أو محتملين، وفي نفس الوقت عدم الدخول في صدام مع خصوم أو منافسين، فهو يدرك أن مرحلة البناء تتطلب تكتيل الأوراق ورفض التعويل على قوة واحدة، ويعدّ التقارب الروسي الأميركي من أبرز الأمثلة على هذه التوجهات في السياسة الخارجية المصرية.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❑ **القاهرة – يعتبر الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي من أكثر القيادات العربية براغماتية، فكلما مال ناحية دولة معيّنة، عاد سريعا وضبط الدفة مع الجهة المقابلة لها، لأن التجارب أكدت تراجع الأدبيات التي ترفع من قيمة العلاقات الجدية، وكما توجد خلافات توجد أيضا مصالح من الواجب تعظيمها مع هذا الطرف أو ذاك.**

ذكر دبلوماسي رفيع شيئا عن طبيعة التوازنات التي تقيمها مصر مع الأطراف الفاعلة في الأزمة الليبية، وقال إن القاهرة تحتفظ بعلاقات جيّدة مع كل من فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة ومبعوث الأمم المتحدة وغالبية القوى الليبية المتنافرة، من خليفة حفترة وحتى فايز السراج، ولم تسع إلى الانحياز صراحة إلى طرف على حساب آخر، ووسط التوتر بين روما وباريس تمكنت من توطيد علاقتها مع الجانبين، وأصبحت إحدى أهم الدوائر المقرّبة من واشنطن في الأزمة الليبية.

> زيارة الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إلى موسكو تؤكد عمق العلاقة مع روسيا، ولن تكون كافية لتأكيد انحياز القاهرة لها على حساب أي من القوى الأخرى، لكن تداعياتها ستكشف إلى أي مدى يمكن لمصر أن تحافظ على شعرة معاوية في توازن العلاقات مع كل من روسيا والولايات المتحدة

ما قاله الدبلوماسي يمكن أن يكون صحيحا أيضا في أزمات أخرى مثل سوريا، حيث تحتفظ القاهرة بعلاقات جيّدة مع الكثير من الأطراف المتصارعة، ما مكنها من الانفتاح على جهات متناقضة، وأتاح لها فرصة لرعاية عدد من اتفاقيات الهدن التي جرى توقيعها في مناطق مختلفة من سوريا.

ساهم التوازن النسبي في السياسة المصرية وعدم الانجرار وراء قوة أو جهة بعينها، في أن تحتفظ القاهرة بعلاقات غير متوترة، أو منضبطة إلى حد كبير، مع الدول التي كانت تحرّض عليها في وقت من الأوقات، ومن يراجع قائمة الخصوم الحقيقيين سيجد من السهولة أن تستعيد القاهرة العلاقات مع أي منهم، فهي لم تنخرط في عداوة واضحة معهم.

في خضم الخلاف مع إدارة الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، واجهت القاهرة شراسته السياسية وطاقمه الدبلوماسي بقدر من الهدوء. واستطاعت تفويت السيناريوهات القاتمة التي جرى تجهيزها من باب الدفاع عن النفس وليس من باب العداء للشعب الأميركي.

ساعد صعود الرئيس دونالد ترامب في بناء علاقة أفضل، والدخول في مرحلة متقدمة من الحوار الاستراتيجي، الأمر الذي عكسه لقاء السيسي مع ترامب، على هامش اجتماعات الأمم المتحدة في نيويورك نهاية الشهر الماضي. اعتقد البعض من المتابعين أن التطور الحاصل في العلاقات بين القاهرة وواشنطن، وأدى إلى تجاوز عثرات دقيقة سابقة، حسم خيار مصر الاستراتيجي بالابتعاد قليلا عن موسكو، في ظل بطء الشروع في تنفيذ مفاعل الضبعة على البحر المتوسط، وتعثر استئناف السياحة الروسية لمصر، على الرغم من عودة الطيران بين البلدين.

علاوة على استمرار الهواجس التي تراود موسكو بشأن الدور الإقليمي لمصر في مجال الغاز، وترى دول غربية، في مقدمتها الولايات المتحدة، أن التطورات المصرية على هذا المستوى يمكن أن تؤثر سلبا على مكانة روسيا كمصدر أساسي للغاز للعديد من الدول الأوروبية.

لكن، عندما عاد السيسي من نيويورك، وبعد لقاء مثمر للغاية مع ترامب، أعلن في القاهرة عن زيارة يقوم بها إلى موسكو في 17 أكتوبر الجاري، الأمر الذي فهمته دوائر كثيرة على أنه إعادة لمنهج التوازن الذي يتبعه الرئيس المصري، وجعله قريبا من قوى تبدو متنازعة، وهي سياسة تتبعها الدول التي تتطلع إلى إعادة بناء علاقاتها والحفاظ على مصالحها من دون الدخول في معارك جانبية تجعلها تدفع أثمانا باهظة.

يستند هذا التغيّر على التطورات اللافتة في النظامين الإقليمي والدولي، والتي تسمح بتكوين شبكات مختلفة من العلاقات مع قوى متباينة، لأن السيولة الطاغية في غالبية الصراعات تجعل كل دولة حريصة على عدم التفريط في أي من أوراق القوة والضغط، مهما كان حجمها، فقد يأتي اليوم وتصبح لها تأثيرات عميقة.

تزداد المسألة أهمية عندما تتعلق بارتفاع درجة النشاط والفعالية، فالقاهرة تدرك أن موسكو قوة لها باع في حسم بعض التوترات الحيوية اليوم، وساعدها التدخل في الأزمة السورية على تعزيز مكانتها الإقليمية، ولا تزال لها تطلعات أكبر من ذلك، في ليبيا مثلا، كما أن روسيا ترى في مصر حليفا مهمّا، حتى لو بدت على علاقة جيّدة مع الولايات المتحدة.

تتكون اللعبة التي تديرها القاهرة مع موسكو، والعكس، من مفردات معروفة، كل طرف أصبح يتفهم دوافع الآخر وعلى استعداد للتكيّف معه، بمعنى أن اقتراب مصر الزائد من الولايات المتحدة لن تكون له آثار سلبية على علاقتها بموسكو.

وترى الأخيرة أن لديها قدرة على تحقيق مزايا كبيرة بما تملكه من أوراق للضغط الضمني والصريح على القاهرة، مثل بناء مفاعل الضبعة وعودة السياحة ومصير الغاز في شرق المتوسط وإطفاء الحرائق في بعض الأزمات الإقليمية، ما جعل مصر يصعب عليها التفكير بخلاف منهجها الأصيل، والتضحية بموسكو، بل تسعى إلى تطوير العلاقات معها.

لم تكن موسكو أقل اهتماما بالقاهرة، وتدرك أن هناك قواسم مشتركة من الصعوبة خسارتها، ولعل المقال الذي كتبه سيرجي لافروف وزير الخارجية الروسي في جريدة الأهرام الحكومية، السبت، بعنوان "روسيا ومصر صداقة وتعاون عبر الزمن"، له الكثير من المعاني السياسية.

جاء نشر المقال في توقيت بالغ الأهمية، ما يؤكد أن زيارة السيسي، الأربعاء المقبل، ستكون لها نتائج إيجابية، ويمكن أن تخرج العلاقات من باب الهواجس التي سكنتها السنوات الماضية إلى باب الاستقرار الذي انتظرته طويلا.

هل يقنع بوتين السيسي بفوائد التفاح الروسي

سبقت هذا المقال علامة مهمّة صدرت من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، تشير إلى البعد الحيوي لهذه الزيارة أيضا، حيث قال، خلال زيارته إلى مزارع شركة راسفيت في إقليم ستافروبول جنوب غرب روسيا "سأستقبل قريبا الرئيس المصري، دعونا نقدم له تفاحكم"، ورد مراد غالييف، مدير الشركة بالقول "سنعطيكم كلا من التفاح والغرسة كي تقدمها لهم (للسيسي ووفده)، سنساعدكم في هذا الاتجاه".

ومعروف في مصر أن التفاح "أميركاني" ولم يسمع المصريون عن شهرة يملكها التفاح الروسي من قبل، وهي إشارة توحي "إذا كانت واشنطن تمنح القاهرة تفاحا فقط، فنحن سنمنحها أصل التفاح"، أي الغرس.

وتعهد بوتين بأنه سيقدم كل "هدايا ستافروبول" لنظيره المصري بكل سرور، فيما نصح ديمتري مدفيدف، رئيس الوزراء الروسي، بأن يطلع كذلك السعودية والإمارات على نجاحات المزارعين الروس، قائلا "الحمد لله علاقاتنا معهما حسنة للغاية".

تنطوي هذه النوعية من العبارات الرقيقة على مجموعة من المضامين السياسية العميقة، في مقدمتها أن العلاقات بين القاهرة وموسكو نضجت تماما، وحان وقت جني الثمار، والقضايا التي ظلت عالقة آن لها من وسيلة للتفاهم والحل، والاستناد إلى الأبعاد التاريخية المتينة سيكون إحدى الركائز التي تنطلق منها العلاقات خلال المرحلة المقبلة.

تؤكد إشارة ميدفيدف إلى الربط بين مصر وكل من السعودية والإمارات في مجال العلاقات الجيدة، على أن موسكو مقبلة على مرحلة جديدة مع الدول الثلاث، المعروف أنها تمتلك علاقات وثيقة مع واشنطن، ما يعزز الانفتاح الذي تقوم به هذه الدول على جهات مختلفة، ويضاعف من المكاسب المشتركة التي يمكن الحصول عليها.

يدرك السيسي أن رهن علاقاته بالإدارة الأميركية الحالية وبترامب تحديدا، سيواجه بمشكلات سياسية كبيرة، إذا أدت الضغوط التي يتعرض لها إلى أزمات مستعصية ربما تفضي إلى إقالته من منصبه، وصعود نجم الديمقراطيين مرة أخرى، وبالتالي من الضروري ألا يكون الانفتاح على واشنطن على حساب موسكو أو أي من القوى الصاعدة في أوروبا.

لذلك ستحدد نتائج زيارة السيسي عمق العلاقة مع موسكو، ولن تكون كافية لتأكيد انحياز القاهرة لها على حساب أي من القوى الأخرى، لكن تداعياتها ستكشف إلى أي مدى يمكن لمصر أن تحافظ على شعرة معاوية في توازن العلاقات مع كل من روسيا والولايات المتحدة.

خلاص تونس في تخليص ليبيا

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❑ **تتجذّر الأزمة الليبية راهنا في خيار الصراع المفتوح على جميع الجبهات بين قوى الخارج وقيادات الداخل على حد سواء. صراع بدا معلنا في مضامينه وخفيا في ملابساته بين قوى خارجية دافعة إلى تأجيل الانتخابات وقوى داخلية تأبى الإجماع على صف واحد موحد للرؤى والمواقف بما يخدم جهود التواصل إلى حل سلمي.**

هذا التحليل يجد مسوّغا له في الأخبار التي تتناقلها الصحف العالمية أبرزها "ذا الصن" التي كشفت مؤخرا عن صراع خفي بين روسيا وبريطانيا حول ليبيا، حذرت بمقتضاه الاستخبارات البريطانية من سعي روسيا لتثبيت موطئ قدم لها في ليبيا، وقالت إن موسكو نقلت جنودا وصواريخ إلى شرق البلاد لتحقيق هذا الهدف.

الواقف على ملف الأزمة الليبية يلحظ أن جملة المقاربات السياسوية الضيقة والحلول المبتورة التي قادتها وتقودها الدول الغربية (أبرزها إيطاليا وفرنسا) تعري سعيها المحموم للمحافظة على موقفها البراغماتي النفعي، الذي بدّت هويته مدفونة في التكالب على تقسيم ثروة البلاد، وإطناب أدواته في مزيد النبش في الجرح الغائر لليبيين بمختلف أطيافهم وفق معادلة لا تقبل الجمع بقدر ما تروم العزل والتشتيت. فيما يقف الجيران، خصوصا تونس والجزائر، على ربوة المتابعين للأحداث رغم إدراكهم للحجم الاقتصادي والاجتماعي الوازن الذي تمثله هذه الخاصرة العليلة، إن تعافت وعادت إلى سالف توهجها.

ربما يبدو طرح السؤال من منطلق عكسي الأقرَب لفهم هذا الملف الشائك الذي استعصى عن الحل: ماذا تمثل ليبيا بالنسبة إلى جيرانها والأقربين لها في مستوى نسيجها الاجتماعي والاقتصادي المكون؟ أي دور لهؤلاء في تخليص ليبيا من أحوال الاقتتال الذي طال أمده والحرب التي تأبى التوقف والعناصر الوافدة التي تغلغلت في عمق الدولة وأنهكت مواردها بلا اقتدار؟

مطلوب بدءا توضيح السيرورة التي أوصلت إلى هذه الرؤية الضبابية قبل البتّ في أمور الخلاص أو تخليص ليبيا من هذا الكابوس المرهق الذي جثم على الأرواح وأذهب العقول دون الثبات على قاعدة أو حل منصف يراعي هموم هذا ويرمّم أحوال ذاك.

في المقاربات الجمعية للشعوب، الخلاص فعل "احترازي" يفيد التحرر. الشعوب طمعت في يوم ما إلى التحرر من ذواتها ومن الآخر. هبّة "الربيع العربي" وضعت الجميع في خندق واحد. سارع الكل إلى تصديق "خرافة" الثورة وبنى عليها أحلامه. تونس أولا ثم جاءت مصر تلتهما ليبيا، فاليمن وسوريا والمشهد محفور في الذاكرة. الكل يعلمه. الكل حلم باقتلاع النظام من جذوره. كان لافتا أن هذه البلدان لم تتهيّأ بما يكفي لطوفان كهذا. تناسى الكل الوهم الجارف وحقول الألغام المدفونة في الجغرافيا الواسعة للدولة. أبانت الثورات عن عيوب الأنظمة وفساد إدارتها وسياسييها. رغم أنه فساد لا يقهر لكنه لا يرقى إلى مستوى التغلغل الإسلامي الذي ضرب أركان الدولة في تونس وطمس معالمها ومازال مفعوله ساريا إلى الآن على وقع الأدلة المكشوفة والسرّية.

في ليبيا نفس المسار اتخذ تقريبا لكنه بيافطة أخرى جلبت الإسلاميين يتنازعون على السلطة إلى الآن ولا أحد منهم فكّر بالدولة وبسبل إنقاذها. القول إن الدولة غابت في ليبيا أو هي مغيّبة أصلا زمن ما اعتبر بنظام الدكتاتورية، قول وجيه. لكن المعالجة واجبة! نعم المعالجة واجبة في ظرف كهذا اختفت فيه مقدرات الليبيين وذهبت سدى تتناثرها فوهات البنادق وعصابات المافيا المأجورة يمينا وشمالا. فيما جيرانها والأقربون غاصّون بأحجار المناوشات حول الكراسي والمناصب وسجال التحوير من حكومة إلى أخرى وتونس تعطي المثال على ذلك.

ماذا في مدونة الرؤساء والخارجيات النشيطة عربيا ليقدموه إلى الملف الليبي؟ أين دور الجامعة العربية من هذا الملف المرهق للإقليم والدولة التي تختنق يوما بعد آخر؟ لماذا يتغافل الكل عن مصير ليبيا؟ لماذا هذا التخندق من الجارة تونس التي تعي جيّدا أن خلاصها في ليبيا طال الزمن أم قصر؟

> ليبيا خاصرة تونس العليلة وجبت مداواتها لتعود إلى سالف دفقها. حال تونس لا يتغير إلا بمعرفة سياسييها أي طريق يريدون أن يسلكوا؟ أما في ليبيا فمطلوب عمل شاق لا ينتهي إلا بتخليص الدولة من «زمرة» الواقفين على الأسلحة في كل الاتجاهات

أنست الثورات قادتها والواقفين على معالم الدولة، خصوصا في تونس، لملمة جراح شعوبها المكتوية بمرارة الفقد لدرجة باتت ترى في الأمس المغيّم بدكتاتورية النظام وآلته القمعية ملاذا أكثر أمنا من الحاضر. يذهب البعض إلى تفسير ذلك بمرجعية الحكم إبان فترة ما بعد "الفوضى" التي عمّت البلدين وأتت بالإسلاميين خيارا مرّا لا تزال حركة النهضة في تونس تمعن في أنه طوق نجاة، فيما نغّص إسلاميو ليبيا على الدولة إعادة لملمة جراحها ومنحها النور لكشف طريق خلاصها.

ليزول هذا الواقع في كلا البلدين، مطلوب من سياسيي تونس النظر بعمق إلى مكمن أزمتهم وكشف طريق خلاصهم من أين بدايته. الحقيقة عجز الدولة عن إدارة ملفاتها المستعصية، من فساد إلى أزمة العملة إلى اقتصاد عليل ومنهك، وغيرها من المطبات، عمّقته أهوال المشهد السياسي المأزوم الذي كشف عيوب الطبقة السياسية المترهلة والأنانية. في ليبيا نفس الشيء تقريبا عدا أن الدولة تشتغل في تونس رغم الأزمات، لكنها في ليبيا لا تكاد تكون موجودة.

ليبيا خاصرة تونس العليلة وجَب إزالة الركام عنها ومداواتها لتعود إلى سالف دفقها. حال تونس لا يتغير إلا بمعرفة سياسييها أي طريق يريدون أن يسلكوا؟ هل نغير مبادئ قيام الدولة أم نغيّر عقلية السياسيين؟ هذا جوهر الموضوع وعمقه! أما في ليبيا فمطلوب عمل شاق لا ينتهي إلا بتخليص الدولة من "زمرة" الواقفين على الأسلحة في كل الاتجاهات وفرض مصالحة حقيقية بين الشعب بمختلف أطيافه ومكوناته، والأهم من ذلك كله زرع ثقافة الإصغاء إلى الجميع من قبائل ومكونات متجذرة في عمق الدولة يجب أن يراعى نصيبها هي الأخرى في الحوار وتشريكها. كل هذا لن يكون إلا بمباركة خطة طموحة تشرك الجميع بلا استثناء من أجل دعم الحوار الليبي والذهاب به إلى مسارات أرقى وأرفع.. هذا دليل لكشف محنة الشعوب ونفض غبار الحرب عن الدول.

الإنترنت توقع بإدارة الاستخبارات الرئيسية الروسية

أين سيختبئ الجواسيس في زمن المصادر المفتوحة

❑ **واشنطن** – وجّهت وزارة العدل الأميركية في الرابع من شهر أكتوبر الجاري الاتهام لسبعة ضباط في إدارة الاستخبارات الرئيسية، المعروفة اختصارا باسم "غرو" (الأحرف الأولىٰ من الاسم بالروسية) في علاقة بعمليات قرصنة علىٰ الإنترنت. وفي ذات الوقت أطلقت أجهزة الاستخبارات الهولندية تقريرا حول طرد أربعة عملاء روس يشتبه في محاولاتهم قرصنة مقرّ منظمة حظر الأسلحة الكيميائية في هولندا. بعد ذلك قام محققون مستقلون باستخدام الإنترنت والإعلام الاجتماعي في البحث عن المزيد من المعلومات حول وحدة العمليات الحربية التابعة لجهاز غرو، مؤكدين هوية أحد المتهمين في عملية تسميم بغاز أعصاب في المملكة المتحدة وتحديد هوية المتهم الثاني لأول مرة.

ويرصد سكوت ستيوارت، محلل الشؤون الأمنية في ستراتفور الأميركي للاستخبارات، والعميل السابق الخاص بوزارة الخارجية الأميركية، هذه الأحداث التي تشغل الإعلام والرأي العام، منذ الإعلان عن شكوك حول تدخل روسي في الانتخابات الأميركية في 2016، وصولا إلىٰ تصاعد الاهتمامات الدولية الأخيرة للاستخبارات الروسية، ليحلل من خلالها تحديات العمل الاستخباراتي في زمن المصادر المفتوحة.

وتسلّط هذه التطورات الضوء علىٰ حقيقة إمكانية استخدام الإعلام الاجتماعي والمعلومات المفتوحة المصدر علىٰ الإنترنت (علىٰ الرغم من حياديتها في الأصل) سواء لغايات جيدة أو سيئة. ومن سخرية المواقف، وفق ستيوارت، أن جهاز غرو الذي كان ناجحا نوعا ما في استعمال الإعلام الاجتماعي لإثارة الخلافات داخل الولايات المتحدة وأوروبا، تعرّض أيضا إلىٰ الإحراج من التقارير مفتوحة المصدر. كما تبيّن هذه التطورات أيضا كيف أن الابتكار التكنولوجي يغير لعبة الجوسسة، وتسعىٰ أجهزة الاستخبارات إلىٰ التأقلم، لكن ليس بالسرعة المطلوبة أحيانا.

الإعلام الاجتماعي.. سلاح وكالات الاستخبارات الروسية ينقلب ضدها

وجهت هيئة محلفين كبرى في غرب بنسيلفينيا، مؤخرا، الاتهام لسبعة أعوان في إدارة الاستخبارات الرئيسية "غرو"، في علاقة بعمليات قرصنة ضد الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات وشركة واستنغ هاوس للكهرباء ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية. وفي تحرك منسق كشف جهاز المخابرات العسكرية الأمنية الهولندية دلائل مستمدة من عملية الإيقاف بتاريخ 13 أبريل لأربعة من الرجال في لاهاي، إذ كانوا يحاولون قرصنة شبكة المعطيات اللاسلكية لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية. وتضمن التقرير الهولندي صورا للرجال، الذين كانوا يستعملون جوازات سفر دبلوماسية روسية، وأشياء أخرى ذات أهمية بما في ذلك وصل لأحدهم اسمه ألكسي مورنتس يظهر أنه استقل سيارة تاكسي من مقر غرو إلىٰ مطار شرمتيافو الدولي في موسكو.

وبالنسبة إلىٰ مورنتس أن الوصل لم يكن نهاية متاعبه، حيث يقال إن طالبا في حلقة دراسية استخباراتية عثر علىٰ ملف شخصي له في موقع تواعد علىٰ الإنترنت يحتوي علىٰ صورة سلفي تظهر بناية غرو في الخلفية. وكان الطالب الجاسوس مرتبطا بمنظمة بلينكات التي تستخدم المصادر المفتوحة والإعلام الاجتماعي للقيام بتحقيقات.

توجيه ضربة لـ«غرو»

بالعمل مع منظمة صحافة المواطن "ذي انسايدر راشن" تمكنت بلينكات من التأكد من أن مورينتس كان الاسم الحقيقي وليس اسما مستعارا. كما اكتشفت أن سيارته مسجلة لدى كمسومولسكي بروسبكت 20 في موسكو، وذلك العنوان مرتبط بوحدة 26165 التابعة لغرو التي تقول عنها مصالح إنفاذ القانون الأميركية والهولندية إنها تمثل قسم الحرب السيبرانية للجهاز الاستخباراتي الروسي.

لكن الأخبار السيئة بالنسبة إلىٰ غرو لم تنته عند ذلك الحد. ففي الثاني من أكتوبر ذكر راديو ليبرتي أن صورا لأناتولي فلاديميوفيتش شيبغا، وهو ضابط في غرو كان قد منح جائزة "بطل روسيا" التي تعد أعلىٰ ميدالية في بلده، كانت فعلا معروضة في متحف عسكري روسي.

وحدّدت بلينكات وذي انسايدر أن شيبغا هو الهوية الحقيقية لروسلان بوشيروف، أحد ضباط غرو الذين اتهمتهم الحكومة البريطانية بتسميم العميل الروسي السابق سيرجي سكريبال وابنته يوليا في مدينة سالسبري في إنكلترا. ونفىٰ المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قدم جائزة بطل روسيا لشخص بذلك الاسم، لكن تقرير راديو ليبرتي يدعم أقوال ذي انسايدر وبلينكات.

وفي التاسع من أكتوبر كشفت بلينكات عن الاسم الحقيقي للمتهم الثاني في قضية تسميم سكريبال، حيث نقل الموقع الإلكتروني أن ألكسندر بتروف هو فعلا د. ألكسندر يفغنيافيتش ميشكين التابع لغرو. وتضمن التقرير صورة لجواز سفره الروسي لسنة 2001 وعرضا مقتضبا لسيرته الذاتية.

وبتحليل هذه المعطيات يقول سكوت ستيورات إنها تبرهن عن قوة المعلومات المستمدة من المصادر المفتوحة المتوفرة علىٰ الإنترنت وعن طريق الإعلام الاجتماعي، وكيف أن مجموعات كهذه تصبح بمثابة مضاعفي قوة كبار عندما تطلق الحكومات معلومات حول المشتبه بهم في قضايا من مستوى عال بما في ذلك العمليات غير الشرعية التي تقوم بها وكالات الاستخبارات.

التأقلم مع التكنولوجيا

بينما تبيّن أن هذه المعلومات كانت محرجة بالنسبة لجهاز غرو، فإنها تعطي أيضا مثالا عن قوة الإعلام الاجتماعي والإنترنت وتبرهن كيف يمكن تسليح التكنولوجيات المحايدة. وهذا المبدأ الذي يمكن تطبيقه علىٰ أي تكنولوجيا كثيرا ما أثر علىٰ العمليات الاستخباراتية علىٰ مدى عقود.

لطالما أجبرت الأعمال الاستخباراتية علىٰ التأقلم مع التقدم التكنولوجي الذي يتحدى الممارسات التقليدية. فمثلا مكّن قدوم التصوير الفوتوغرافي أعوان الاستخبارات من تسجيل الأحداث وتوثيق عناصر مثل المعدات العسكرية، كما سمح لقوات مكافحة الجوسسة بأخذ وتوزيع صور لأعوان الاستخبارات وعملياتهم. وكذلك الشأن بالنسبة إلىٰ اختراعات التلغراف والراديو والسيارات والطائرات والأقمار الصناعية والهواتف الخلوية ومعدات الرؤية الليلية والتصوير الحراري، كلها قدمت أدوات مفيدة لأعوان المخابرات، وفي الوقت ذاته خلقت عوائق أمامهم عليهم تجاوزها عند ممارستهم لواجباتهم غير الشرعية.

وفي السنوات الأخيرة تبيّن أن انتشار تغطية التلفزيون الرقمية مغلقة الدائرة "سي.سي.تي.في" في الكثير من المدن والأماكن تمثل اختبارا لقدرات عميل الاستخبارات. والتطورات الأخيرة في قدرة التخزين للإعلام الاجتماعي واسترداد المواد المخزنة جعلت من "سي.سي.تي.في" أداة تحقيق قوية. ويذكر أنه تم دمج برمجيات التعرف علىٰ الوجوه مع الكثير من أنظمة "سي.سي.تي.في" مما يجعل من مراقبة أشخاص مهمّين (مثل أعوان الاستخبارات) أكثر سهولة. وبالفعل كانت تغطية "سي.سي.تي.في" هي التي مكنت السلطات البريطانية من ربط عملاء غرو ومسكن سكريبال في سالسبيري، ثم تقفي أنشطتهم السابقة في الفندق وحتىٰ وصولهم إلىٰ المطار.

بيد أن الشيء الذي لفت نظر سكوت ستيوارت حول قضية سكريبال وعمليات الإيقاف بشبهة القرصنة في هولندا (فضلا عن استخدام 'سي.سي.تي.في') هو كيف أن محققي المصادر المفتوحة كانوا قادرين علىٰ إيجاد معلومات إضافية حول المشتبه بهم. ففي قضية سكريبال بحث مواطنون صحافيون عن الهويات الحقيقية لأعوان غرو بالاعتماد علىٰ صورهم وأسمائهم المستعارة. كذلك يمكن لمرتادي الإنترنت الروس البحث عن معلومات شبيهة عن أعوان المخابرات الغربية الذين يعثر عليهم ينشطون في روسيا، ويمكن أن يجد أعوان المخابرات الأجانب أنفسهم في مأزق مماثلة في بلدان أخرى.

وبالفعل في الوقت الراهن أصبح من الصعب جدا علىٰ وكالات الاستخبارات صنع هوّيات تمويهية (أساطير) بما في ذلك تاريخ مزيّف من العمل والمدارس والمؤهلات والأقارب لأعوانها. وقد يبدو من الحذر أن يمتنع أعوان المخابرات عن أي نشاط علىٰ شبكة الإنترنت، لكن أي شخص لا يمتلك أثرا مهمّا علىٰ الإنترنت يكون هو أيضا محل شبهة. وتمتد الصعوبات إلىٰ تأسيس شركات واجهة لمساندة ظهر أعوان الاستخبارات إذ لم يعد من المقبول مجرد فتح مكتب بريد واستعمال موظف استقبال للرد علىٰ رقم هاتف مسجل في دليل الهاتف وتقول "أدوات الذروة"، لأن الشركات الواجهة تحتاج إلىٰ أن تكون لديها روابط عميقة وآثار رقمية حتىٰ تكون قابلة للتصديق. ومثلما تم تصويره في فيلم "أرغو"، أظهرت "سي.آي.إيه" براعة حقيقية في إخراج مجموعة من الدبلوماسيين الأميركيين من طهران في سنة 1979 تحت غطاء تصوير فيلم، بيد أن حيلة كتلك ستكون أصعب بكثير في عصر الإنترنت.

ومع ذلك يؤكد ستيوارت أنه لا يوجد حاجز واحد من الحواجز التي أتت بها التكنولوجيات الحديثة من المرجح أن يستعصي علىٰ وكالات الاستخبارات. دون شك ستتطلب هذه الحواجز عملا وبراعة ومن المؤكد أن الوكالات تجري قدرا كبيرا من الأبحاث حول خداع كاميرات "سي.سي.تي.في" أو التشويش عليها وتطوير تقنيات لخداع برامج التعرف علىٰ الوجوه وأنظمة المسح البيومتري. ومن المؤكد أيضا أن هذه الوكالات تقوم بتحسين الطرق لاختلاق آثار رقمية مقنعة للهويات التمويهية، ومثلما حدث في الماضي ستسبب التكنولوجيات الجديدة تحديات أمام وكالات الاستخبارات، لكن هذه الأخيرة ستجد طرقا لاستعمالها لمصلحتها.

سكوت ستيوارت

أصبح من الصعب على وكالات الاستخبارات صنع هويات تمويهية وتاريخ مزيف. وقد يمتنع العملاء عن أي نشاط على الإنترنت، لكن أي شخص لا يمتلك أثرا على الإنترنت يكون هو أيضا محل شبهة

كريستوفر ستيل.. مفجر فضائح ترامب وعلاقته بالروس

فاتيني فاير تختار الجاسوس البريطاني السابق من بين أفضل مئة شخصية مؤثرة

❑ **لندن** – بعد 18 شهرا من الاختفاء عاد كريستوفر ستيل، الجاسوس السابق في جهاز المخابرات الخارجية البريطانية المعروف باسم "أم.آي 6"، إلىٰ الأضواء، عقب اختيار مجلة "فانيتي فير" الأميركية له ليكون علىٰ قائمتها لأكثر 100 شخصية مؤثرة سواء في الإعلام أو السياسة أو الترفيه أو المالية.

وعرف ستيل بكونه مفجر فضائح ترامب بدءا من علاقته بالروس وصولا إلىٰ فضائحه الجنسية. وعاد بعد صمت 18 شهرا ليكيل الاتهامات للسياسات الأميركية "المشوهة والأحادية"، وللرئيس الروسي فلاديمير بوتين، عبر رسالة توجه بها إلىٰ رئيس تحرير مجلة فانيتي فير.

ونقلت شبكة سكاي الإخبارية بعضا من محتوى الرسالة التي اطلع عليها وكان من بين ما جاء فيها قول ستيل "في أجواء غريبة ومضطربة كتلك التي نعيشها، من الصعب الحديث عن حقائق بغيضة عمّن يملكون القوة، لكني أعتقد أننا جميعا نتحمل عبئا علينا القيام به". وعرف الإعلام اسم كريستوفر ستيل عن كتب عن فضائح جنسية لترامب في فندق بموسكو بينما قامت أجهزة الأمن السرية الروسية بتصويره دون علمه. وبعد ذلك توارى الجاسوس السابق عن الأنظار بعد أن خرجت هذه المزاعم إلىٰ النور في مارس الماضي، حيث فجّر فضيحة سمع بها العالم بأسره وعاصفة من الجدل في واشنطن.

وعاد ستيل ليسكر حاجز الصمت الأسبوع الماضي بعد أن جدد الهجوم علىٰ دونالد ترامب، وزعم أن "الحكم في الولايات المتحدة مشوّه وأحادي". وقال "في زمن تمتلئ فيه ممارسات الحكم بالتشوه وأحادية القرار، ومن منطلق يقيني بأن هذا هو ما يحدث في الولايات المتحدة في الوقت الراهن، فإن علىٰ وسائل الأعلام دورا محوريا للقيام به في تحميلها المسؤولية وحسابها عما تفعل".

وملف المعلومات الذي امتلكه ستيل كان يحتوي علىٰ مزاعم بأن ترامب قد دفع أموالا لعاهرات لممارسة الجنس بطرق فاحشة أثناء زيارته إلىٰ روسيا، الأمر الذي ينفيه ترامب بإصرار. ويضم الملف كذلك مزاعم، لا تستند إلىٰ أدلة، بأن لدى الروس مقاطع فيديو تظهر فيها عاهرات، تم تصويرها خلال الزيارة التي قام بها ترامب إلىٰ فندق فخم في موسكو عام 2013، أثناء عقد مسابقة ملكة جمال الكون، ويعتقد أن ذلك كان أسلوبا محتملا لابتزازه.

وفي الملف أيضا مزاعم بأن مستشارين لترامب، بينهم محاميه مايكل كوهين، ظلوا علىٰ اتصال دائم بمسؤولين روس علىٰ صلة بالمخابرات الروسية خلال فترة الانتخابات وبأنهم كانوا يتبادلون المعلومات لمدة 8 سنوات علىٰ الأقل.

ويتردّد، وفق صحيفة تلغراف، أن قادة المخابرات الأميركية الذين أطلعوا ترامب علىٰ الشكوك الخاصة بالتدخل الروسي في يناير قد ضموا في ملخصهم المكون من صفحتين أكثر المزاعم مصداقية من مجموعة المذكرات التي بحوزتهم. وتشير تلغراف إلىٰ أنه تم جمع هذه المعلومات قبل وبعد انتخابات الرئاسة الأميركية التي أجريت في الثامن من نوفمبر 2016 والتي فاز بها ترامب.

واحتل الجاسوس السابق المركز 38 في قائمة فانيتي فير لأكثر مئة شخصية مؤثرة، ويسبق روبرت مولر مدير مكتب التحقيقات الاتحادي الأميركي "أف.بي.آي" سابقا والذي يقود الآن التحقيق المستقل في مزاعم التدخل الروسي في الانتخابات الأميركية.

وتضمنت القائمة أيضا اسم فلاديمير بوتين الذي جاء في المركز 58.

وعمل ستيل جاسوسا في موسكو في التسعينات من القرن العشرين. وبعد أن ترك الخدمة، قام ستيل بتأسيس شركة أوربيس بيزنيس إنتلجينس، وهي شركة مقرها لندن تتولىٰ جمع "معلومات استراتيجية محددة" لصالح شركات أو مؤسسات، كان بينها مساعدة مكتب التحقيقات الاتحادي "أف. بي.آي" في الكشف عن الفساد في الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا).

وأدى عمل ستيل إلىٰ إبرام صفقة مجزية للبحث عن الفساد في معاملات ترامب مع روسيا، كما حصل علىٰ 168 ألف دولار من شركة "فيوجن جي.بي.إس". وحصلت شركة "فيوجن جي.بي.إس" علىٰ 1.8 مليون دولار من خلال محامين يمثلون الديمقراطيين وحملة مرشحة الرئاسة السابقة هيلاري كلينتون.

كريستوفر ستيل: في زمن تمتلئ فيه ممارسات الحكم بالتشوه وأحادية القرار، ومن منطلق يقيني بأن هذا هو ما يحدث في الولايات المتحدة في الوقت الراهن، فإن على وسائل الإعلام دورا محوريا للقيام به في تحميل هذا البلد المسؤولية عن سياسته المشوهة والأحادية

زعيم بتسع أرواح يكرّس سلطة المومياءات السياسية

امحند العنصر

الذي لا يريد أن يَهرَم أو يُهزَم

محمد بن امحمد العلوي

❏ الحديث عن رئيس حزب قديم أريد له أن يستمر إلى ما لا نهاية في مهمته، لم يعد حديثا مغريا. ومن الطبيعي جدا أن يتم التحايل على آليات القانون الطبيعي للأشياء والناس والحؤول بقوة المصالح وتضاربها دون انتخاب الأصلح والأجدر مع هبوط مؤشرات التعليم والثقافة والبحث العلمي وارتفاع منسوب الجهل والفساد واللامبالاة.

حزب "الحركة الشعبية" زكى أمينه العام امحند العنصر للمرة التاسعة على التوالي،وبذلك فهو زعيم أبدي طال مكوثه على رأس الحزب لأكثر من ثلاثين حولا كاملة دون أن يتزعزع من مكانه، ما يعكس غلبة سياسة القبيلة والعصبية والشلة بدل الاحتكام إلى ديمقراطية التداول على المسؤولية وكأن هذا الحزب لا يمتلك طواقم مؤهلة للقيادة.

مناورات سياسية

العنصر الذي يترأس جهة فاس مكناس لا يريد مغادرة المشهد السياسي الذي تعتريه الكثير من النكسات والمطبات. مشارك في جميع الحكومات ويتلون حسب الفصول، مسكون برغبة البقاء مهما تحولت الظروف، فجأة قرر الترشح لولاية جديدة، ماسحا ما قاله قبل سبعة أشهر بأنه لا يريد الترشح، وأنه سيترك المجال إلى جيل آخر من القادة.

> العنصر يرى نفسه شابا لم يقطع بعد المسافة نحو الشيخوخة، مخالفا ما قاله العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطاب العرش الأخير، عندما أكد على أن الأحزاب بحاجة إلى ضخ دماء جديدة في هياكلها لتطوير أدائها، باستقطاب نخب جديدة وتعبئة الشباب للانخراط في العمل السياسي

يقول العنصر "قناعتي لازالت نفسها، أنني لا أريد الترشح، لكن ما وقع في الأشهر الأخيرة أن عددا من الإخوان في الأقاليم والهياكل والبرلمانيين والوزراء ألحوا عليّ بأن أتقدم بترشيحي".

وبحضور 2500 مشارك إلى جانب الضيوف للمؤتمر الوطني الثالث عشر للحزب الذي تم عقده في 28 و29 و30 سبتمبر الماضي بالرباط، تمت مباركة الأمين العام المتجدّد.

العنصر كسياسي قديم له من المناورات النصيب الكبير، فقد اعتبر أنه كيف ما كانت النتيجة، فإن عدم الترشح سيكون "إخلالا بالأصوات التي تلح علي أنني يجب أن أترشح"، وقد نافسه على المنصب مصطفى اسلالو، عضو المكتب السياسي للحزب للظفر بمنصب الأمانة العامة للحزب، لكن يبدو أن النتيجة محسومة سلفا ومن زكى العنصر له من الآليات الكثير لجعله يتبوأ رئاسة الحزب.

يرى العنصر نفسه شابا لم يقطع بعد المسافة نحو الشيخوخة. مخالفا ما قاله العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطاب العرش الأخير، عندما أكد على أن الأحزاب بحاجة إلى ضخ دماء جديدة في هياكلها لتطوير أدائها، باستقطاب نخب جديدة وتعبئة الشباب للانخراط في العمل السياسي.

الولاء للشيخ والقائد

ستون عاما تمر على تأسيس حزب "الحركة الشعبية". ترأسه فقط إلى حد الآن زعيمان؛ المحجوبي أحرضان والعنصر، ولم تخرج القيادة عن نطاق عائلي قبلي مبني على الولاء للشيخ والقائد.

ما يعيبه الكثيرون على هذا الحزب أنه غير مهتم بإنتاج نخبة قوية قادرة على المساهمة في لعب أدوار فاعلة في صناعة القرار السياسي. وهذا ما يبيّن إعادة تدوير نفس الوجوه وترويج نفس الكلام.

برعم السياسة عند العنصر بدأ في التشكل عندما انضم في العام 1975 إلى الشبيبة الحركية لتكون أولى خطواته في سلم الحياة السياسية بالمغرب. وانخرط في حزب "الحركة الشعبية" في العام 1975 منطلقا مع شبيبته واحتك بكبار سياسيي الحزب وعلى رأسهم الزعيم أحرضان. ولم تمر سوى عشر سنوات تقريبا حتى انقلب إلى جانب آخرين على أبيه الروحي وأصبح على رأس الحزب، في حركة مفاجئة داخل الحركة الشعبية لم ترق للكثيرين واعتبروها نكرانا للجميل.

بعدما أخطأ الزعيم المؤسس أحرضان التقدير السياسي في لحظة سياسية، تم تعيين مجلس للأمناء السبعة، ومن ضمنهم العنصر، ليقود مرحلة انتقالية لمدة عام، ثم أصبح أمينا عاما للحزب شغل مناصب كثيرة. منها خطة وزير للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية من 1981 إلى 1992، ووزير للفلاحة ما بين 2002 و2007، قبل أن يشتغل وزيرا للداخلية في حكومة عبدالإله بن كيران ما بين 2012 و2013.

ينحدر العنصر من بلدة إموزار مرموشة جنوبي مدينة فاس، حيث درس بمدارس المنطقة وتسلق مراتب الوظيفة ومناصب وزارية كان آخرها وزير الداخلية في حكومة بن كيران الأولى، ليرتقي في آخر المطاف إلى رئيس جهة فاس مكناس والتي جعلت منه السياسي الذي لا ينهزم.

يروج حول العنصر أنه رجل التوافقات والتوازنات. كريم ودود ويقوم بمهامه على أكمل وجه، وهي صفات رجل دولة يتقن فن الإنصات وهو ما جعله يترقب العواصف وينحني بتسعين درجة حتى تمر بسلام على مركبه، صفات أهلته إلى دخول عرين الأمن عندما جلس على كرسي وزارة الداخلية التي تعرف في المغرب بأم الوزارات.

العائد من الموت

من المرجح أن يكون العنصر يهيّئ الآن حزبه للدخول في غمار انتخابات مقبلة برصيد انتقادي لحصيلة حكومة هو عضو فيها، بعدما انتقد تأخرها في إنجاز عدد من المشاريع، موضحا أن مشاركته في الحكومة لا تثنيه عن واجب إثارة انتباه حلفائه إلى الطابع الاستعجالي لبعض القضايا وراهنيتها، معلنا أن حزبه غير راض عن إصلاحات مهمة تتقاذفها أمواج نزاعات سياسوية عقيمة يدفع المواطنون ثمنها.

ولهذا ألح الأمين العام للحركة الشعبية على عملية التسريع المتعلقة بوضع هياكل جديدة للحزب تعمل بتقنيات وآليات حديثة، في إشارة إلى وسائل التواصل المتداولة مثل فيسبوك، تويتر، إنستغرام، يوتوب وغيرها، بهدف تقوية الحزب وتعزيز مردوديته مع العمل على إعادة الثقة للمواطن في ممارسة الفعل السياسي بشكل عام والحزبي خاصة.

وقد حسمت المرأة الحديدية في الحزب حليمة العسالي، القول بأنها مؤيدة لتولي العنصر مقاليد "الحركة الشعبية"، ولم تلتفت إلى الولايات السابقة.

لم تتحدث القيادية في الحركة الشعبية، عن طموح شخصي لها في الرئاسة لكنها اعتبرت شخصية العنصر محققة للإجماع وأن الذين كانوا سيترشحون للمنصب سيزرعون زوابع من الحقد والصراعات.

كل الشخصيات الوازنة داخل الحزب آثرت الإجماع على فكرة الاحتفاظ بالحزب موحدا، وهذا لن يتحقق دون ترشح العنصر. هذا الأخير تم إرغامه على عدم ترك مقعده فارغا وأعينهم على انتخابات 2021، من أراد العنصر ذا السادسة والسبعين من العمر حاضرا هو الفوز بأكثرية داخل البرلمان والاطمئنان بالتالي على مناصب وزارية في حكومة ما بعد العثماني.

في فبراير 2018 نجا العنصر، الأمين العام لحزب "الحركة الشعبي"، من حادث خطير تعرض له برفقة سائقه، بعد الاعتداء عليه من قبل أشخاص مجهولين رشقوا الواجهة الأمامية لسيارته بالحجارة على الساعة الحادية عشرة ليلا، على الطريق السيارة الرابط بين الرباط وطنجة، لكن رغم استبعاده فرضية الاعتداء المقصود وأن الأمر قد يتعلق بلصوص، فإن هناك من استدعى نظرية المؤامرة ولو بخجل، ليقول إنها رسالة من تحت الماء خصوصا وأن الحادث وقع قرب نهر.

بينما هناك من دفع بفرضية وجود أياد خفية تحرك المقادير داخل "الحركة الشعبية" أوحت ببقاء العنصر رئيسا للحزب.

دروس في الديمقراطية

خطب العنصر بعد إعلانه فائزا، منوها بأن مؤتمر "الحركة الشعبية" كان تمرينا أعطى فيه الحزب درسا في الديمقراطية ومر انتخاب الأمين العام في جو ديمقراطي وتحت مراقبة مفوض قضائي وأظهر أن الحركيين يمكنهم تطبيقها بحذافيرها.

الكل ينادي من داخل وخارج الحزب بتشبيب الأحزاب واستقطاب الكفاءات والقطع مع شغل منصب رئيس الحزب أكثر من ولايتين، لكن يبدو أن حزب الحركة الشعبية بانتصاره لمنطق زمن الرجل الواحد والزعيم الخالد في منصبه يرسخ منطق الولاءات والمناطقية والزبونية، وسيستمر هذا المسار بتسارع أكبر بعد المؤتمر الوطني الثالث عشر للحزب.

معروف أن الحزب يركز في قانونه الأساسي على العالم القروي سواء في اعتماده على العنصر البشري كخزان انتخابي أو هوياتي، بدفاعه عن الثقافة الأمازيغية في إطار الأصالة المغربية. ولهذا يشدد العنصر على أن "العالم القروي في حاجة إلى استراتيجية تنموية حقيقية، وليس لحلول ترقيعية لإسكات بعض الاحتجاجات هنا وهناك".

الغريب أن تكون شهادة الناس وما يقع داخل المنطقة والجغرافيا تصب في عكس ما قاله الأمين العام للحركة الشعبية بأن المنطقة التي ينحدر منها الزعيم ويتم انتخابه نائبا عنها منذ 30 سنة لا شيء فيها تغيّر.

أنصار الرجل يؤكدون بأنه مخطئ من يظن أنه قادر على تدبير هذا الحزب سواء الآن أو في الماضي. ويقول آخرون إنه كان بالإمكان أن يكون أكبر حزب يدافع عن المناطق القروية المهمّشة، ولكن استبداد القيادة منذ أحرضان والانقسامات المتكررة وسلوك الانتهازية والمحسوبية أفقدت الحزب المصداقية.

وهكذا استفاد الأمين العام لحزب "الحركة الشعبية" المعاد انتخابه من شخصيته الهادئة والمتوافقة غير الصدامية ومن براغماتيته للبقاء على قمة الحزب وفي الساحة السياسية المغربية، وستؤهله لمنع انقسام الحركة الشعبية لتيارات متناحرة.

انشقاقات وحركات تمرد

حزب الحركة الشعبية عرف منذ تولي العنصر عدة انشقاقات وحركات مناهضة لتدبير العنصر لعدد من الملفات منها حركة الحرضانيين برئاسة أوزين أحرضان نجل الزعيم السابق، وهناك أيضا الحركة التصحيحية لحزب الحركة الشعبية، التي يتزعمها الوزير السابق سعيد أولباشا، هذا الأخير أكد أن حركته جاءت لتصحيح اختلالات داخل الحزب وإعطائه نفخة قوية من الديمقراطية والشفافية.

وبقدر ما كانت العسالي مؤيدة ومدافعة عن العنصر، كان أوزين أحرضان مناهضا له، وكان له كلام أيضا في قيادته، فهو ابن أبيه ولم ينس أن العنصر ساهم في إزاحة والده من قيادة الحزب. وها هو اليوم يقول إنه وبسبب سوء تدبير العنصر "خسرنا في الانتخابات الأخيرة مليون صوت ومناطق كانت لنا، مؤكدا أن يكون البرلمان القادم معززا بأبناء الحركة".

كان آخر قرار يتخذه العنصر، قبل تتويجه زعيما للحزب، طرد عبدالعزيز خليل، المنسق الجهوي السابق للحزب بجهة الدار البيضاء وعضو المجلس الوطني، من القاعة التي كانت تضم المؤتمرين، بعدما احتج وغضب واشتكى لعدم إدراج اسمه على لائحة المؤتمرين، ومنعه من دخول قاعة المؤتمر دون سبب. ورغم تراجعه عن القرار في آخر لحظة بقوله "عفا الله عما سلف"، إلا أن الجرح الديمقراطي قد سالت منه قطرات من الاستبداد بالرأي.

بين المؤتمرين الثاني عشر والثالث عشر لا يزال كلام سعيد أولباشا، عضو الحركة التصحيحية داخل حزب، يتردد في أن حزب "الحركة الشعبية" يعيش وضعا خطيرا بعد مؤتمره الأخير، وأنه تحول إلى حزب المصالح الضيقة، والدليل هو تراجع الأداء الانتخابي بانخفاض الحصول على المقاعد البرلمانية نتيجة عجز الأمانة العامة عن الدفاع على الحزب وتاريخه.

> البعض يروج حول العنصر بأنه رجل التوافقات والتوازنات. كريم ودود ويقوم بمهامه على أكمل وجه، وهي صفات رجل دولة يتقن فن الإنصات وهو ما جعله يترقب العواصف وينحني بتسعين درجة حتى تمر بسلام على مركبه

لم تنجح أيّ من الحركات التصحيحية داخل "الحركة الشعبية". ولكن في كل منعطف تظهر إحداها، ونقطة ضعف الحزب حسب أصحاب تلك الحركات التصحيحية تكمن في استفراد مجموعة صغيرة بالقرار واحتكاره من قبل من لا يعرفون تاريخ الحزب.

فهل ستكون الولاية التاسعة لامحند العنصر عنصرا جامعا للمتناقضات من الآراء وملطفا للتنافس بين أقطاب الحركة الشعبية؟ وهل سيكون من أولوياته تدبير المرحلة بنفس تطبعه الحكمة، وصولا إلى جمع كل الغاضبين منتخبين وكوادر على مائدة مصلحة واحدة للحزب، وسلوك طريق المصالحة والاعتراف بالأخطاء من طرف الكل؟ أم ستطغى الأنانية والمصلحة الضيقة وتستمر معركة الخلافة المنتظرة والملفات العالقة التي من بينها قانون "ترسيم الأمازيغية" بعد الانتخابات المقبلة.

● المرجح أن يكون العنصر يهيئ الآن حزبه للدخول في غمار انتخابات مقبلة برصيد انتقادي لحصيلة حكومة هو عضو فيها، بعدما انتقد تأخرها في إنجاز عدد من المشاريع.

● حزب "الحركة الشعبية" يزكي أمينه العام امحند العنصر للمرة التاسعة على التوالي، ويكون بذلك زعيما أبديا طال مكوثه على رأس الحزب لأكثر من ثلاثين عاما كاملة دون أن يتزعزع من مكانه، ما يعكس غلبة سياسة القبيلة.

ابن الروح العُمانية المغمور بسحرها

حسين عبيد

رسام الأسرار التي تقيم خلف حُجب

فاروق يوسف

❑ كمَن يبحث عن ثغرة في جدار لينفذ من خلالها إلى ماضيه الشخصي سعى العماني حسين عبيد إلى أن يستحضر في رسومه العلامات والخدوش والخربشات والإشارات والرموز التي شكلت فضاءه البصري عبر سنوات امتزاج حواسه بما يحيط به من عوالم مكتظة بطقوس سحرية.

فنان الأثر والمحيط وهو ابن البحر والبر معا. كانت هناك لغات غير منطوقة تحيط به من كل جانب هي سر انجذابه إلى مشاهد مهملة ومنسية هي جزء من حياة صامتة، مر بها الزمن وترك عليها أثره من غير أن يحتويها لتكون جزءا من نفائسه.

تأوهات لبشر عابرين

لقد كان على الرسام العماني أن يزيل الغبار عن الجدران ليصقلها فتكون بمثابة المرايا التي صار يرى من خلالها صورا عاطفية هي جزء من ذاكرة المكان الذي تعددت سطوحه. في كل سطح من تلك السطوح تقع حياة ناقصة، صار عبيد يستأنفها كما لو كانت جزءا من حياته الشخصية.

> عبيد حين يلتفت اليوم إلى بداياته، لا بد أن يكتشف أن فكرة استلهام الحرف العربي جماليا كانت أساسية في تشكيل وعيه الجمالي، بحيث أنها رافقته في مختلف تحولاته وإن كانت تظهر بصور لا تذكر بالبدايات

المكان: مسقط. الموضوع: حجر عماني هو أشبه بنيزك لا عمر له. في ذلك الإطار الوصفي يبدو الرسم شأنا موضوعيا، غير أنه في سياق تجربة هذا الرسام يتخلى عن الوصف لصالح البحث عن مغزى الأشكال التي تراكمت، بعضها فوق البعض الآخر.

لا يسير عبيد وراء فكرته أفقيا فهو لا يتبعها بل يفتش عنها عموديا عن طريق التنقيب بحثا عما تبقى من أثر.

في وقت مبكر من شغفه بالرسم اكتشف جماليات الجدران فصارت عالمه وليست واحدة من مفرداته التشكيلية. يقيم في ذاكرة المكان. وهو يحلم المكان لا يتذكره. ليعيد صياغة وقائع، هي في حقيقتها مجرد تأوهات لبشر عابرين.

وإذا ما كان الرسام العماني قد تأثر برسوم عدد من الرسامين العرب الذين اهتموا بجماليات الأثر والمحيط فإنه نجح في أن يختط له طريقا شكلية خاصة به، من خلال استلهامه لمفردات المكان العماني بكل ثرائه الخيالي.

ولد عبيد في مسقط عام 1968. درس الرسم بطريقته الخاصة. انتسب عام 1987 إلى مرسم الشباب. ثم انتقل بعد سنة إلى النادي الثقافي. في عام 1993 أصبح عضوا في الجمعية العمانية للفنون التشكيلية. أقام أول معارضه الشخصية عام 1991 في مرسم الشباب. بعد ذلك المعرض توزعت عروضه الشخصية ما بين لبنان والأردن وبلده الأصلي. غير أنه شارك في معارض جماعية وحضر ملتقيات فنية حول العالم، كان أبرزها في باريس، الشارقة، روما، القاهرة، المكسيك، الكويت، بروكسل، أنقرة وبرلين.

شغف في بدايات ظهوره بجماليات الحرف العربي فأقام معرضا بعنوان "الحروفية العربية" عام 1997. غير أنه سرعان ما أتبعه في السنة التالية بمعرض كان عنوانه "ذاكرة الصحراء والبحر" أقامه في قصر اليونسكو ببيروت. سيكون عليه في ما بعد أن يمزج بين العالمين لينتقل إلى "مملكة الحلم" وهو عنوان معرضه الذي أقامه عام 2002 بمسقط.

في ذلك المعرض بدا واضحا أن عبيد تمكن من أدواته وتوصل إلى نوع من الاستقرار الأسلوبي عبر من خلاله عن استيعابه لتأثيرات المفردة الجمالية المحلية، بحيث لم يعد في حاجة إلى تجسيدها بقدر ما صار يستلهمها مكتفيا بأثرها. وهو ما جعله ينتقل بثقة إلى مرحلة أسلوبية جديدة هي الأكثر عمقا واستقرارا مثلها معرضه "الجدار" الذي أقامه عام 2008 في الأردن.

حين يلتفت عبيد اليوم إلى بداياته لا بد أن يكتشف أن فكرة استلهام الحرف العربي جماليا كانت أساسية في تشكيل وعيه الجمالي، بحيث أنها رافقته في مختلف تحولاته وإن كانت تظهر بصور لا تذكر بالبدايات، يوم كان الحرف مقصودا لذاته، من جهة كونه مصدرا بصريا للجمال.

اليوم يظهر الحرف باعتباره أثرا ليس إلا. بقاياه تشير إلى لحظة إنسانية عابرة وسط تركيب تجريدي غامض.

يرى بقوة الحكاية

سعى عبيد وهو ابن بيئة يتقاسمها البحر والصحراء إلى أن يستثمر التضاد اللوني في خلق إيحاء بتراكم سطوح، هي في حقيقتها ليست موجودة إلا على مستوى بصري. وهو ما يعكس اطمئنانا نفسيا إلى ما يمكن أن ينتج عن محاولة الغوص بين الطبقات بحثا عن معنى النظر إلى ما لا يقع في متناول العين.

كنا نقف على شاطئ البحر، تظللنا سماء عميقة بزرقتها حين أشار حسين إلى جهة تقع في البحر وهو يقول "هل ترى الجزيرة هناك؟". خُيل إلي يومها بعد أن عجزت عن رؤية تلك الجزيرة "المتخيلة" أن صاحبي كان يحلم بحكايات اختزنتها ذاكرته البحرية. كنا في "سداب" ولم يكن الرسام في حاجة إلى أن يحدثني عن أزرقه الذي أفسدت خياله الصحراء حين اقتحمته بكنوزها الجمالية.

لم أكن منصفا يومها حين اعتقدت أن من الضروري للرسام أن يدير ظهره للصحراء. فكل أثر قبضت عليه يده كان قادما من الصحراء. كانت جزيرته "المتخيلة" الجزء المتمم لحكاية بدأت في الصحراء. بقوة تلك الحكاية كان الرسام يرى ما لم تكن عيناي تصلان إليه. محفورات الفنان على سطوح لوحاته تؤكد أنه يبحث عن ذلك الشيء الذي هو لقيته الروحية التي لا ينافسه عليها أحد. ذلك لأنها تقع في مكان خفي من أعماقه.

بلاده تفعل الشيء نفسه

لأسباب كثيرة لم يجد عبيد ضرورة لأن يكون تعبيريا في تجريده. هناك سكون يرى فيه الرسام ضالته كمن يرسم حياة صامتة، تجذبه إليها الرائحة قبل الصورة. ولأن الرسام العماني مسكون بقوة أشياء لم تعد تحيطه إلا من خلال ما ترسب منها في ذاكرة حواسه فإنه يستسلم لرغبة عميقة في التحليق تحملها المفردات إليه.

عالم عبيد يضيق ويتسع، حسب الحركة الإيقاعية لمفرداته. إنه ينصت إلى أصواتها القادمة من بعيد. يشم رائحتها وهي تنبعث من مكان خفي. لا يحتاج إلى انفعال مستفز ليصل إلى ذروة متعته بالأشياء من حوله. إنه يحتاج إلى أن يبطئ من حركته ويخفض صوته لكي يسمح لتلك الأشياء بأن تمر وتترك على سطوح لوحاته شيئا من أثرها.

علينا أن نصدق أن عمان، بلاده تفعل الشيء نفسه.

حسين عبيد يرسم بقوة سحر بلاده. وهو سحر لا يقيم في المشاهد الطبيعية وحدها بل في اللغة والإشارات والرموز والطقوس والعادات المبهمة التي تشير إلى نوع من الحياة لم يفك ارتباطه بعد بالبعد الماورائي للثقافة.

هو ابن البيئة العمانية. هذا صحيح، غير أن الصحيح أيضا أنه ابن الروح العمانية التي لا تزال مقيمة خلف حجب من الأسرار.

حسين عبيد فنان عُماني بعمق.

> الرسم يبدو شأنا موضوعيا، غير أنه في سياق تجربة هذا الرسام يتخلى عن الوصف لصالح البحث عن مغزى الأشكال التي تراكمت، بعضها فوق البعض الآخر

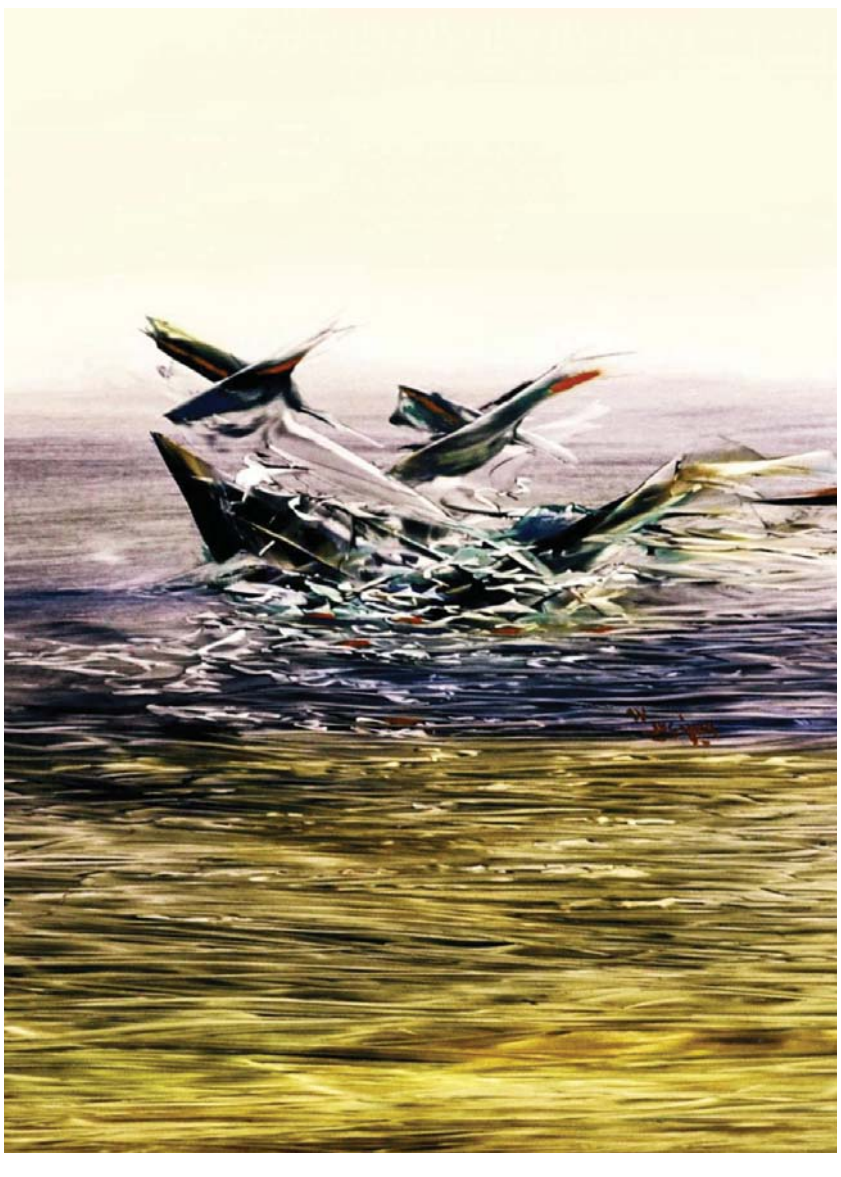

مرآة الإعلام

شعار «مصر أولا» لم يغير طبيعة المركز الحقيقي

سعد القرش
روائي من مصر

❏ ربما يؤرخ لهذه المرحلة المصرية المرتبكة، بشطري بيتين من الشعر، سيتأرجح بينهما المؤرخ فيرتبك ويحار، ولن يعرف هل يصدّق الشعر، أم يلتمس طرقا أخرى لرسم صورة موضوعية للواقع؟ ففي بيت الشريف الرضي «وما آفة الأخبار إلا رواتها» جناية على الصحافيين، وحسن ظن بقدرتهم على نشر ما يتوصلون إليه من أخبار من مصادر موثوقة، وهم عاجزون إلا عن نشر ما يسمح لهم به وليّ النعم. وأما بيت عبدالرحيم البرعي: «متى يستقيم الظل والعود أعوج؟» فيلخص حالة تتجاوز الإعلام المصري إلى مشهد عمومي أعوج.

لا يكتفي الظل الإعلامي بالاعوجاج، ففي ثبات هذا الاعوجاج صورة صادقة لعود أعوج، ولكن العود يهتز، ويتوالى تأرجحه فتفشل مرآة الإعلام في تثبيت وضع يدل على عقل كبير يدير الأمور، منذ الارتهان بالتوقيت الأميركي الإسرائيلي، قبل أكثر من أربعين عاما، بالتزامن مع رفع شعاريْ «مصر أولا» و«مصر فوق الجميع»، في تقليد باهت يستنسخ النشيد الوطني لألمانيا النازية. وبعيدا عن المحيط العربي الأفريقي، لا تملك مصر مقومات ووسائل لذلك الخيار، فعلى أي مستوى، لم تصبح أولا ولا فوق الجميع، واكتفت بشعار أقرب إلى جهاز تعويضي لمعاق. وحين استحقت مصر أن تكون أولا عن جدارة، ترفّعت عن المباهاة، إيمانا بمسؤولية أدوار لا تحتمل رفاهية الفخر، ولا تتهافت إلى مستوى المنّ. ولاحقا حصد المصريون الثمار، رغم السياسة الرسمية غير المواتية.

وقد ظلت مصر رسميا تنسب نفسها إلى كيان عمّر ثلاث سنوات، هو الوحدة مع سوريا، وتخلت عن اسمها، ويسهل الاستماع إلى بيان بدأه أنور السادات قائلا «فقدت الجمهورية العربية المتحدة» معلنا وفاة جمال عبدالناصر. وحتى تلك اللحظة، عام 1970، حرصت مصر على الوفاء بدور ثقافي أدت فيه الصحافة مهام لا تقل عن الجهد الدبلوماسي.

وتسجل الدبلوماسية المصرية واقعة فريدة، لا أعلم أن لها شبيها غلبت فيه المشاعر الشخصية لرئيس جمهورية أصول البروتوكول، فاقترنت دموعه بطقوس تسلمه أوراق اعتماد سفير. ولم يكن الدكتور سامي الدروبي مجرد سفير، وربما لا يذكر له الجيل الحالي من القراء هذه الصفة، ويعرفه مثقفا ومترجما قديرا لكلاسيكيات من الأدب العالمي، وأبرزها لدستويفسكي. وبعد الانفصال عيّن الدروبي سفيرا لسوريا، وبدلا من تقليد يتضمن تقديم أوراقه، وتبادل كلمات مجاملة، ألقى الدروبي بيانا بدأه بإبداء السعادة للوقوف أمام عبدالناصر، «مستشرفا معاني الرجولة والبطولة، فإنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطنا في جمهورية أنت رئيسها... ولكن عزائي عن هذه الوقفة التي تطعن قلبي يا سيادة الرئيس، والتي كان يمكن أن تشعرني بالخزي حتى الموت، أنك وأنت تطل على التاريخ فترى سيرته رؤية نبي وتصنعه صنع الأبطال، قد ارتضيت لي هذه الوقفة، خطوة نحو لقاء مثمر بين قوى تقدمية ثورية... ذلك عزائي يا سيادة الرئيس، وذلك شفيعي عندك، وشفيعي عند جماهير أمتنا العربية التي لا تعترف بالانفصال إلا جريمة...».

استدعت كلمات السفير تاريخا من الفخر والأمل وانكسار الروح، فبكى عبدالناصر ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وأمين الرئاسة. ولا أظن أحدا رأى دموع الرجل في موقف آخر، وتغلّب على دموعه مرحبا بالدروبي، «في الجمهورية العربية المتحدة لا كأجنبي، ولكنني أستقبلكم كابن من أبناء الأمة العربية التي هي أمة واحدة. وإن الأفراد مآلهم إلى الزوال دائما، أما الشعوب فهي الباقية على نضالها لتحقيق أمانيها وأهدافها».

الدروبي الذي يعاد نشر طبعات من أعماله في مصر لا مكان لأمثاله اليوم في المشهد الثقافي والصحافي المصري. ففي هوس وطني يستبدل بشعاريْ السادات «مصر فوق الجميع» و«مصر أولا» شعارا آخر هو «تحيا مصر»، بتكرار يدعو أحيانا إلى السخرية، لن تنشغل صحيفة باستكتاب مثقفين عرب، اللهم إلا نقلا لمقالات منشورة تشيد بالسياسة المصرية، فيضاف المقال المعاد نشره إلى مجرى يفيض بالمصفقين. ولا تزال فضائيات عربية تستأنس بمثقفين وإعلاميين مصريين، ولا ترد الفضائيات المصرية الجميل، ولو باستثناء يكسر قاعدة الشوفينية. وتجسدت النتيجة في مستوى وعي رئيس تحرير سابق لصحيفة الأهرام، اقترح عليه محرر إجراء مقابلة مع مرسيل خليفة في إحدى زياراته لمصر، فسأله: من تكون مرسيل هذه؟

> نحن محكومون بنظرة استشراقية مهينة، ومنذ تفجيرات 11 سبتمبر 2001 والحماقات تسعى بإلحاح إلى تأكيدها، وتصويرنا كارهين للبشر أعداء للحضارة

تخلو العشرات من المجلات والصحف المصرية من أي حضور عربي، وإذا وجد فهو هامشي، ويخضع لحسابات شخصية أو توازنات سياسية، أو للبرستيج المهني اكتسابا لشيء من الوجاهة. يوجد استثناء مهني وحيد يحمل مفارقة سياسية، فمنذ نهايات 2013 توالى اختفاء مقالات كتاب مصريين من صحيفة «الشروق» الخاصة، وشمل هذا الإقصاء إسلاميين وليبراليين: فهمي هويدي وبلال فضل وعمرو حمزاوي وباسم يوسف وغيرهم، ولكن الصحيفة حريصة، إلى الآن، على وجود يومي لكتاب بارزين من لبنان وسوريا والبحرين وتونس والإمارات وفلسطين غيرها.

لوحة الفنان غسان عويس

أستبعد وجود توجيهات سياسية حمقاء لتغييب الصوت العربي، ويتحمل المسؤولية رؤساء التحرير، وأستشهد بتجربة مدتها ثلاث سنوات (2014 ـ 2017) في رئاسة تحرير مجلة «الهلال»، فقد اتسع العدد الأول لمثقفين من العراق وسوريا وفلسطين واليمن والمغرب والسودان وإيران. وشهدت الأعداد التالية حضورا لمثقفين عرب، من الفلبين ونيوزلندا وبروناي إلى أميركا، ومن اليمن والسودان إلى سقف العالم حيث السويد والنرويج، انطلاقا من ضرورة أن يستعيد المجلة أهلها، مصريين وعربا سارعوا إلى مدّ أيديهم بسخاء، وأرسلوا إبداعات ودراسات من دون انتظار مقابل مادي من مجلة تربى عليها وجدانهم. واستهلت «روايات الهلال» بترجمة لرواية «التلميذ والدرس» غير المشهورة لمالك حداد، وحرصت في سلسلتي «روايات الهلال» و«كتاب الهلال» على نشر ما يحمل المتعة الفنية والقيمة المعرفية، وكان الحصاد وفيرا من المغرب والجزائر وليبيا واليمن والبحرين والعراق وسوريا وفلسطين، وانفرد سلامة كيلة بنشر كتابين هما «زمن الثورة» و«المسألة الفلسطينية: من سراب حل الدولتين إلى الدولة العلمانية الواحدة».

نحن محكومون بنظرة استشراقية مهينة، ومنذ تفجيرات 11 سبتمبر 2001 والحماقات تسعى بإلحاح إلى تأكيدها، وتصويرنا كارهين للبشر أعداء للحضارة. ولم نعد نملك ما نقدمه إلى أنفسنا وإلى العالم إلا الإبداع والأفكار، ورأيت أن تكون الهلال جسرا لهذا التواصل، وأبدى أصدقاء وصديقات كرما كبيرا بإعداد ملفات تمثل أبرز ملامح المشهد الإبداعي في بلادهم: محمد اشويكة عن المشهد القصصي في المغرب، وئام غداس عن المشهد الشعري في تونس، تحسين يقين عن الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال (1948)، نوارة لحرش عن المشهد الشعري في الجزائر، رولا حسن عن المشهد الشعري السوري، الدكتورة نادية الكوكباني عن الإبداع القصصي في اليمن، الدكتورة عزيزة الطائي عن المشهد القصصي في سلطنة عمان. وحظينا من العراق بثلاثة ملفات، أولها بانوراما للإبداع العراقي خارج أرضه، والثاني اختص به ماجد موجد عن شعراء الداخل دون سن الأربعين ممن كتبوا عن الوجع العراقي بعد 2003، والثالث أعده الدكتور سلمان كاصد عن ملامح المشهد العراقي بأجياله المختلفة في الداخل والخارج. وقريبا من العالم العربي ترجم الشاعر موسى بيدج مختارات من الشعر الإيراني الجديد.

وبعيدا عن الإبداع نشرت ملفات عن مستقبل اليسار، وآفاق الثورات العربية. وأعد الشاعر محمود قرني ملفا عنوانه «مستقبل الشعر.. شهادات الأزمة». وأسهمت الكاتبة الفلسطينية بيسان عدوان بملفات أولها عن وعد بلفور «98 عاما من ضرب الجهاز المناعي الفلسطيني»، وشاركها أشرف راضي في إعداد ملف «من نكبة 1948 إلى سراب حل الدولتين». واختار المخرج باسل رمسيس أن يقدم ملفا عن فيسبوك، العالم الأزرق المرعب، برؤى وأقلام عربية متفاعلة مع العصر، وفاجأني على سبيل الاستطلاع بمقال «أدب الشيك شاك شوك» للروائية الفلسطينية أثير صفا، وسألني: تنفع هذه العينة؟ ولم يكن ينفع سواها.

بقي وعد حالت الأقدار دون تنفيذه، بملف عن الشعر في موريتانيا، وعدني بإعداده شاعر موريتاني قابلته في الأقصر ثم اختفى، كما وعدني أيضا الشاعر الموريتاني محمد ولد عبدي ثم توفي، وسبحان من له الدوام.

جدل حول تدريس اللغة العربية بفرنسا

أمين الزاوي
كاتب من الجزائر

❏ يدور هذه الأيام، في الأوساط التربوية والعلمية في فرنسا، نقاش حول "تدريس اللغة العربية" في المدارس الابتدائية والثانوية الفرنسية، وربما يكون أخطر نقاش تعرفه الساحة التربوية والسياسية الفرنسية منذ الحرب العالمية الثانية، حتى وإن بدا النقاش عن ذلك خجولا، بل ومترددا، وهو نقاش بقدر ما يتلبس لبوس البحث والعلم والثقافة، إلا أن محركه الأساس هو السياسة.

جاء هذا النقاش المثير حول مسألة تدريس اللغة العربية على خلفية التقرير الذي قدمه الخبير حكيم القروي لمعهد مونتاني في سبتمبر الماضي، وهو أحد المقربين من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والذي دعا فيه إلى ضرورة تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في المدارس الفرنسية لمواجهة التطرف الديني والسلفية الفكرية المعششة في المدارس القرآنية.

ولنتساءل وبكل صراحة ووضوح: هل تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية هو السبيل للقضاء على السلفية أم هو تكريس لها؟ وهل تعليم اللغة العربية هو محاربة للتهميش الذي تعاني منه الجالية المغاربية والعربية أم هو تكريس له باعتبار أن المستهدف من تدريسها هم "أبناء الجالية" العربية والمغاربية لا غيرهم، بذلك فهو تدريس يكرس "فكرة الغيطوه" (Ghetto) اللغوي والإثني؟

أعتقد أن تدريس اللغة العربية في المدارس الفرنسية لأبناء الجالية العربية والمغاربية من الجيل الأخير هو تكريس للتهميش وهو أيضا تعميق لتكريس الانقسام اجتماعي وهو خلق كنتونات وغيطوهات ثقافية متقوقعة حول الهوية واللسان، وهو (أي تدريس العربية) إضافة إلى ذلك حجة لتقوية خطاب اليمين المتطرف الفرنسي وتكريس للشعبوية السياسية التي يتولاها اليمين المتطرف واليسار المتطرف على حد سواء.

إن تدريس اللغة العربية بنيّة محاصرة الإسلاموية والتعصب هو سعي واه، بل العكس تماما، إن تدريس هذه اللغة هو تكريس لفكر الإسلاموية في الجيل الجديد، لأن العربية في مخيال المغاربي والعربي تظل لغة الجنة ولغة الله، وبالتالي فتدريسها هو نفس جديد لتطعيم المخيال الإسلاموي مع الجيل الجديد من أبناء الجالية العربية والمغاربية في أوروبا.

كما أن تدريس العربية سيكون، في غياب البرامج التنويرية وغياب الكفاءات التربوية، عبارة عن مغامرة خطرة وستكون نتيجتها هي: تسليم المدارس للمساجد، إذ سيصبح تدريس العربية ملحقا بما تعلمّه المدارس القرآنية السلفية التي تكاثرت كالفطر في كل المدن الفرنسية والأوروبية بشكل عام.

أعتقد أن الطريق الأسلم لفك الحصار السياسي والاقتصادي والسيكولوجي والثقافي عن الجيل الجديد من أبناء الجاليات المغاربية والعربية في فرنسا لا يكون بمغامرة تقوم على تدريسهم اللغة العربية وإنما يجب الحرص على تعليمهم اللغة الفرنسية تعليما جيّدا وصحيحا وتعميم ثقافة اللائكية والديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام المرأة والدفاع عن قيم المواطنة، بمثل هذا التوجه يمكن أن يكون الاندماج بشكل طبيعي في بنية المجتمع الفرنسي الجديد والمتعدد.

ولفك العزلة المضروبة عن أبناء الجالية المغاربية والعربية من الجيل الثالث والرابع ولمواجهة ومحاربة ثقافة الكراهية التي بدأت تظهر وتنمو بشكل قوي في المجتمع الفرنسي، يجب على المؤسسات التربوية والثقافية والفنية الفرنسية أن تفكر في التوزيع العادل للخبرات الثقافية التنويرية الجادة على هذا الجيل، من أدب وموسيقى ومسرح وفن تشكيلي.. سواء كانت ثقافة فرنسية أو عالمية، القادمة من الأركان الأربعة، ومن بينها الثقافة العربية والمغاربية التنويرية.

ولماذا لا يتم التفكير في تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس الابتدائية الفرنسية باعتبار أن الجالية المغاربية في عمومها تنزل من أصول بربرية وأن لغة الأم لديها هي اللغة الأمازيغية؟

انطلاقا من ذلك، فبدل الحديث عن تدريس اللغة العربية لهذا الجيل الجديد من أبناء الجالية الفرنسية ذات الأصول المغاربية بهدف الوصول إلى مصالحة مع أصولها ومرجعياتها وثقافتها، أما كان من الواجب ومن الأولى السعي إلى تدريس اللغة الأمازيغية، لأنها "لغة الأم" لغالبية الأجيال المتلاحقة من أبناء الجالية المغاربية. وإن تعليم هذه اللغة هو في الوقت نفسه دعم للتجربة التعددية اللغوية في البلدان المغاربية التي اعترفت في دساتيرها باللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية، وهي اللغة، ورغم بعدها عن المخيال الديني، فإنها تساهم في هذا التصالح مع الجذور بشكل ثقافي وأنثروبولوجي بعيدا عن الإسلام السلفي المتطرف.

الكتابة تحت وطأة الهول

محمد حياوي
كاتب عراقي

❏ طالما تساءلت عن كم التأثير الهائل الذي تركته الحرب على وعيي وإسهامها في تكويني الكتابي. في الغرب لا يعدّون من دخل حربا سويا، على الأقل من الناحية النفسية، ويعاملونه معاملة خاصّة، ويخضع في الغالب لحالة طويلة من العلاج النفسي. لاحظ أنّهم يتحدثون هنا عن حروب قد تدوم أيّاما أو أسابيع أو أشهرا. فما بالك في من يدخل حربا منذ الثامنة عشرة ويخرج منها وهو في عمر الثلاثين؟

وعلى الرغم من كل ما يُسبغ على الحروب من مسميات أو مبررات، من مثل الحرب من أجل فرض السلام أو حرب الضرورة أو الحرب المقدسة أو حرب التحرير وغيرها، إلا أن الحرب تبقى في حقيقتها التي خبرتها جيّدا، شرا مطلقا. يقول وليم غولدنغ في معرض حديثه عن روايته الشهيرة "ملك الذباب" وهي رواية حرب بامتياز، إنّ الإنسان ينتج الشر كما ينتج النحل العسل، وهو توصيف استعاري طالما وقفت عنده وتأمّلته في الحقيقة، فالذي يمتص رحيق طفولته من العنف والحرمان والموبقات والكبت، لا بد سيكون سلوكه عدوانيا وشريرا لاحقا، حتّى لو غلف سلوكياته تلك بالشعارات البراقة، بطعم العسل. لقد تمكنت الحرب في المحصلة، من كسرنا في النهاية، وهذا أمر مؤكد، لكنّها لم تستطع تحطيمنا تماما لحسن الحظ، وعلى الرغم من أنّنا لسنا أسوياء نسبيا، لكننا قادرون على الكتابة في لحظات أسطورية ومخاتلة الوحش الكامن داخلنا. نكتب عن الحبّ والجمال والإحساس، في غفلة منه، خوف أن يستيقظ ويداهمنا ويسوّد خيالنا من جديد.

وطالما هناك حروب، سيظل هناك كتّاب يحاولون فهمها واستلهام شيء مفيد من حطامها. لقد كان جيلي من الأدباء في العراق جيل محنة وتشرد وتهديد مصير، ولعله الجيل الأدبي الوحيد في العالم العربي الذي تعرض لمثل تلك المحن، فمنذ امتلاكنا لوعينا الإبداعي مطلع الثمانينات، نشبت الحرب العراقية الإيرانية الطاحنة التي استمرت أكثر من ثماني سنوات وطبعت ذاكرتنا بمشاهد القتل والدم، ثم اندلعت حرب الكويت وما تلاها من هزات ارتدادية عميقة مهدت في آخر المطاف للاحتلال الأميركي للعراق وانهيار النظام السابق وتحطيم الدولة العراقية بالكامل، ومن ثم تعرض العراق لحصار اقتصادي ظالم وشرس أدى في المحصلة إلى انهيار البنية الأخلاقية للمجتمع ككل.

إن تلك المحن والمتغيرات العميقة التي امتدت على مدى ثلاثة عقود، هي عمر جيلنا الافتراضي وفترة امتلاكه لوعيه النقدي والإبداعي، طبعت كتاباتنا بطابع المأساة وما زالت، ولا أعتقد أننا سنتخلص من ذلك التأثير الساحق قريبا.

أتخيل الجنود الناجين من الحروب مثل الأنبياء والكهنة، فهم على الرغم من امتلاكهم القوّة والقلوب الميتة من كثرة ما رأوه من القتل والدمار والرزايا، إلّا أنهم معبؤون حكمة وتأنيا وصمتا. ينظرون إلى ما يجري حولهم من حياة صاخبة بريبة وتوجس، ويتحركون بحذر، وعندما ينفردون بأنفسهم يبكون بحرقة لأتفه الأسباب، ويدفعون حبيباتهم السابقات دفعا إلى اختيار غيرهم من الرجال الأسوياء، خوفا عليهنّ من عطب أرواحهم.

أن تكتب تحت وطأة تلك التفصيلات المهولة، معتمدا على التذكر، وتحف جوانحك الآلام والخشية من المستقبل، وعقلك يستحضر تلك الوجوه التي قاسمتك لحظات الرعب والجوع والتعلّق بحبل النجاة المتأرجح بين الحياة والموت، لهو عذاب موجع في الحقيقة، لكن الأكثر وجعا منه هو محاولتك دفن ماضيك في الجزء الخلفي من رأسك المقاوم للانفجار ومحاولتك فتح نافذة للضوء المشرق ليتسلل إلى ذاكرتك وصورها المتربة بفعل الزمان وتكتب روايات عن الحبّ، قد تعلق تفصيلاتها في شغاف القلوب وتعرّش في رؤوس القرّاء الذين سيلعنونك في النهاية، لأنّك أفسدت عليهم يومهم وتركتهم معلقين في الهواء.

إن الروائي كان مسؤولا

لطيف زيتوني: انتهى مشروع النهضة العربية وانتهينا إلى أرض أخرى

يعتبر الباحث والناقد اللبناني الدكتور لطيف زيتوني أحد أبرز الأكاديميين في العالم العربي، فهو صاحب إسهامات ملحوظة في حقل النقد الأدبي والنقد الثقافي، وفي رصيده مؤلفات تركت أثرا في وعي قراء الأدب. في كتابه الجديد الموسوم بـ«الرواية والقيم»، الصادر مؤخرا في بيروت يبحث في هوية الشخصية الأدبية التي تكتب الرواية، وطبيعة الوعي الثقافي والمجتمعي لدى كاتب الرواية، أي "الروائي المثقّف" الذي يحمل الهمّ الأخلاقي، ويوظف كتاباته في خدمة قضايا مجتمعه. "العرب" التقت صاحب كتاب «الرواية العربية: البنية وتحوّلات السرد»، المتخصّص في دراسات النقد الأدبي الحديث، للتوسع أكثر في موضوع كتابه الجديد وما جاء فيه من أطروحات مستجدة.

أوس داوود يعقوب
كاتب فلسطيني

لطيف زيتوني: اترجم بمزاج شخصي حر

❑ يحدثنا د. زيتوني في بداية حوارنا معه عن انشغالاته الحالية على صعيد الكتابة، فيقول "أعمل الآن على كتاب في النقد يتناول المسائل السردية الجديدة، تلك التي شهدت تطورا حقيقيا في السنوات القليلة الماضية. إنّه حلقة جديدة في مشروعي الذي بدأته منذ سنوات لتحصين النقد العربي من خلال ضبط المصطلحات وتوضيح المفاهيم وتجربة مقاربات جديدة تساهم في تطور التفكير النقدي".

وعن كتابه النقدي «الرواية والقيم»، والأمر الذي قاده لهذا الموضوع تحديدا، يُنبئنا صاحب «سيمياء الرحلة»، أنه "يعالج قضية المسؤولية. فكلّ حيّ مسؤول عن نفسه، ولكنّ من يتوجّه إلى الناس يصبح مسؤولا أيضا عنهم. الكاتب هو أكثر من يتوجه إلى الناس، لهذا ينبغي أن يكون أكثرهم مسؤولية عنهم. هذه المسؤولية لا تمكن ممارستها دون معايير، والقيم هي هذه المعايير. هذا العمل يهتم إذن بمسؤولية الكاتب، وتحديدا كاتب الرواية. ولكنّ الكاتب قد ينكر هذه المسؤولية، أو يتجاهلها، أو يمارس ما يناقضها. فالمسؤولية، وإنْ كانت واجبا أخلاقيا، ليست واجبا قانونيا، أي ليست إلزامية. لهذا يدرس هذا العمل طبيعة الكتّاب الذين يلتزمون بواجب المسؤولية، أي مَن يُطلق عليهم الناس اسم المثقّفين. ثمّ يدرس دور الكاتب المثقّف في الدفاع عن القيم، ويضع ترسيمة للمسؤوليات تشمل كل عناصر العمل الروائي، الحقيقي منها كالمؤلف والقارئ والناشر والناقد والمترجم، والمتخيل كالراوي والمروي له والمؤلف الضمني والقارئ الضمني. ثمّ ينتقل من الدفاع إلى الثورة على القيم المضادّة فيبحث في تجربة المثقفين العرب وطبيعة الالتزام الروائي وفي وسائل الثورة التي تعتمدها الرواية".

ونسأله عن كيفية اختياره لعنوان دراسته الجديدة، وهل كان هو المدخل لها عنده؟ فيجيبنا قائلا "المدخل إلى هذه الدراسة، والغاية التي تتطلع إليها أيضا، هما البحث في مسؤولية الكاتب، ولما كانت المسؤولية تقوم على القيم، والقيم معايير متطورة وأحيانا خلافية بين البيئات وبين الطبقات، كان التركيز عليها ضروريا لتحديد وضبط المبادئ التي تحكم ممارسة هذه المسؤولية".

نقد الرواية

في هذا البحث عمل صاحب «معجم مصطلحات نقد الرواية» على مناهج عدة ومختلفة، جامعا بين النقد الثقافي والنقد الأدبي والروائي خاصة، والدراسات الحديثة في علم الاجتماع وفلسفة الأخلاق وتاريخ الثقافة. وهو هنا يستفيض أكثر في شرح هذه النقطة، فيقول "لا يمكن دراسة مسؤولية الكاتب من دون التعريج على مسؤوليات عدد من المشاركين في تحقيق الرواية كالقارئ والناشر والناقد والمترجم، ولا تكتمل هذه المسؤوليات من دون مسؤوليات المجتمع والدولة. هذه المسؤوليات المختلفة والمتعدّدة لا يحيط بها منهج نقدي واحد، أو مجال معرفي واحد. نعم، قد يكتفي الدارس الملتزم بمنهج واحد لمقاربة موضوعه، وهو دأب معظم النقاد، ولكنّ ذلك لا يعني استيفاء الغرض، بل يعني تغليبَ الجانب الذي يركّز عليه هذا المنهج، واعتبارَه الأهم. فالواقعية الاشتراكية أو البنيوية أو اتجاهات ما بعد البنوية أو مقاربات التحليل النفسي أو النقد النسوي تقدّم لنا كلها تحليلا دقيقا متسقا، ولكنه جزئي وليس كاملا. ومن يرغب في الكشف عن كل جوانب موضوعه عليه أن يدخل إليه من كلّ أبوابه".

يرى نقّاد أنّ علاقة الرواية بالقيم الإنسانية العقلانية والحرية والتنوير إنّما هي البحث في كيفية انخراط العرب من خلال مثقّفيهم في تجديد النموذج الثقافي العربي. وهذا إسهام فكري في الدفاع عن القيم الإنسانية ونشرها وتمكينها من جهة، والثورة على القيم المضادّة من جهة أخرى لبناء مشروع نهضة عربية في عصر نبدو فيه أبعد ما نكون عن النهضة.

فما هو رأي الأستاذ المحاضر في "الجامعة اللبنانية الأميركية" سابقا، وما هي الأبعاد التي ذهب إليها في هذا السياق ضمن كتابنا هذا؟ فيقول "بناء مشروع نهضة عربية لم يعد مطروحا. جيل المثقفين العرب الذين نشطوا في مطلع القرن العشرين كانوا يتطلعون إلى المستقبل، ويحاولون بناءه على أساس القيم التي قامت عليها الدول المتقدمة. وليس هناك من ينكر أنهم حققوا قدرا من غاياتهم، بدليل الفرق الواسع بين حال العرب قبل الانفتاح على الغرب وحالهم بعده". ويضيف "المثقفون اليوم يركّزون النظر في الحاضر، لأنّهم يدركون أنّ المستقبل ما عاد رهنا بإرادة الشعوب، بل بإرادة القوى الاقتصادية العظمى التي تسيّر العالم. لم يعد بناء المستقبل هو الهدف بل ضمان المستقبل، أي حماية حق الناس في الموارد الطبيعية والعمل الكريم والمشاركة في ما يُرسم حاضرا لمستقبلهم. لم تعد المعركة محلية الطابع أو قومية الحدود، صار استمرار الإنسان نفسه في خطر بعدما سادت قيم الربح، وسيطر الرأسمال على الإعلام ودور النشر، وبدأت الآلة تحل محل الإنسان في الكثير من المجالات، وتحكّمت وسائل التسلية الآلية في الوقت المتاح لشبابنا لتنمية ثقافتهم. وهذا يرتب على المثقّفين العرب أن ينخرطوا في الجهود الثقافية الدولية التي لا بدّ أن تتضافر للدفاع عن الإنسانية وقيمها الإيجابية ولمواجهة القيم المضادّة التي تعتمدها وتروّج لها القوى الاقتصادية المهيمنة على العالم".

لضيفنا تعريف خاص لمفهوم "المثقّف" ودوره في المجتمع، أبرزه في كتاب «الرواية والقيم»، ويرسم هنا ملامحه بالقول "التعريف الملائم للمثقّف هو ذاك الذي أعطيَ له في الأصل حين أطلق جورج كليمنصو على الموقّعين على العريضة المطالبة بإعادة محاكمة دريفوس (وهو الضابط الفرنسي الذي اتّهم زورا بالتجسس ضد بلاده) اسم المثقّفين، (واصفا المثقّف بأنّه رجل قضية، يؤثر في الرأي العام، ويعزّز الأمل بالمستقبل). ولكنّ كلمة مثقّف، كالكثير من الكلمات الشائعة المعبِّرة عن مفاهيم متعالية، تجري على ألسنة الناس بمعان تقريبية تستوعب شيئا من دلالتها الحقيقية من دون أن تدركها كلّها. ولا يقتصر الأمر على العامة، بل هو قائم على كل مستوى، ويصيب كلّ مفهوم شائع. ففي الستينات اشتكى جان بول سارتر من استعمال الناس لكلمة وجودية بعدما حمّلوها دلالات لا تمتّ إليها بصلة، وأحيانا دلالات تناقض أصلها. لهذا كان لا بدّ، ونحن نبحث في مسؤولية الكاتب، من ضبط مصطلح المثقّف بالعودة إلى مَنشئه وكشف المفهوم الذي وُضع له، ثمّ تتبع هذا المفهوم في كتابات كبار المفكّرين الذين خصّصوا له مساحة واسعة في نتاجهم. ولقد توصلتُ نتيجة لهذه المراجعة إلى أنّ مفهوم المثقّف لا بدّ أن يحافظ على الركائز الثلاث التي ذكرها كليمنصو، ولا بدّ في الوقت عينه من أن يتحرّر من الدلالة المتعالية التي سجنه فيها سارتر ووسائر أهل الفكر، وأن يتّسع للمجالات كلها بقضاياها وشخصياتها. لهذا وضعتُ تصورا جديدا له يستوعب درجات مختلفة من القضايا ومن المثقفين أيضا".

الروائي المثقّف

"الروائي المثقّف"، مصطلح عمل على سكّه د. زيتوني في هذه الدراسة. فما هي سماته؟ الجواب يأتينا على لسانه "مصطلح الروائي المثقف يفترض نقيضه، أي الروائي غير المثقف. وهذا المصطلح الأخير ليس بأي حال حكما على موهبة الروائي أو على القيمة الفنية لرواياته". ويتابع قائلا "الروائي المثقف يلتزم بقضايا مجتمعه وبقضايا الإنسان. ولكنّ الالتزام ليس على درجة واحدة، ولا على صورة واحدة. وهناك فرق أيضا بين الروائي الملتزم والرواية الملتزمة، فالمصطلح الأول يعبّر عن الالتزام الثقافي، بينما الثاني يعبّر عن الالتزام الإيديولوجي". ويردف محدثنا "الروائي المثقف يجمع بين صفتين غير متلازمتين بالضرورة. فليس الروائي مثقفا بالضرورة، ولا المثقف روائيا بالضرورة. والمثقف ليس المتعلم؛ وإن كان المثقفون متعلمين، وليس الكاتب، وإن كان أشهر المثقفين من الكتّاب. والروائي يصبح مثقفا حين ينخرط في الشأن العام، ويكون له رأيٌ في ما يجري حوله، ويتخذ مواقف معلنة من الواقع الذي يعيش فيه، ويكون انشغاله بالشأن العام منطلقا من فهْم واضح لمبدأ المسؤولية الاجتماعية، ومرتكزا على قواعد مشتركة هي القيم الإنسانية. وأضاف الروائي بصفة المثقّف تظهر في حياته الواقعية وفي رواياته على السواء، فلا يمكن أن يناقض في سلوكه ما يعبّر عنه في رواياته".

"العرب" تسأل د. لطيف زيتوني: هل بإمكان الرواية أن تلعب دورا فاعلا في الدفاع عن القيم؟ فيجيب "هذا أمر لا شك فيه. لأنّ الرواية تقدّم واقعا في أزمة، سواء كان واقعا اجتماعيا أو سياسيا أو فرديا؛ وتتعامل شخصياتها مع هذه الأزمة بناء على قواعد أو مبادئ أو معايير تسمى القيم. والدفاع عن القيم يتم بأشكال كثيرة، مباشرة وغير مباشرة؛ على لسان الراوي، وعلى لسان الشخصيات، ومن خلال اختيار الموضوع، وتوجيه الحوادث، واختيار الخاتمة، ومن خلال خلق صراع بين الخيارات تذهب فيه الشخصية الرئيسية من الدفاع إلى المواجهة، مواجهة القيم السلبية والنقيضة التي تتزيّا بألف زيّ ويغلفها أصحابها بألف تبرير. فالرواية هي أكثر الأنواع الأدبية استيعابا لمعركة القيم".

مغامرة في المجهول

لصاحب «حركة الترجمة في عصر النهضة» رؤية خاصة حول "مغامرة الكتابة" التي منحته من الكتب: «معجم مصطلحات نقد الرواية»، و«الرواية العربية: البنية وتحوّلات السرد»، و«الرواية والقيم»، إلى جانب كتب أخرى في حقول أدب الرحلة والترجمة. يبينها لنا بالقول: "البحث مغامرة حقيقية، خصوصا لمن يستهويهم المجهول فيتوغلون بعيدا لاكتشافه. ولكني لا أرغب في الاكتشاف من أجل ذاته بل من أجل توظيفه في خدمة الآخرين. حين بدأت كتابي «سيمياء الرحلة» في الثمانينات كانت السيمياء منصبّة على الحكاية القصصية، فأثرت أن أساهم باستكشاف مجال آخر هو الرحلة، لأنّ العرب قبل هذا الزمن برعوا فيها أكثر مما برعوا في القصة. وحين كتبت «معجم مصطلحات نقد الرواية» كان الاضطراب في فهم مصطلحات السرد شائعا في جامعاتنا وصحافتنا، وعلى أقلام النقّاد والدارسين والروائيين على السواء، فكان لا بدّ من معجم يشرح المفاهيم ويضبط الاضطراب.

وفي «الرواية العربية: البنية وتحوّلات السرد» تناولت أيضا مسألة المفاهيم، كالتجريب الروائي والسيرة كشكل سردي والتخييل الذاتي، إلخ. ولكن بتوسّع لا يسمح به المعجم. أمّا في كتاب «الرواية والقيم» انتقلت من ممارسة المسؤولية إلى طرح قضية المسؤولية. فبعدما كشفت الثورات العربية هشاشة ثقافتنا وتخلف شعبنا، حان الوقت لنطرح مسألة المسؤولية، لا لنحاسب بالضرورة، بل لنستكشف قدراتنا ونجمع قوانا ونستغل ما بأيدينا من أجل أن يمارس من يرغب منا دوره كمثقّف".

> علاقة الرواية بالقيم الإنسانية العقلانية والحرية والتنوير إنما هي البحث في كيفية انخراط العرب من خلال مثقّفيهم في تجديد النموذج الثقافي العربي. وهذا إسهام فكري في الدفاع عن القيم الإنسانية ونشرها

ننتقل مع مُحدثنا للحديث عن اشتغاله في حقل الترجمة، سائلين إياه: أيّ دور للترجمة في تطوير الأجناس الأدبية؟ فيجيبنا "هذا السؤال هو موضوع كتابي «حركة الترجمة في عصر النهضة» الذي درستُ فيه الكيفية التي تمكنتْ بها الترجمة من تطوير الأجناس الأدبية المعروفة عندنا (كالشعر والقصة)، ومن إدخال أجناس جديدة (كالمسرحية)، ومن إغناء اللغة العربية بالمفردات والتعابير والمصطلحات وتخليصها من تكلّف السجْع، ومن فتح عقول الكتاب على آفاق جديدة. فالترجمة انفتاح على المختلف، وهي من أهم مغذيّات الأدب، وفي طليعة أسباب تطوّره".

وبسؤاله عن الذي يُحدد اختياراته للأعمال التي يترجمها؟ وعن المبادئ أو القواعد التي يسير وفقها كمترجم، وهل له عادات معينة في الترجمة؟ يجيب "ما حدّد اختياري هو أهمية الكتاب ومعرفتي بموضوعه. ومبدئي في الترجمة كان أنّ الدقّة في نقل المعنى يجب أن يصاحبها وضوح العبارة المترجمة. أما العادات فليس لي عادات، لا في الترجمة ولا في الكتابة عموماً".

وعن أثر ترجماته في كتاباته النقدية؛ وهل استفاد من الترجمة في حقل الدراسات النقدية الحديثة؟ فيقول "ربما أثّر فيّ الكتابُ الأول الذي ترجمتُه، وهو «المسائل النظرية في الترجمة» لجورج مونين. فهو يدرس الترجمة كإمكانية علمية من خلال كل العلوم التي تناولتْها. وهذه المقاربة الشاملة المتمسّكة بالدخول إلى أعماق الموضوع تدلّ على التزام شخصي ووجداني وعلمي بالحقيقة من جانب المؤلف. وهذا هو الالتزام الأقرب إلى نفسي".

وأخيرا، نسأل ضيفنا عن آخر الترجمات التي نشرها، وماذا يترجم الآن؟ فيعترف لنا أنّه لا يعتبر نفسه مترجما حقا. ويضيف "لقد استهوتني الترجمة لفترة من الزمن ألّفتُ فيها كتابا عنها، ثمّ نقلتُ كتابين أحدهما يتعلق باللسانية والترجمة، والآخر يتعلق بقضايا الأدب العامة. ولكني أهملتُها بعد ذلك لأتفرّغ لدراساتي في نقد الرواية ونظرية الأدب".

الشُّلُك يستظلون بسلفهم العظيم نيكانقو

«التراث الشعبي لقبيلة الشلك» كتاب يروي تاريخهم الواقعي والأسطوري

باسم فرات
كاتب عراقي

❏ لطالما شعرت أن ثقافتنا تفتقر إلى الاغتناء بذلك التنوع المدهش في العالم العربي، وكذلك التنوع المحايث لنا، بل إنها من هذه الزاوية تكاد تكون صفراً، وفي أحسن الأحوال قاصرةً، وبفضل وجودي في زي الجديدة (نيوزيلندا) تعرفتُ على التنوع العراقي، أنا ابن العراق وكنت أجهله، وكذلك على بعض التنوع في البلدان العربية الأخرى، وأعني بالبلدان العربية البلدان الأعضاء في جامعة الدول العربية، لكن يبقى التعرّف على أشخاص ينتمون إلى مجموعات لغوية مختلفة في المنفى هو تعرّف من الصعبِ أن يكونَ عميقاً، للقلّة العددية لهؤلاء، ولأنهم في الغالب الأعمّ لاجئون يحملون بعدًا أيديولوجيًا في أحاديثهم، وليس بعدًا معرفيًا خالصًا.

مؤخراً صدر في الخرطوم كتاب "التراث الشعبي لقبيلة الشلك"، جمع وإعداد: جيمس ألالا دينق، مراجعة: الأمين أبومنقة، إصدار شعبة الفولكلور، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية في جامعة الخرطوم. وهو كتاب يقدّم معرفة واسعة جداً بتراث هذه القبيلة الأفريقية الكبيرة. كانت معرفتي "بالشُّلُك" لا تزيد عن معرفتي بطقس السودان، ودهشتي حين أخبرنا قائد الطائرة وهي تهم بالهبوط في مطار الخرطوم الدولي، بأنّ درجة الحرارة العظمى هي 28 مْ درجة مئوية، وأنا القادمُ من شهر أغسطس اللهّاب العراقي، الذي درجة الحرارة فيه تعانق الخمسين أحيانًا بل تتعدّاها في أكثر من مرة، لكن بعد مرور أكثر من أربعة أعوام، أجدني اليوم أفقه أكثر عن السودان وجنوبَ السودان، وطبيعته وعن "الشلك" بطبيعة الحال.

> ثمّةَ ثماني رواياتٍ لتاريخ «الشُّلُك»، وهي روايات شعبية، أبدعتها المخيلةُ الشعبية «للشُّلُك»، روايات أسطورية، و«الشُّلُك» إثنية تُعدّ فرعًا من مجموعة «اللوو» التي تسكنُ كينيا وأوغندا وزائير وغيرها من البلاد الأفريقية

في أيامي الأولى كنت محظوظًا إذ حضرتُ جلسةً في اتحاد الكتاب السودانيين، وكان حفل توقيع كتاب "أوضاع اللغات السودانية والتخطيط اللغوي –1898 2009 ميلادية" للدكتور بهاءالدين الهادي خير السيد، وكان مفتاحًا لمعرفة أعمق للسودان، وقد تناولته في مقالة نشرتها في "مجلة الجديد" اللندنية، وفي هذه المقالة سأتناول "الشُّلك"، هذه الإثنية التي مثلها مثل كثير من القبائل السودانية، لم تتوفرْ عنها دراساتٌ مطولةٌ، في بلد (السودان وجنوب السودان) يحوي (597) قبيلة بحسب تعداد عام 1956.

قادني البحثُ عن التنوع اللغويِّ بثرائه المدهش في السودان، إلى معرفة أحسب أنها عميقة عن هذا البلد المتفردِ بخصوصيات عديدة، وإن كانت أشهرها طيبة أهله المفرطة، فمن خلال عدد كبير من المثقفين السودانيين الذين تعاونّوا معي في معلومات غزيرة أمَدّوني بها عن تنوّعهم المدهش، فضلًا عن ترشيح كتب تجعلني على بينة أكبرَ مع السودان الكبير (جمهورية السودان وجمهورية جنوب السودان على السواء) وكذلك حرصي على حضور أي فعالية ثقافية، ولا سيّما ما يتعلق بالتنوع الإثني في أرضِ النيلين.

يقطن "الشُّلُك" في أعالي نهر النيل، من منطقة بحيرة "نو" في الجنوب حتى نواحي "كوستي" في الشمال، ويسكن الجزء الأكبر منهم الأراضي الواقعة غرب نهر النيل الأبيض، فضلًا عن ضفّتَي نهر السوباط، وتشارك "الشُّلُك" في منطقة أعالي النيل التي تقع في الجزء الشمالي لجنوب السودان خمس قبائل أخر هي الدينكا والنوير والأنواك والبرو والمورلي. وأراضيهم طينية منبسطة في الغالب، إذ تندر الجبال والأحجار العالية فيها، وتقع ضمن إقليم السافنا المناخية، وتهطل أمطارها في شهر أبريل وتستمرُّ زهاء ثمانية أشهر في العام.

تاريخ «الشُّلُك»

ثمَّةَ ثماني روايات لتاريخ "الشُّلُك"، وهي روايات شعبية، أبدعتها المخيلةُ الشعبية "للشُّلُك"، روايات أسطورية، و"الشُّلُك" إثنية تُعدّ فرعًا من مجموعة "اللوو" التي تسكنُ كينيا وأوغندا وزائير وغيرها من البلاد الأفريقية الأخرى، كما لها صلاتٌ بعيدةٌ مع بعض القبائل الأخر في السودان، كالأنواك في أعالي النيل، والأشولي ولوو كورو في الاستوائية، وجور وبلندا بوذر في بحر الغزال، فضلًا عن تأثرها بالعديد من الإثنيات السودانية كالدينكا والنوير والنوبيين والفونج وكذلك العرب بطيعة الحال. وتُصنّف بأنها من القبائل النيلية، مؤسِّسها زعيمهم الأول "نيكانقو واد أو كوا"، فقد قدم السودان من منطقة البحيرات الأفريقية العظمى، وعاش في منطقة واو "بحر الغزال"، وهي التسمية نفسها التي تطلق على قرية "واو" الموجودة حاليًا في أعالي النيل، وهي واحدة من القرى العشر التي أقامها "نيكانقو" على طول الطريق الذي سلكه من جنوب "الشُّلُك" إلى شماله في أيامه الأولى.

ترك نيكانقو بحر الغزال إلى بلاد الشُّلُك الحالية عبر معارك وفتوحات كثيرة، استطاع من خلالها أن يخضع القبائل المحلية أو بعضها بعد أن سال الدمُ كثيرًا، ومن ثم يضمُّ أفرادها إليه، وينشئ لهم قرى، ويجعل لهم أسماءً يعرفون بها بوصفهم عشائر، وبذلك تمكن من إقامة مملكته والتي "فشودة" عاصمتها إلى يومنا هذا؛ ونستنتج أنَّ إثنية الشُّلُك نتاج تصاهر إثنيات وأعراق شتّى، نتيجة جبروت ملوكها. وهذه من القواعد الثابتة في تكوين الأمم والقوميات والإثنيات التي تسود، فمَن زعم أنّ الناطقين بالعربية اليوم جميعهم ينتمون إلى جدّ أعلى هو يعرب فهو واهمٌ، وزعمه منافٍ لحقائق التاريخ التي تؤكد انصهار مجموعات سكانية صغيرة حتى لو كانت تنتمي إلى مجموعة كبيرة ولكنها جغرافيًا تعيش على أطرافها أو بعيدة عنها، في مجموعة لغوية كبرى بخاصة حين تكون هذه المجموعة تتسيَّد سياسيًا أو عسكريًا أو ثقافيًا.

نيكانقو واد أو كوا

بطل الشُّلُك المقدس، وقائدهم ورمزهم العظيم والذي يمثّل روح القبيلة. وتخبرنا أساطيرهم عن مزاياه وقواه الخارقة، ومقدرته الأسطورية؛ إذ كان يثير الرياح والزوابعَ، ويأتي بالمطر الغزير، ويبارك الزرع فيأتي بالحصاد الوفير، كما كان يبسط حمايته على الأرض حارسًا وراعيًا أمينًا؛ والشُّلُك وهم محاربون تبهرهم البطولة مثل معظم الأقوام، فلا بدّ أن يكون نيكانقو محاربًا جسورًا، انتصر على كل القبائل التي مروا بها في طريق هجرتهم، بل وانتصر على الشمس عندما اعترضتهم وهم يهمون بعبور بحر الغزال، فقد مالت الشمس عليهم واشتدَّ وهجها وسلطت عليهم شواظها، فما كان من نيكانقو إلاّ أن أمسك بحزمة من الأرز البريّ الذي كان ينبت على الشاطئ، فغمسها في ماء النهر فقذف بها الشمس الملتهبة فخبا وهجها، وتراجعت حرارتها وسكنت باردة مستسلمة.

ومن معتقدات الشُّلُك أنَّ نيكانقو لم يمت بل تَبَخّرَ في الهواء في شكل دخان، وذلك حتى تبقى روحه ترفرف على القبيلة حارسةً وراعية لها، ومن ثمّ فإنهم عندما يتوّجون مليكهم الجديد "الرث" فإنهم يجيئون برمز البطل الأسطوري نيكانقو ليسبغ على الرث الجديد روحه، وتحل فيه فيكون قويًا حاميًا للقبيلة.

لغة الشُّلُك

تُعدّ لغة الشُّلُك فرعًا من فروع لغة "اللو" وهي لغة شأنها شأن اللغات الأفريقية الأخر، ما زالت تشقّ طريقها نحو التطور لاستيعاب حضارة العصر، واللغة الشُّلُكية غنية وتمتاز بكثرة المشتقات والاستخدامات المرنة والبليغة، إذ يمكن التحدث بها بما لا يكون بمقدور الغير فهمها، حتى ولو كان الكلام بخصه وفي وجوده وكانت العباراتُ صريحةً، وعلى هذا فإنه غالبًا ما يصعب فهم لغة الشُّلك إلا في جملها النهائية. وتوجد فوارق ضيقة من حيث النطق والاستعمال لهذه اللغة، فيما بين إقليمَي شمال الشُّلُك، ويطلق عليه اسم "قار" أو "غار" (لأنَّ السودانيين يلفظون حرف القاف بصوت حرف "G" الإنكليزي) وجنوب الشُّلُك يطلق عليه "لواك"، ولهذا كان هنالك اختلاف في كتابة اللغة "الشُّلُكية" عند المبشّرين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت.

تتألف اللغة الشُّلُكية من تسعة وعشرين حرفًا، وهي لاتينية الرمز، عشرة منها حروف متحركة، وتنقسم إلى نوعين، خمسة متحركة خفيفة النطق، والخمسة الأخرى متحركة ثقيلة النطق، وما تبقى فهي حروف صوامت وعددها تسعة عشر حرفًا، واللغة الشلكية متأثرة باللغات الأخر، لا سيّما لغات القبائل النيلية كالدينكا – جنقو والنوير فضلًا عن لغة الأنواك – أنواك وبلندة بور وأشولي والجور – ديمو والفونج، وغيرها من القبائل التي يعود أساسها العرقي والثقافي إلى مجموعة اللو.

الشلوخ (طاي)

الشلوخ هو فصد الجباه أو الوجه بعمل ثقوب أو شقوق في الجلد، وقد وردت لفظة (الشلخ) في تاج العروس بين جواهر القاموس، وفيها أن الشلخ هو الأصل والعرق (ونجل الرجل)، والشلخ عند العامة لحاء الغصن والشجرة. ويتم رسم الشلوخ عندما يصل الفتى أو الفتاة سن البلوغ حيث تقام طقوس احتفالية للتشليخ والإيذان بانتقالهم من طور الصبا إلى مرحلة الرجولة، وأن البنت قد أصبحت فتاة مؤهلة للزواج وإنجاب الأبناء، ويطلق عليها في اللغات المحلية مصطلح "الدفعة" وتستخدم فيها آلات حادة (الموسى والسكين) وعند "الشلك" تأخذ شكل الذوب البارزة على الجبهة، وتعرف لديها بـ"طاي"، وليس هناك عمر معيّن للشلوخ في القبيلة، حيث يمكن أن يشلخ الفرد في العاشرة من عمره.

تتميز قبيلة الشلك بوضع وشم على وجوه أفرادها من الجنسين، ويبدأ ذلك في الغالب من بلوغ الشخص عمر سبع سنوات فما فوق، وتختلف الآراء حول الدوافع أو الغاية من الشلوخ (طاي) وزمان بدايتها، فثمة مَن يرى أن الشلوخ ترجع بدايتها إلى نشأة القبيلة، أي منذ عهد نيكانقو، بينما يرى آخرون أن تاريخ الشلوخ يعود إلى عهد الرث دوات الذي يوجد معبده أو ضريحه الآن في قرية "فطورو"، أما بخصوص الدوافع أو الغاية من التشليخ، فثمة مَن يعتقد أنها للتمييز ومنهم مَن يرى أنها لإضفاء الوسامة على الذكور والجمال على الإناث.

أطفال من الشلك في استراحة خلال احتفال راقص

الرّث زعيم يُقتل

من العادات والتقاليد العتيدة في هذه القبيلة، والتي تقع على المساحة ما بين الرنك 700 كم جنوب الخرطوم، ومدينة ملكال عاصمة إقليم أعالي النيل وتعتبر "فشودة" التاريخية هي العاصمة الروحية للقبيلة، وفيها مقرّ الزعيم الذى يدعى "الرّث"، أنه عندما يعجز الزعيم عن القيام بواجباته الزوجية يتم قتله وتنصيب آخر مكانه وزواجه من حسناوات القبيلة، ويفرض سطوته المطلقة وسط أفراد القبيلة الذين لا يملكون سوى السمع والطاعة، فقد جرت العادة عند هذه القبيلة ألاّ يموت زعيمها موتًا طبيعيًا، وإنّما يُقتل وفقًا لطقوس معيّنة تحددها التقاليدُ، ويُعدّ العجز الجنسي أحد أسباب قتل الزعيم، فإذا فقد القدرة على مجامعة الزوجات فإن الزوجةَ الأولى تتولى أمرَ قتله، حيث تجتمع الزوجات بعد أن يفقد القدرة على الإنجاب وممارسة الجنس، ويقررْنَ بالإجماع قتله في يوم معلوم تحدده درجة حرارة الجو، فلا يقتل الزعيم ليلًا أو في الصباح الباكر، لكن عندما يكون غارقًا في النوم عند القيلولة، يقمنَ بتغطية وجهه ويقتل. وسبب قتل الملك "الرّث" هو اعتقادهم أنه لو مات ميتةً طبيعيةً سيتسبب بكارثة كبرى تقضي على أفراد القبيلة والحيوانات، ولحمايتهم يتمّ قتله ولا يسمح لغريب بحضور الجنازة، لأن ذلك يُعدُّ نحسًا، ويدفنه كبار السن.

رف الكتب

تاريخ العرب الحديث

❏ يقدّم كتاب "تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، للكاتب أحمد زكريا الشلق، الصادر مؤخرا عن المكتب المصري للمطبوعات في القاهرة، عرضا مركزا وشاملا لتاريخ العالم العربي في العصر الحديث، ويغطي فترة تاريخية تبلغ نحو أربعة قرون، تبدأ بالفتح أو التوسع العثماني في بلاد الشام ومصر، وتمتد حتى بداية الحرب العالمية الأولى (1914–1918)؛ مبينا أن تاريخ العرب مرّ خلال هذه الفترة بمرحلتين، أولهما المرحلة التي انفرد فيها الأتراك العثمانيون بحكم العالم العربي واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثامن عشر، أي أنها بلغت نحو ثلاثة قرون إلا قليلا. وثانيهما مرحلة النفوذ والاستعمار الأوروبي، التي بدأت مع الحملة الفرنسية على مصر والشام (1798–1801) وانتهت إلى استعمار معظم أقطار العالم العربي طوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ما شكّل عنصرا حاكما ومؤثرا في مسيرة التاريخ العربي الحديث، انعكست آثاره على علاقة العرب بالدولة العثمانية، وأسهم في إضعاف هذه العلاقة، حتى بلغت، بفعل عوامل أخرى أيضا، مرحلة الصدام بينهما قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها.

الجذور التاريخية لقيام دولة الإمارات

❏ يتناول الدكتور محمد عمران تريم في كتابه "الجذور التاريخية لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة"، الصادر حديثا عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمّان، الجذور التاريخية لدولة الإمارات العربية المتحدة، وقد خصص الباب الأول من الكتاب للجذور الجيوسياسية لدولة الإمارات، والباب الثاني للاتحاد الإماراتي: المخاض والولادة والآفاق؛ معتمدا على التاريخ المعاصر الممتد، في محاولة لملامسة ذهنية الإنسان الإماراتي، ورد الأمور إلى عمقها التاريخي لتظهر أن هذه الجذور العميقة والمتنوعة والمنفتحة كانت حاضرة بقوة في ذهن الحكام وقت تأسيس الاتحاد. ويتطرق الكتاب إلى الدور الحاسم للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في تأسيس الاتحاد من خلال الوثائق المتوفرة في دور الأرشيف ومراكز البحوث المحلية، خاصة مركز دراسات الخليج (دارة الشيخ سلطان القاسمي في إمارة الشارقة، والدول الأجنبية مثل: البرتغال، هولندا، بريطانيا، والتي مكنت المؤلف من تقديم قراءة ومعرفة لخبايا الدبلوماسية الإنجليزية).

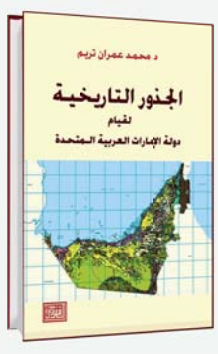

تاريخ عُمان الحديث

❏ يسرد كتاب "تاريخ عُمان الحديث" لمؤلفيه جيرمي جونز ونيكولاس ريدوت، الصادر عن دار الرافدين بترجمة أيمن بن مصبح العويسي، قصة عُمان منذ اللحظة التي تولى فيها الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية مقاليد الإمامة في البلاد عام 1749 إلى بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. وقسَّم الكاتبان تاريخ عُمان إلى قسمين رئيسيين، أولهما المراحل التأسيسية لبناء عُمان في شكلها الحالي، وشملت هذه المرحلة تأسيس الدولة البوسعيدية؛ مرورا بأبناء الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وتأسيس النفوذ العُماني في زنجبار في عهد سعيد بن سلطان. أما القسم الثاني فيتطرق إلى تاريخ عُمان الحديث الذي قام على تلك المراحل التأسيسية؛ بدءا من تولي السلطان سعيد بن تيمور الحكم خلفا لوالده عام 1932م، وصولا إلى عهد السلطان قابوس الذي كان له النصيب الأكبر من الكتاب منذ عام 1970 وحتى عام 2015. وربط الكاتبان الأحداث التي مرت بها عُمان، مثل توسّع النفوذ العُماني في القرن التاسع عشر، وحرب ظفار، وحرب الجبل الأخضر، واكتشاف النفط، ومظاهرات عام 2011 بالنطاق الإقليمي والعالمي الأوسع من حيث صلتها بالهيمنة البريطانية، والرأسمالية والاشتراكية، وقيام حركة النهضة العربية، وبروز القومية العربية، ونهاية الاستعمار الأجنبي، واندلاع الصراعات الإقليمية والدولية.

راقص من النوبة في احتفال طقسي

أدبيات النوبة.. سرديات ضدّ القمع

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

❑ حظيت المسألة النوبية بالكثير من الكتابات التي عبرت عن القمع الذي تعرّض له النوبيون من جرّاء التهجير الذي طال قراهم بسبب بناء خزان أسوان عام 1902 وما تبعه من التعلية الأولى عام 1912 والثانية عام 1933، انتهاء ببناء السد العالي عام 1960. ومن ثمّة حظيت السردية العربية بأدبيات غاية في الأهمية على مستوى الشكل والمضمون، تستحضر المأساة لا كنوع من التباكي أو حتى استدرار العطف، وإنما كنوع من الكتابة المضادة للقمع. ومن ثم أظهرت هذه المرويات حالة الانتماء والالتصقاء بالأرض، فغدا الرّجل ما أن يعود من غربته حتى "يحتضن القيراط والقيراطين، كما يحتضن الإنسان أطفاله أو معشوقته"، وفقا لتصوير محمد خليل قاسم في درة الأدب النوبي الشمندورة 1968، والتي كانت فاتحة الباب لمرويات متعددة راحت تجتر هذه المأساة من كافة الزوايا على نحو ما شاهدنا في مرويات حسن نور "بين النهر والجبل" 1991، وحجاج حسن أدوّل في "الكشر" 1992، وإدريس علي في "دنقلة" 1993، ويحيى مختار في "تبدّد" 1993. إضافة إلى أعمالهم القصصية التي لم تخلُ هي الأخرى من بكائيات ومراث على الديار التي فارقوها جرّاء التعلية، وموقف الحكومة المجحف في التعويضات الهزيلة التي قدمتها لهم. ومن ثم صارت ومازالت القضية النوبية واحدة من الإشكاليات التي تواجه النظام السياسي في مصر، خاصة مع تجدُّد مطالبهم بالعودة إلى أراضيهم القديمة خلف الخزان.

عين الداخل

الأدبيات التي تناولت القضية النوبية، لم تقف عند إشكالية التهجير والمعاناة التي عاناها النوبيون من جرّاء الإقصاء الذي مارسته الحكومات المتعاقبة، بدءا من حكومات العهد الملكي، مرورا ببناء السد العالي في عهد عبدالناصر، ووصولا إلى ما بعد ثورة يناير 2011، حيث تجددت مطالبهم بالعودة أو التعويض العادل. فضلا عن هذا اشتغلت المرويات بتقديم صورة دقيقة مُقرّبة عن المجتمع النوبي، في كافة حالاته؛ أفراحه وأتراحه، وانتظار البوستة، والزواج من بنات الشمال، والأهم نقلت لنا الموروث الشعبي والتراثي فصارت أشبه بسجلات أدبية، حاوية لتاريخ هذه البقعة ثقافيا وتاريخيا وأيضا نضاليا. كما قدمت صورة لإنسان النوبة المناضل والمقاوم لكافة أشكال التجريف الذي مورس عليه، والمتشبث بالأرض، وإن كانت معظم الأدبيات جعلت منه الإنسان المقموع الذي تُمارس عليه كافة الانتهاكات، المعنوية بالتحقير ووصفه بنيجرو، والبدنية بالضرب والإيذاء الجسدي، من قامعه سيده في العمل.

غراف

تنوعت الصُّورة التي قدمتها السّرديات عن النوبة، بين النوبة القديمة كما تجلت في أبهى صورها في مروية محمد خليل قاسم "الشمندورة"، ومروية "بين النهر والجبل" لحسن نور، والنوبة الجديدة التي عبرت عنها مرويات إدريس علي ويحيى مختار وحجاج حسن أدّول، واستطاعوا عبر مروياتهم أن يمتثلوا للتراث النوبي والعادات والتقاليد فجاءت المرويات وكأنها لوحات فنية نابضة بالحياة وهي ترصد وتسجل لهذه العادات، أو تعكس لعلاقة الانصهار بين الإنسان وأرضه، في صورة أناس النوبة الذين يعشقونها إلى حدّ التقديس، كما تسرد بعض هذه المرويات عن تاريخ النوبة القديم، وحكاية دخولها الإسلام، وغيرها من الأحداث التي تؤرّخ للمكان وتجعل منه بؤرة سردية بامتياز، بسبب اختلاف طبيعته الجغرافية الثرية إثنيا ولغويا؛ بسبب الهجرات من وإلى النوبة في القرن السادس الميلادي، والصراعات التي دارت في هذه المنطقة باعتبارها منطقة نقل وعبور التجارة إلى أفريقيا. الغريب على الرغم من الهجرات المتتالية والغزوات التي مرّت بها بلاد النوبة، إلا أنها على حد تعبير الدكتور مراد مبروك، ظلت محافظة على خصائصها الفيزيقية وممارساتها الطقسية.

كما أن هذه المرويات لم تنسَ القضية الأساسية وهي قضية النّضال ضد الظلم الذي جاء به أبناء القاهرة سواء أكانوا أجانب أو أبناء بلد، وهو ما عبّر عنه مشهد نهاية الشمندورة حيث "الشمندورة ترتطم ارتطاما شديدا بالسلسلة التي تشدها إلى قاع اليم ... ترتطم ثم تهدأ لتعاود النضال من جديد" في إشارة إلى معنى المقاومة المستلهم من المكان فتظل الشمندورة الرمز دليلا على المقاومة وعدم الاستسلام رغم قيودها التي تشدّها نحو المصب.

عين من الخارج

نموذج الشخصية النوبية بما تحمله من سمات الأنفة والصّبر والجَلَد، ترددت في مرويات كثيرة، وإن كانت بصورة نقيضة لطبيعتهم الداخلية فهم "قوم مسالمون لا يحملون البنادق والسيوف والهراوات" كما وصفهم راوي دنقلة، ومن ثم طغت الصُّورة السَّلبية المتمثلة في صورة الخادم المطيع/المقموع، باستثناء رواية علاء الأسواني "نادي السيارات" حيث قدّم صورة مختلفة عن شخصية النوبي المطردة في المرويات أو الصورة النمطية التي قدمتها الأفلام بدءا من علي الكسار في "بربري مصر" وتلك الصفات التي التصقت بهم على "أنهم سفرجية وبوابين" كما قال المحقق لعوض شلالي في دنقلة. فقدّم الأسواني شخصية ربما كشفت عن حالة القمع اللامتناهي داخل هذه الشخصية التي قهرتها عوامل كثيرة لا تبدأ بالطبيعة ولا تنتهي عند البشر، ومن ثم تحولت من النقيض إلى النقيض، بعد أن كانت مقموعة صارت قامعة، كما تجلّى في شخصية قاسم محمد قاسم الشهير بـ"الكوو" بما يحمله الاسم من معنى القائد أو الكبير في اللغة النوبية إلا أن له دلالة أخرى في نادي السيارات بمعنى العبد المهيمن. يأتي وصفه في الرواية بأنه ستيني نوبي سوداني، يعمل شماشرجيا للملك، إلا أنّ وظيفته تتجاوز هذا ليصبح هو المسؤول عن تحقيق ملاذ ورغبات مولانا، وما أن صار مولانا صاحب العرش، اكتسب الكوو نفوذا مضاعفا، حتى صار الوزراء يخطبون ودّه، وإلى جانب دوره إلى جانب الملك في قراءة المراسلات والردّ عليها، كانت له وظيفة أخرى تتمثل في أنه الرئيس الأعلى للخدم في القصور الملكية جميعا، ومن ثمّ صار المهيمن على العبيد داخل القصر، كما تمددت سلطاته بمرور الوقت وطالت شؤون مصر من خلال هيمنته على نادي السيارات. لم نجد عبر هذه الشخصية سوى نموذج نفعي استطاع أن يوطّد سلطاته بالتواطؤ، وهي صورة بعيدة كل البعد عن صورة النوبي كما تشكلت في أدبيات كتّاب النوبة، خاصة بمقارنة وضعيته أمام الأجانب مقارنة بالخدم فهذا المنتشي الآمر الناهي ينحني في خشوع وذل لا يتناسب مع ما يفعله مع الخدم. في رواية أشرف العشماوي "تذكرة وحيدة للقاهرة" يقدّم صورة مُشوّهة عن إنسان النوبة عبر شخصية "دهب عجيبة سرّ الختم"، فالشخصية لم تحمل من صفات النوبي إلا بشرته وعمله كحارس في نادي الجزيرة، ما عدا ذلك، فنحن مع صورة من الخارج لم تتعمق في شخصية النوبي، فاستسلم لكونه مقموعا، فصار لعبة في يد بدر شفيق المغازي ابن وزير الأشغال السابق، فلا يكتفي بمحو اسمه فقط، بل وهويته حيث يلبسه في شخصية أخرى، فيغير اسمه ودينه وجنسيته في لعبة يتحايل بها على قوانين الحراسة، ثم يقذف به في لعبة أخرى في تجارة الأموال وتهريبها دون أن يدري. الغريب أن عجيبة والده قدّم نموذجا لشخصية النوبي الثائر، فعندما علم بما يخطط له مخدومه السّيد ويليم ويلكوكس المشرف الأساسي على بناء خزان أسوان وغيره من الأعمال المرتبطة بنهر النيل، تنبأ بالمأساة التي ستحل على أبناء جلدته، فعلى الفور قاد ويلكوكس إلى قاع النيل. في حين أن الابن صار في مهب الريح تحركه حيثما تشاء، فتارة دهب عجيبة، وأخرى فارس حبيب حبشي مهندس الرّي القادم من السودان، وثالثة باسم ليون برنار بعد أن تزوّج من امرأة سويسرية عجوز أكبر من أمه.

بصفة عامة، تتميز مرويات النوبة بخصوصية على مستوى التشكيل، حيث تغلب على آليات السرد آليات القص الشعبي، الذي يستخدم فيه الرّاوي المواويل والأغاني الشعبية، كما أنّ اللغة يغلب عليها نمط اللغة اليومية النوبية وبنفس تراكيبها، فتعج المرويات في استخداماتها المختلفة بمفردات مُتعدِّدة، كما هو ظاهر في روايات قاسم وحسن نور ويحيى مختار، مثل: العنجريب، والخرميد، وأنان حالي، صغير البوستة، الشعاليب، صلا تبيد، الإبريج، عديلة، منو، عديل، الأدمير، آمون نتو، آمون دجر... وغيرها من كلمات تحتاج إلى شرح وتفسير، وهو ما فعله الكُتّاب في الهامش. في حين تخلو روايتا الأسواني والعشماوي من هذه اللغة المحلية، وإن كانت ثمة لغة عادية تتجاور مع لغة القرآن في الكثير من المواضع على نحوما هو ظاهر في رواية العشماوي "رجال ونساء بملابس الاستحمام يمرحون، وعلى آرائك متكئون.

النصوص كاملةً على الموقع الإلكتروني

الأنا والآخر والعلاقات الحميمة في معرض خاص جدا

نحاتون مصريون يروّضون الخامات الصعبة في تكوينات ناطقة

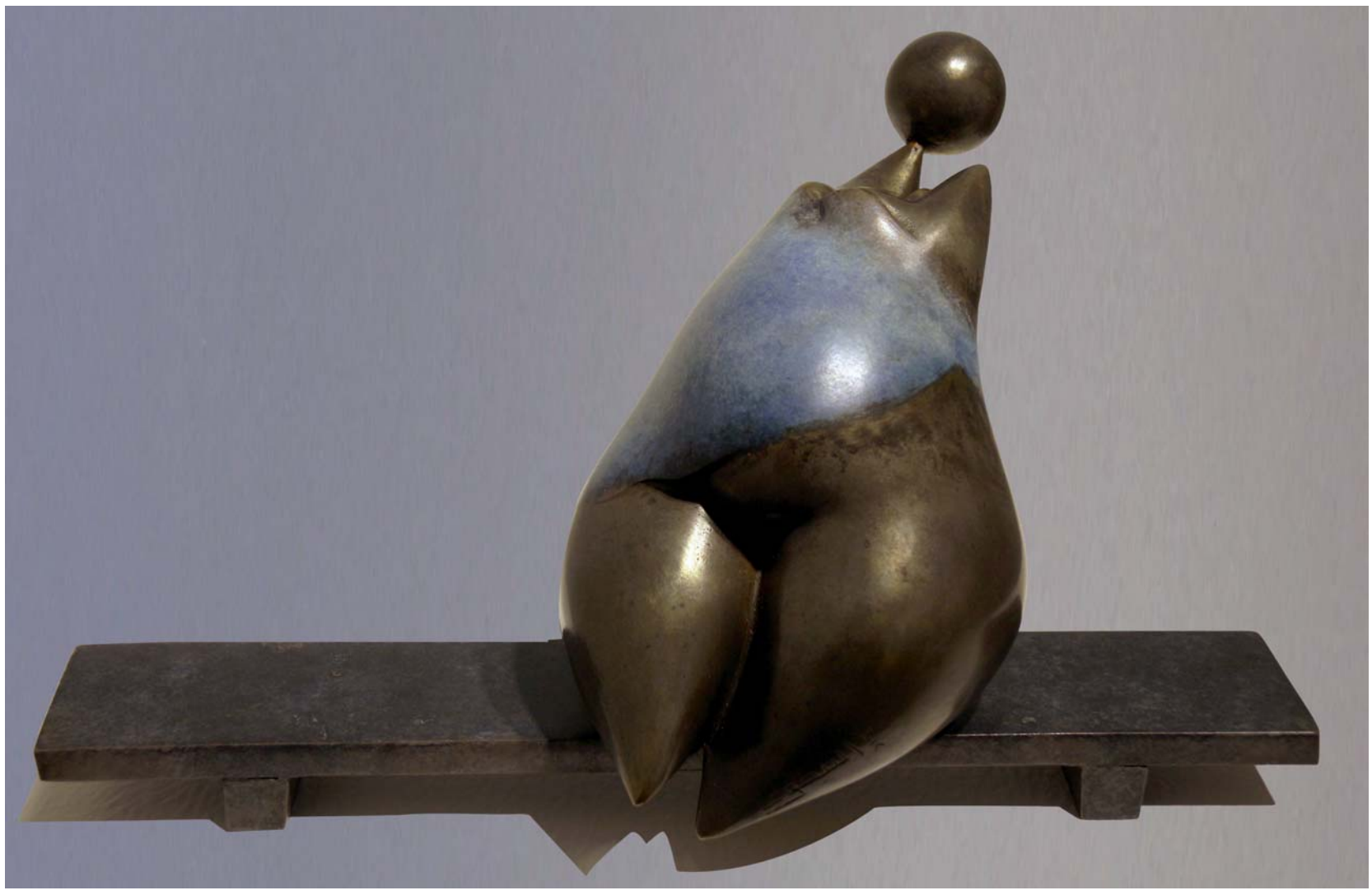

المرأة في المعرض تشكل بعداً جمالياً وتعبيرياً عميقاً

شريف الشافعي
كاتب مصري

❑ يشهد معرض النحت الجماعي "حوار خاص جدا"، المنعقد حاليا في القاهرة، حساسية فنية فائقة في التعامل مع الخامات الصعبة وترويضها بعناية في تكوينات ناطقة تعكس جوهر العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة، والإنسان والآخر، والكتلة والفراغ.

يمثل فن النحت المصري المجال الأخصب والأوسع للتواصل بين أجيال التشكيليين، بوصفه الفن الأعرق منذ عهد الفراعنة وصياغة المجسّمات العملاقة، والأبرز في عصر النهضة الحديثة الذي شهد التماثيل الإحيائية الفريدة وعلى رأسها أعمال محمود مختار الطليعية وتلامذته اللاحقين.

ويأتي الفنانون المعاصرون والجدد ليواصلوا الخطوات الواثقة في مضمار فن النحت محمّلين بالإرث الحضاري المتراكم، ومشحونين بالخبرات العريضة في تطويع الحجارة واستنطاق الخامات المستعصية واحتواء الفراغ.

في معرض النحت الجماعي "حوار خاص جدا" (2 – 13 أكتوبر)، بغاليري خان المغربي في حي الزمالك بالقاهرة، يؤسس الفنانون المشاركون لإمكانية تحويل الخامات الصعبة واللينة والحساسة على السواء إلى مصابيح وبلورات ناطقة.

هذه الخامات خلايا كهروضوئية مولّدة للطاقة بذاتها، تتمرد على عتمة الجماد لتنقل وضاءة الخلايا الحية الكامنة في الكائنات، وهي أيضا وجوه متحدثة، حكاءة، يمكن الاستماع لها، وإقامة حوارات من خلالها، والإصغاء إلى أصداء النفس البشرية في عزلتها وتواصلها.

يشارك في المعرض فنانون من أجيال مختلفة بأكثر من 25 عملًا نحتيّا بخامات متعددة، منها البرونز والرخام والحجارة والزجاج والبوليستر، ويقدّم النحاتون الشباب على وجه الخصوص تجارب ورؤى مبتكرة، خائضين مغامرات تصويرية وتعبيرية تعرّي أسرار الداخل وتكشف جوهر العلاقات الحميمة بين الرجل والمرأة، والإنسان والآخر، وتطلق سراح الموجودات في فضاء بلا حدود.

أحاديث جريئة وشفافة

يصغي الفنان الشاب عبدالله كارم فرج (25 عامًا) إلى الأحاديث والانفعالات التي تقترحها الكائنات، من ثيران وحشية هائجة، وديوك مقتحمة وغزلان شاردة، وغيرها، ويقيم حواراته الخاصة مع شركائه في الحياة على أساس من المودة والتفاعل، فالصفات البشرية يمكن خلعها على كثير من الكائنات، والعكس صحيح، فقد ينسحب التوحّش والهياج والاقتحام والشرود على الإنسان.

> الشباب يخوض مغامرات تصويرية وتعبيرية تعرّي أسرار الداخل وتطلق سراح الموجودات في فضاء بلا حدود

وتتأتى الجرأة في أعمال الفنان معاصر الألوسي (40 عامًا) من خلال الانصهار الكامل لجسدي الرجل والمرأة في التقائهما الروحي وامتزاجهما العضوي، ويتخذ الفنان العلاقة الحميمة بينهما مدخلا لتوليد الطاقة الخلاقة في الوجود، وإشعال الحرائق الإيجابية المحفزة، المذيبة للجمود. وفي تكويناتها الزجاجية الشفيفة، تتعامل الفنانة يمنى شريف (25 عامًا) مع الخامة الطيعة لتنحتها أصابعها بدون مقاومة، منطلقة من حساسية الرؤية الشاعرية وشغفها الواضح بالألوان، التي تبدو كأنها وقعت في غرامها.

تبرز الفنانة منحوتاتها المرهفة بألوان كثيرة مستقاة من البحر وأمواجه وأصدافه ولآلئه وأسماكه، وفي مقدمتها درجات الأبيض والأزرق. ويبدو في أعمال يمنى شريف أن المعنى الحقيقي للون الذي يطفو على السطح هو ذلك الضوء الداخلي الكامن في مسام الشكل.

ويقترح الفنان محمد محمود عالما موازيا من خلال حيتان وكائنات عملاقة، مصغيا إلى حكاياتها وأساطيرها، حيث يصير الحوار الخاص هنا مساءلة للذات واستعادة للتراث الشعبي وإذكاء للوعي الديني.

مراوغة وتحليق

ويقدّم الفنانون الشباب عبدالرحمن العجوز وميسون الزربة وآية سليمان وإنجي عمارة تكوينات نحتية جسورة تحيل إلى منحوتات الميادين العامة والمناطق المفتوحة، حيث الاستقامة والشموخ وإعادة تعريف معنى التكوين، الذي لا يشترط أن يعادل كائنا بعينه، إنما قد يحتمل التجريد والتخييل واختزال الشكل في بعض عناصره الدالة.

ويتخذ الفنان مصطفى الفيومي (27 عاما) ووائل فرج (28 عاما) المرأة معبرًا للمراوغة والتحليق في آفاق عليا، حيث تتحرر الخامة من طبيعتها الصلبة مكتسبة ليونة تلائم الجسد الأنثوي والطاقة الباعثة على الحركة.في أعمالهما، تتراقص المرأة الهشة مثل باليرينا رشيقة، فتدور معها الأرض بأكملها.

وفي أحيان أخرى، تتشبث المرأة ببذخها الأنثوي ونضجها، لتتجلى كأنها القوة المركزية الجاذبة.

ولا تبدو المرأة خاضعة لمقاييس جمال مسبقة، إنما ينحني الجمال ذاته لمقاييسها، حسبما تكون.

معرض "حوار خاص جدا"، حالة تفاعلية متقدة، يعيد بها الإنسان اكتشاف ذاته من خلال المجسّمات التي يختلط بها، ويحدّثها ويحدّثه، كما يفتح نافذة للإطلال على الآخر، في فورانه ونبضه وحراكه، وإن بدا ظاهريًا في هيئة كتلة جامدة.

معاصر الألوسي إلى جوار أعماله النحتية

يمنى شريف بجانب منحوتاتها الزجاجية

جانب من أعمال المعرض: اكتشاف الذات من خلال المجسمات

شياطين ديستويفسكي في باريس

المخرج الفرنسي سيلفان كروزيفولت يحول الخشبة إلى كرنفال عدميّ

عمار المأمون
كاتب سوري

كرنفال يختلط فيه المقدس مع الغرائبي

روسيا وأزمة الشباب فيها

جثة المسيح شاهدة على شياطين العالم

ثوريون عدميون يلتهمون أنفسهم

الممثلون برعوا على الخشبة في شتى الألعاب الفنية

❏ بدأ المخرج والممثل الفرنسي سيلفان كروزيفولت، بالعمل على مفاهيم الثورة وجدواها، منذ عام 2009 في عرضه "رُعبنا"، مُحولا الخشبة إلى مساحة للصراع السياسي والتفكير الديالكتيكي، ليتلمس تأثير الأفكار الجديدة على الأفراد بوصفهم كيانات منفصلة ذات خصوصيّة، وأعضاء في جماعات مختلفة ترغب في تغيير النظام القائم، سواء عبر التنوير الفكري أو المواجهة العنيفة.

يستضيف مسرح الأوديون هذا العام ضمن مهرجان الخريف المسرحي عرض كروزيفولت الأخير "الشياطين"، المقتبس عن رواية فيودور ديستويفسكي التي تحمل ذات الاسم، والتي تتناول الظروف السياسية والفكرية التي كانت سائدة في منتصف القرن التاسع عشر، كالتململ من حكم القيصر، والرغبة في التغيير الاقتصادي، والنزعة لتبني الأفكار "الغربيّة" دون التفكير في الخصوصيّة المحليّة الروسيّة، لكن ما حصل، أن هذه الأفكار/الشياطين، غذّت جيلا من الثوريين الراديكاليين، العدميين والاشتراكيين والملحدين، الذين يسعون لتوظف العنف العشوائي من أجل التغيير، دون أي اعتبارات للمستقبل.

يُوزع على الحاضرين، أثناء أخذ أماكنهم في صالة العرض، منشور بعنوان "ورقة ضد الفزع"، ليكون دليلا مصغرا لمتابعة الأحداث في القرية الروسيّة الوهميّة، ومعرفة التغيرات التي تطرأ على قاطنيها، خصوصا أن العرض يمتد لأربع ساعات، ويتألف من فصلين، الفارق بينهما بضع سنوات.

ألعاب السرد

يمكن النظر إلى المنشور السابق كمحاولة لتوظيف تقنيات ديستويفسكي السرديّة ضمن الشكل المسرحي، فالورقة تعطي المشاهد سلطة "الراوي كليّ المعرفة" الذي يوظفه ديستويفسكي في الرواية، أما تعدد الأصوات، وقدرة كل شخصية على أن تتحول إلى راو قد يفاجئان الراوي الأصلي، تتجسد أمامنا في حضور الممثلين على الخشبة وتنقلهم بين الجمهور، لا كأن الواحد منهم ينتظر "دوره"، بل كشخصية واعية بأنها في مسرحيّة، ومدركة لما يحصل أمامها، إذ تتدخل حين الحاجة، وتُعلق على ما تراه وتدفع الحبكة إلى الأمام وفق منطقها الخاص.

يحوي العرض معالم من القسوة والكرنفاليّة، يبرز عبرها التناقض بين فكرتي الإلحاد ووجود الإله شكلا مسرحيا، لنرى أنفسها أمام أشكال متنوعة من الأداء الجسدي واللغوي، تتأرجح بين التعبير العنيف عن ثوريّة الخلاص الأرضي والشروط السياسية لإنتاجه، وبين ذاك الربانيّ الذي لا ينتمي إلى عالمنا هذا، إذ ندخل العرض لنفاجأ بعُري الممثلين، ثم توزيع الشامبانيا على الحاضرين على صوت موسيقا الروك، وكأننا ندخل اجتماعا أناركيا سريا، ليقطع الخشبة بعدها المسيح مع حيوان بلاستيكي أليف، ثم يتحول نهاية إلى ساتير أسطوري شبق وكوميدي، مع ذلك يبحث عن الاستقرار العائلي، أما تناقضات فضاء العرض، فتتجلى مثلا في كيس ملاكمة عليه أيقونة دينية، ويعلوه جرس كنيسة، وصليب من ثلج يذوب على طول العرض.

كسر قواعد اللعبة

تفعل الصيغة السابقة تقنيات اللعب، فالمكان المُنار كليا أغلب مدة العرض، يسمح للممثلين بمخاطبة بعض أفراد الجمهور بصورة مباشرة، بل ودعوة واحد منهم إلى الخشبة لقتل إحدى الشخصيات، كما يمتد اللعب إلى الممثلين أنفسهم، الذين يتحررون من أدوارهم التي يؤدونها، ويأمرون الحاضرين بالبقاء في الصالة، إن حاول أحدهم الخروج لأي سبب.

يتداخل الزمن الدرامي مع الحالي إثر الألعاب السابقة، لتحضر الأفكار الثورية الماركسيّة، وأفكار مدرسة فرانكفورت، وإحالات إلى ديستويفسكي نفسه وتراثه الأدبي، عبر استخدام لوحة "المسيح ميتا في القبر" كطاولة أحيانا، وإيقونة أحيانا أخرى، والمثير للاهتمام أن ديستويفسكي سقط صريعا أمام اللوحة حين رآها للمرة الأولى، حسب ما تذكر زوجته في مذكراتها، ما يجعلنا أمام عرض متعدد الأصوات، حر من زمنه المفترض، نصارع فيه الأفكار الجديدة و"الشياطين" التي تسمم عالمنا، وتعمي بعضنا عن سبيل التغيير.

> التساؤلات التي يطرحها العرض لا ترتبط فقط بالصنعة المسرحيّة، بل بجدوى التغيير الذي يقوم به الثوريون إن وقعوا في فخ العدميّة

الثورة العدميّة وفخاخ الملل

التساؤلات التي يطرحها العرض لا ترتبط فقط بالصنعة المسرحيّة، بل بجدوى التغيير الذي يقوم به الثوريون إن وقعوا في فخ العدميّة، فحينها، لا يصبح لهم هدف سوى التخريب العشوائي، وهذا ما نراه في العنف المتبادل بين سكان القرية، إذ نشهد مبارزات بالمسدسات، وأذيّة جسديّة ولفظية، وعلى النقيض، قد تتجلى العدميّة بالشلل، وغياب القدرة على التغيير الكليّ، لنرى هذا "العجز مجسدا بشخصيات ترفض المشي، وتستخدم كرسيا مدولبا حين يحاصرها اليأس، وكأنها تفقد حتى القدرة على المشي والانتقال بين أنحاء الخشبة.

يتملك الملل المشاهد في بعض الأوقات، فصيغة الكرنفال واللعب الحيويّة تتلاشى مثلا أمام "الرسالة المكتوبة"، التي يوظفها ديستويفسكي في النص الأصلي كتقنية سردية، وتحضر على الخشبة ضمن ذات الصيغة، إذ نرى أحياناً شخصيتين فقط، تقرأ واحدة منهما رسالة طويلة كتبتها للأخرة.

ذات الملل نراه في بعض الحوارات الطويلة، والتي تبدو نقاشات وجوديّة ساذجة تنتمي إلى القرن التاسع عشر، لا إلى زمن العرض المتغيّر الذي نرى فيه صور فلاديمير بوتين، وعلم روسيا الاتحاديّة، ونخضع فيه لأنظمة رقابة وهيمنة تنتهك حتى خلايانا الجسديّة.

يتمحور العرض حول سؤال الحريّة، والسعي لتحقيقها بأقصى أشكالها، لنصل نهاية إلى الانتحار، بوصفه الشكل الأسمى للخلاص الفردي، والانعتاق الكلي من السلطة السياسية والدينية، وعبره يمكن للفرد أن يحقق السيادة الكليّة على ذاته، وهذا ما يتم تحدي الجمهور به، بسؤالهم من منكم حرّ إلى الأقصى الآن وهنا؟ وكأن هذا السؤال يخفي آخر وراءه، من منكم يجرؤ على الانتحار؟ لكن المحبط، أن هذه النتيجة، لا تثير الدهشة، بل تبدو ساذجة، كون الانتحار هو الحلّ الأول الذي يراود كل من يطرح سؤال الحرية الفردية، سواء كان يتبنى وجهة نظر لا دينيّة تُخلّص الحياة من سؤل المعنى، أو واحدا من أولئك الذين يرغبون في تحدي السلطة الإلهية، واحتكارها لحق منح الحياة وأخذها.

عين محبي المغامرة على الحفرة الزرقاء في دهب

المدينة المصرية وجهة سياحية تحمل زائريها في رحلات غوص خطيرة ومثيرة

تعد منطقة الحفرة الزرقاء بمدينة دهب المصرية المطلة على البحر الأحمر، نقطة جذب سياحي تستقطب أعدادا كبيرة من محبي سياحة الغوص من كافة أنحاء العالم، وهو ما تعمل الحكومة المصرية على الاستفادة منه في الترويج للسياحة ضمن خطتها للسياحة الشتوية التي تنطلق مع بداية العام 2019.

أحمد جمال
صحافي مصري

❑ **دهب (مصر)** – كادت منطقة "البلو هول" أو "الحفرة الزرقاء" الشهيرة بسياحة الغوص في مدينة دهب المصرية المطلة على البحر الأحمر، تفقد بريقها كوجهة للسياح المغامرين من مختلف أنحاء العالم، عقب غرق المنقذ الأيرلندي ستيفن كينان (أشهر الغواصين المنقذين)، لكن انتعاش السياحة حاليا أعاد الاعتبار إليها وزاد من إقبال الزائرين عليها.

تغري تلك المنطقة الواقعة شمال مدينة دهب (جنوب سيناء) الكثير من المغامرين بتحدي الغوص في عمقها البالغ 130 مترا، في محاولة لاستكشافها والتعرف على سر غرق بعض الغواصين فيها، كما أنها تجذب السائحين لممارسة أنشطة الغطس الشاطئية لما توفره من مناظر طبيعية خلابة.

توصف "الحفرة الزرقاء" بأنها تجويف دائري داخل حائط من الشعاب المرجانية بقُطر 100 متر، ويوجد تجويف آخر في المنطقة ذاتها ويعرف باسم "القنطرة"، وهي فتحة مقوسة تصل الحفرة الزرقاء المغلقة بالبحر المفتوح، والقنطرة أحد أسباب عدة حوادث جراء دخول النور من الجهة المقابلة للغواص، ما يؤدي إلى الشعور بقصر المسافة داخل الفتحة، علاوة على عدم وجود أرض مسطحة يعتمد عليها الغواص كدليل يمكنه من الغوص على أساسه.

> أمام الإقبال المتزايد على سياحة الغوص في مدينة دهب أنشأ البعض من الغواصين «المتحف الغارق» الذي يجذب الآلاف من السائحين سنويا

يرجع اكتشاف تلك المنطقة إلى العام 1962 حينما شاهدها طيارون كانوا على متن طائرة هليكوبتر، وجذبهم وجود بقعة زرقاء داكنة على شكل دائري، فقرروا الذهاب إليها وغطسوا داخلها، ومنذ ذلك الحين يتوافد عليها محبو الغوص من جميع الجنسيات.

وتضع وزارة السياحة المصرية ضوابط صارمة للغوص فيها وتشترط أن يكون السائح حاصلا على شهادات تدريب الغطس الدولية، ويقبل على زيارتها خريجو مراكز الغطس العالمية، ويتركز الاهتمام حاليا على جذب الآلاف من الغطاسين من الحاصلين على شهادات ممارسة الغطس سنويا. وقال عمرو أبوجريشة، أحد غطاسي مدينة دهب، لـ"العرب" إن المنطقة نجحت العام الحالي في استقطاب مئات الآلاف من السائحين الحاصلين على دورات تدريبية متخصصة في الغوص، والعديد منهم قام بالغوص في تلك المنطقة أكثر من مرة للتعرف على أسرارها، وقام بعضهم بإجراء أبحاث علمية للتعرف على أسباب وفاة عدد من الغطاسين المحترفين.

وأضاف أبوجريشة أن الرغبة في المغامرة تغلب على نوعية السياحة الوافدة لتلك المنطقة تحديدا، وهي تشكل أحد أكبر مصادر الدخل بالنسبة للسياحة الوافدة إلى مصر، لأن إقامة العديد من المغامرين تمتد لأشهر وربما سنوات، ويأتي إلى المنطقة سياح متخصصون كل عام.

وأوضح أن الغواصين المحترفين لا يجدون صعوبات كبيرة في التعامل مع البلو هول، وأن أغلب حالات الوفاة التي شهدتها خلال العشر سنوات الماضية كانت من نصيب بعض الهواة الذين يصرون على التعمق داخل الحفرة الزرقاء رغبة في استكشافها والتعرف عليها دون الأجهزة والأدوات اللازمة، وكان ذلك دافعا لزيارة غواصين مغامرين إلى مصر مؤخرا.

تشهد تلك المنطقة على قصص الكثير من الغواصين الذين لقوا حتفهم، وأشهرهم وفاة الغطاس الأيرلندي ستيفن كينان، عن عمر يناهز 39 عاما، بعد أن أنقذ صديقته إليسيا من الغرق بينما كانت تحاول عبور منحنى الجرف المائي في موقع البلو هول، وسارع كينان إليها لمساعدتها وإرشادها إلى سطح الماء، وتمكنت هي من النجاة، بينما فقد هو وعيه، وعُثر عليه طافيا على سطح الماء على مسافة بعيدة.

كان ستيفن منخرطا بشدة في مجتمع الغطس الحر في دهب المصرية، ويمارس رياضة الغطس الحر، وهي طريقة للغوص يكتم فيها الغواصون أنفاسهم، ويعودون إلى السطح بدلا من استخدام معدات الغوص، وكان مشاركا في مدرسة غطس محلية شهيرة للغاية، تُسمى "دهب فريدايفرز".

ويحاول القائمون على سياحة الغوص في مدينة دهب، استغلال اهتمام المغامرين بمنطقة البلو هول، من خلال عرض العديد من الأفلام التسجيلية للتعريف بمناطق الغوص الموجودة فيها، بالإضافة إلى عرض قصص أشهر الغواصين الذين زاروها على مدارس السنوات الماضية.

وتشهد مدينة دهب هذه الأيام رواجا في انتشار مراكز تدريب الغوص، ويشرف عليها بعض الغواصين المصريين والأجانب، ومنها ما يعمل في تنظيم رحلات الغوص وتنفيذ برامج غوص متعددة للسائحين الذين يتوافدون على مدنية دهب للاستمتاع بتلك الرياضة، استغلالا للرواج الذي تشهده فنادق المدينة وبلغت نسبة الإشغال فيها 75 بالمئة الشهرين الماضيين.

رحلة شيقة تجمع بين الإثارة والموت

ويشير البعض من المهتمين بالسياحة إلى أن منطقة البلو هول ساهمت في إنعاش سياحة الغوص في مصر بشكل عام، خاصة في منطقتي شرم الشيخ ودهب، وهما تحتويان على 120 مركزا مخصصا لرياضة الغوص، وهي سياحة تسعى القاهرة للترويج لها ضمن خطتها للسياحة الشتوية التي تنطلق مع بداية العام 2019.

وأكد محمد أمين، أحد المرشدين السياحيين بمدينة دهب، لـ"العرب" أن السياحة الوافدة إلى تلك المدينة يأتي أغلبها من أوكرانيا والذين يهوون سياحة الغطس، بالإضافة إلى عرب 48 الذين يأتون إليها لانخفاض أسعارها مقارنة بشرم الشيخ وقرب مسافتها، كما أن دهب تمثل سوقا رائجة لسياحة اليوم الواحد الوافدة من إسرائيل والأردن للاستمتاع برحلات الغوص والتجول وسط المحميات الطبيعية.

وأمام الإقبال المتزايد على سياحة الغوص في مدينة دهب، وتعرض بعض الشعاب المرجانية لمخاطر نتيجة زيادة عدد الغطسات على الأنواع النادرة منها، أنشأ البعض من الغواصين المصريين "المتحف الغارق"، وهو عبارة عن تجميع لبعض التماثيل وتثبيتها في أعماق تتراوح ما بين 25 و30 مترا تحت الماء لجذب السياحة إليها وخلق مناطق جديدة للشعاب المرجانية حولها.

وأصبحت تلك المنطقة المعروفة باسم "اللايت هوس"، جاذبة للآلاف من السائحين سنويا لرؤية التماثيل، منها تمثال "حورس" إله الحماية عند الفراعنة و"بس" إله المرح والفكاهة، وتمثال لفيل عملاق مصنوع من الخردة المعالجة بيئيا.

وأعلنت جمعية حماية البيئة بالبحر الأحمر في أغسطس الماضي، عن مشروع لخلق مناطق غوص عالمية جديدة للحفاظ على مناطق الشعاب المرجانية، بإغراق معدات حربية وطائرات وقطارات، خرجت من الخدمة لخلق مواقع غوص جديدة وحيود مرجانية اصطناعية تخلق مأوى للعديد من الكائنات البحرية.

وتواجه الشعاب المرجانية النادرة في منطقة البلو هول أزمة ضعف وتآكل بعضها، وهو ما تنبهت إليه الحكومة المصرية مؤخرا، وأطلقت عبر وزارتي السياحة والبيئة حملة لتطوير المنطقة خلال شهر أكتوبر الجاري، ومقرر أن تمر الحملة بتنظيف المنطقة التي تشهد رحلات غطس يومية وتوفير منطقة خدمات للزوار وتكثيف المعلومات الاسترشادية للتقليل من حوادث الغرق.

وأوضح هشام جبر، رئيس غرفة سياحة الغوص سابقا، لـ"العرب" أن غياب الترويج الجيد لمناطق الغوص يؤدي إلى فقدان العديد من المهتمين بها، لافتا إلى أن مصر كانت تستقطب في العام 2010 حوالي ثلاثة ملايين سائح يأتون خصيصا لمناطق الغوص وينفقون أضعاف السائحين المهتمين بالسياحة الشاطئية العادية، مشيرا إلى أن مصر تستقبل حاليا حوالي مليون ونصف المليون سائح يقومون بالغوص داخل أكثر من 300 مركز مخصص للغوص في المدن الساحلية.

> اكتشاف البقعة زرقاء يرجع إلى العام 1962 حينما شاهدها طيارون، فقرروا الغطس داخلها، ومنذ ذلك الحين يتوافد عليها محبو الغوص

وتقوم مجموعات كبيرة من السفن فجر كل يوم باختراق عباب البحر الأحمر من مدينة دهب وشرم الشيخ، وتحمل الآلاف من السائحين، بعضهم يقوم بممارسة الغوص، وقلة منهم تستمتع برؤية الشعاب المرجانية من على ظهر السفن، ويقوم غواصون مدربون باصطحاب من لا يجيدون الغوص، بعد ارتداء البذلة الخاصة بذلك.

نقطة تفتيش شارلي: من مسرح للحرب الباردة إلى مزار سياحي

❑ **برلين** – كانت نقطة تفتيش شارلي، رمز انقسام ألمانيا، موقعا مثيرا للرعب حيث كانت الدبابات الأميركية تواجه نظيرتها السوفييتية عندما تم بناء جدار برلين في عام 1961، ولكن اليوم يدرك الزوار بالكاد مدى أهمية نقطة التفتيش الحدودية السابقة "شارلي" بشارع فريدريش شتراسه.

وبعد 57 عاما من بناء الجدار وما يقرب من 29 عاما على سقوطه، أصبحت نقطة التفتيش بمثابة منطقة جذب سياحي.

وأمام مركز مراقبة تابع للجيش الأميركي أعيد بناؤه، يقف رجال يرتدون زي جنود أميركيين ومعهم أعلام أميركية يتقاضون 3 يورو مقابل التقاط صورة.

ولا تزال هناك لافتة تحذّر "أنت تغادر الآن القطاع الأميركي" بعدة لغات، لكن عند النظر إليها من قرب، يتبين أنها نسخة مقلدة.

وبالإمكان العثور على اللافتة الأصلية في متحف جدار برلين الخاص على بعد أمتار قليلة، وحيث يبيع متجر للهدايا التذكارية كل شيء بدءا من بقايا الجدار إلى نماذج بلاستيكية للسيارة الألمانية الشرقية الصغيرة، "ترابي".

ويحتضن الشارع بانوراما للفنان باديجار أسيسي توضح يوما في برلين التي كانت مقسمة من قبل، ومتجرا يقدم النقانق والبطاطس المقلية، في حين يحاول بائع متجول مجاور قريب بيع أقنعة واقية من الغاز وقبعات عسكرية.

ويوجد على الجانب الآخر من الشارع "صندوق أسود" أنشأه مجلس الشيوخ في برلين كـ"نقيض للسخرية" لتثقيف الزوار حول الحرب الباردة. لكن بالقرب من هذا يقع "تشارلي بيتش"، وهو مكان لتناول المشروبات يدعو الناس إلى "الاسترخاء".

وقال أكسل كلاوسماير، مدير مؤسسة "جدار برلين"، إن المكان "على مدى 28 عاما، افتقر إلى مفهوم تصميمي واضح".

ويتحسر مجلس الشيوخ في برلين على الوضع الحالي للأمور، وتقول عضو مجلس شيوخ برلين المسؤولة عن التنمية الحضرية، كاترين لومبشر، إن "نقطة تفتيش تشارلي تستغل وتستخدم بطريقة مختلفة اليوم، فهي مكان يجتذب أعدادا كبيرة من الزوار، ولكنها مسببة للخلاف بسبب تصميمها المؤقت واستخدامها السياحي بشكل أساسي".

وأضافت أن الوضع "يشير إلى نوع من الفوضى إلى حد ما والتجارة المفرطة جزئيا".

ولكن قد يكون هناك تحسن في الأفق، حيث اتفق أخيرا سياسيون ومستثمر خاص، يحرص على البدء في البناء بالموقع بعد عدة تغييرات على الملكية، على جوهر التصميم.

ومن المحتمل أن تتم إزالة موقع نقطة العبور الحدودية في المستقبل، وسيتم إنشاء "ساحة حضرية بأماكن مفتوحة".

وتشير الخطط أيضا إلى إقامة متحف في أحد المباني الجديدة "كمكان للمعرفة والتذكر". وأوضح كلاوسماير أن الفرصة لشرح البعد التاريخي للموقع بشكل ملائم باتت في متناول اليد.

ويقف السياح اليوم من جميع أنحاء العالم أمام لوحات العرض أو يقودهم مرشدون سياحيون يسعون إلى استحضار هذه الحقبة. ويرغب العديد من الزائرين في رؤية "الجدار" هناك لكنهم يشعرون بخيبة أمل عندما يجدون بدلاً من ذلك خط الحدود السابق المتضمن في الرصيف. وأفادت أميرة (26 عاما)، سائحة أميركية من ولاية نورث كارولينا، "لقد كان الجدار هنا؟ يا إلهي، ما كنت لأفكر فيه". وقالت لوسي جلكريس (32 عاما)، من إنكلترا، إنه "مكان مثير للإعجاب، ولكنه ذو طابع سياحي". وفي الواقع، من الصعب العثور على دليل على أن المدينة كانت مقسمة.

3 يورو مقابل التقاط صورة

وفي غمرة الفرح بعد سقوط الجدار أواخر عام 1989، تم هدم أو إزالة أو بيع أجزاء كبيرة من الحاجز الخرساني البغيض، إلى جانب أبراج المراقبة وأنظمة الإشارات. كما تم بيع عقارات، ويقع بعضها في أفضل مناطق وسط المدينة، إلى مستثمرين من القطاع الخاص.

وأكد كلاوس ليدرير، عضو مجلس شيوخ برلين المسؤول عن الثقافة، "المهم هو أنه مع وجود متحف في موقع مهم تاريخيا، فإن التاريخ سيصبح مرئيا ومفهوما".

ويتخيل كلاوسماير نقطة تفتيش تشارلي في المستقبل "كمكان للتواصل" حيث سيجري إعلام الزوار بالمواقع الأخرى التي كانت مقسمة في المدينة.

وتابع كلاوسماير أن برلين هي "أكبر متحف مفتوح للتاريخ المعاصر الطلق في العالم".

الشركات التكنولوجية الكبرى تتنافس على سوق الخليج الذكي

أسبوع جيتكس للتقنية يسلط الضوء على مستقبل الحياة الذكية

مدن المستقبل ذكية

البلوك تشين لاقتصاد جديد

الربوتات تبهر الزوار

يدعو "أسبوع جيتكس للتقنية"، الذي يعقد في مركز دبي التجاري العالمي، زواره إلى تجربة التمدن المستقبلي، واستكشاف مجموعة كبيرة من الأجهزة المتطورة والبرمجيات، التي يصفها مطوروها بأنها ستغير نظرة المستخدمين عن السفر والعمل والألعاب، بداية من الروبوتات إلى الواقع الافتراضي في مكان العمل والتكنولوجيا الذكية، التي تسمح بإدارة مدن بأكملها بواسطة الذكاء الاصطناعي.

❑ **دبي** – تنطلق الأحد فعاليات أسبوع جيتكس للتقنية وحدث جيتكس لنجوم المستقبل اللذان يقامان في مركز دبي التجاري العالمي، واللذان يجمعان إلى غاية 18 أكتوبر الجاري، أكثر من 4 آلاف عارض من بينهم الشركات التكنولوجية الكبرى وشركات أخرى ناشئة.

وتسلّط الدورة الجديدة التي ستحمل شعار «تجربة المستقبل العمراني والخدمي» الضوء على 4 قطاعات، هي المدن الذكية والواقع المعزّز والافتراضي وإنترنت الأشياء والتصنيع الذكي، إلى جانب المدن الذكية الأكثر تقدماً على مستوى العالم، التي تستخدم تقنيات الجيل المقبل في البنية التحتية.

ويتوقّع خبراء تقنية أن يرسم أسبوع جيتكس هذا العام خارطة التحول الرقمي في المنطقة والعالم لسنوات عدة.

الذكاء الاصطناعي

يتصدر الذكاء الاصطناعي المشهد حيث تعرض أكثر من 100 شركة من أكثر من 25 دولة تقنيات رائدة في هذا المجال، وهو ما يمثل زيادة نسبتها 50 بالمئة مقارنة بعام 2017.

وأشارت الجهة المنظمة إلى أن الزوار في المعرض سيحظون بتجربة ابتكارات من دبي الذكية و"اتصالات" ومايكروسوفت.

وتكشف شركة "ساب" الألمانية عن سيارتها "سناب" التي تعكس مفهوما جديدا للمركبات التي يمكن التحكم في حجمها حسب الحاجة، من خلال تركيب وطي أجزاء من هيكل السيارة.

ويشهد الأسبوع استعراض كبسولة "بودي أو" التي يمكن الجلوس داخلها لتشخيص كامل الجسم في غضون دقائق تقل عن الوقت المستغرق لاستدعاء الطبيب، كما سيتم الكشف عن أصغر الروبوتات في مجال عربات استكشاف القمر، وكبسولات الهبوط على القمر.

وتعرض شركة بلوفين روبوتا قادرا على السباحة ذاتيا، وسيكون الجمهور على موعد مع أول عرض يقدمه الروبوت السابح، حيث يستعرض قدراته على جمع 350 كلغ من النفايات كل ساعتين.

وتكشف الشركة الناشئة "يو. بي. تيك روبوتيكس" عن أحدث ابتكاراتها في مجال الإنسان الآلي المرتبط بمنصة سحابية ذكية، وتم تزويد الروبوت الجديد بمجموعة من الأطراف التي تعتبر الأكثر ليونة حتى الآن.

وتعرض جي. أي. أس. أنترناشيونال روبوتها "سانبوت"، الذي يتميز بتصميمه المرتبط بمصفوفة ذكية تحتوي على تقنية شاملة من جميع الجهات عبر 60 مجسا تمنحه وعيا كاملا بكل ما يحيط به.

ويستضيف "جيتكس" 50 ندوة تدور حول الذكاء الاصطناعي تستمر على مدى أكثر من 30 ساعة.

وستطلق شركة "سياب" خلال هذا التجمع مجموعة "مستقبل الحياة الذكية" التي تضم تقنيات الذكاء الاصطناعي والتحليل التنبؤي وتعلم الآلة وإنترنت الأشياء؛ في الوقت التي سيقدم فيه العملاق الياباني "فوجيتسو" كشفا حصريا لأحدث تقنيات الذكاء الاصطناعي الخاصة بالشركة.

وسيقود المناقشة حول هذا الموضوع وائلي مين، كبير علماء ذكاء الآلة في شركة علي بابا، والذي سيشرح كيف جعل برنامجه المدهش "سيتي براين" من مدينة هانزو في الصين، أول مدينة في العالم تدار خدماتها العامة بالكامل من خلال تقنية الذكاء الاصطناعي.

ومن بين المتحدثين الرئيسيين الآخرين، بول ميسينير، نائب رئيس شركة أمازون لسياسة الابتكار والاتصالات.

وسيقوم بول بتقديم أمثلة توضح كيف حافظت الشركة على الابتكار الذي يركز على العملاء، وسيقدم طرقا يمكن للشركات الأخرى من خلالها تجربة أساليب أمازون في الابتكار.

وتتسابق شركات التكنولوجيا على الحضور بشكل لافت في أسبوع جيتكس، حيث تعرض مايكروسوفت تحت شعار "الغد متاح اليوم" أحدث حلولها التي تشمل مجالات مختلفة مثل التقنية السحابية، وتقنيات أماكن العمل الحديثة، والأمن الإلكتروني والذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى عرض إمكانيات هذه التقنيات في تمكين الشركات وقدرتها على جذب العملاء بشكل أفضل، وتمكين الموظفين، وتعزيز العمليات وتحسين نماذج الأعمال.

وسيحصل زوار جناح الشركة على معلومات واسعة حول مراكز بيانات مايكروسوفت السحابية، كما سيكونون قادرين على اكتشاف إمكانات التقنيات الجديدة التي ستنقل أماكن العمل إلى عالم المستقبل.

وسيتمكن الزوار أيضا من تعلم كيفية الحفاظ على أمان مؤسساتهم في ظل تزايد الهجمات الضارة، وكذلك استكشاف أدوات جديدة مخصصة لأماكن العمل الحديثة عبر المناطق المخصصة للتجارب التفاعلية داخل جناح مايكروسوفت، كما ستعرض مايكروسوفت مجموعة متنوعة من العروض التي توضح فيها قدرة تقنيات الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء على المساهمة في تعزيز الحياة اليومية وتسريع المهام وتبسيط العمليات.

ويلقي علي دلول المدير العام لاستراتيجية التسويق التجاري لتقنيات الذكاء الاصطناعي، والمعرفة، والخدمات السحابية للواقع المختلط لدى شركة مايكروسوفت في ريموند واشنطن خلال افتتاح أسبوع جيتكس للتقنية، كلمة رئيسية يسلط من خلالها الضوء حول كيفية الاستفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي في دفع عجلة التحول الرقمي وتمكين المنظمات من الابتكار.

وتقوم مايكروسوفت أيضا بالإعلان عن أحدث مشاريعها وشراكتها التعاونية الجديدة التي تهدف إلى تسليط الضوء على فوائد التحول الرقمي.

تفعيل الذكاء

تكشف شركة هواوي عن أحدث تقنياتها القائمة على الذكاء الاصطناعي في دبي، حيث تعرض تحت شعار "تفعيل الذكاء"، تقنيات المعلومات والاتصالات المصممة خصيصا لتمكين الشركات في الشرق الأوسط من اتخاذ الخطوة التالية الكبيرة على طريق عملية التحوّل الرقمي والذكي. كما تسلط الضوء على دور هذه التقنيات في إحداث تغيير جذري في طريقة تفاعل الحكومات والشركات والمستهلكين مع العالم من حولهم.

وسيشهد العالم بحلول العام 2025 ارتفاعا كبيرا في عدد الأجهزة الذكية، إذ سيصل عددها إلى 40 مليار جهاز. وبينما ستعتمد أكثر من 86 بالمئة من الشركات والمؤسسات على تقنيات الذكاء الاصطناعي، ستصل نسبة الاستفادة من البيانات إلى 80 بالمئة. كما ستنتشر خدمات الذكاء الاصطناعي لتصبح كالهواء موجودة في كل مكان وتساهم في ظهور عالم ذكي تتاح فيه فرص لا حدود لها.

وستتضمن الشراكات الجديدة والمنتجات والحلول التي تعتزم هواوي الكشف عنها في أسبوع جيتكس مجموعة متكاملة من تقنيات الذكاء الاصطناعي المناسبة لسيناريوهات متنوعة، بالإضافة إلى أحدث المعالجات المزودة بتقنيات التعلم الآلي، الإصدار الجديد من فيوجن كلاود 6.3، ومجموعة متكاملة من حلول الحوسبة السحابية الذكية المخصصة للشركات، كلاود لينك، والتي ستساعد الشركات في الدخول إلى العصر الرقمي. كما ستكشف هواوي أيضا عن النسخة الجديدة من مخدم فيوجن المزود بوظائف الحوسبة الذكية مثل منصة تفعيل الذكاء الاصطناعي بالاعتماد على بنية سحابة واحدة، موارد واحدة، منصة واحدة بهدف مساعدة الشركات في تسريع عمليات الانتقال نحو نظام الحوسبة السحابية وتنفيذ عملية التحوّل الرقمي بنجاح. ومن المنتظر أيضا أن تستضيف هواوي مجموعة مشتركة من المؤتمرات بمشاركة أهم مزودي الاتصالات في منطقة الشرق الأوسط بهدف استعراض أحدث حلول شبكات الاتصالات اللاسلكية الواي فاي.

ومع تطور التقنيات الرقمية بوتيرة متسارعة، ستصل هذه التقنيات بشكل سريع إلى أهم القطاعات لتفتح أمام الشركات آفاقا لا حدود لها من الابتكار والتنمية. وبعد أن أصبح أحد أهم القطاعات وأكثرها تأثيرا، يلعب قطاع تقنية المعلومات والاتصالات اليوم دورا رئيسا في عملية التنمية الاقتصادية في العالم وقيادة التطور الاجتماعي وإعادة إحياء الصناعات التقليدية، فضلا عن دفع عجلة التنمية الاقتصادية المستدامة وتحسين الإدارة والخدمات الاجتماعية.

وستكون منطقة الشرق الأوسط المستفيد الأكبر من تطور قطاع تقنية المعلومات والاتصالات. فهذه المنطقة تشهد تغييرات ثورية بالتزامن مع توجه قادتها إلى إجراء تغيير جذري في مجتمعاتهم بهدف بناء اقتصاديات معرفية متنوعة.

وبدوره، يساهم قطاع تقنية المعلومات والاتصالات بدور كبير في إنجاح الرؤى المستقبلية للمنطقة. وستلعب تقنيات الذكاء الاصطناعي الناشئة على وجه التحديد الدور الأبرز في القفز نحو الجهة الأخرى من العالم الذكي، حيث سيرتبط الأشخاص والسيارات والمنازل والأجهزة بشكل متكامل يوفر تجارب ورؤى وإمكانات غير مسبوقة.

وتلتزم هواوي بالتزامن مع انتشار تقنيات الذكاء الاصطناعي بتمكين شركائها في الشرق الأوسط من مواكبة أهم التغيرات. وتعبيرا عن التزامها بنشر ثقافة الانفتاح والمشاركة، تستضيف هواوي الاثنين يومها السنوي الثالث للابتكار في الشرق الأوسط على هامش مشاركتها في أسبوع جيتكس. ومن المنتظر أن تنطلق فعاليات يوم هواوي للابتكار تحت شعار الابتكار من أجل شرق أوسط رقمي لمدة يوم واحد لتوفر المنصة المناسبة لاجتماع أبرز الشخصيات المؤثرة وخبراء تقنية المعلومات والاتصالات بهدف مناقشة سُبل التعاون معا لتنفيذ عملية التحوّل الرقمي بنجاح والمضي قدما نحو عالم رقمي.

وأعلنت شركة "إتش. بي" أنها ستبرز قدرات حلول الابتكار الرقمي التي طورتها مع شركائها في مجالات الذكاء الاصطناعي وبلوك تشين وإنترنت الأشياء للقطاع الصناعي. وقال فابيو فونتانا، نائب رئيس شركة "إتش. بي. إنتربرايز" بالشرق الأوسط، "أولا ستعرض التقنيات التي تعيد تعريف مركز البيانات بأفضل الممارسات، وهي أساس البنية التحتية لمركز البيانات، من أعباء العمل الافتراضية مع حلول سيمبليفيتي المتكاملة وحتى أعلى مستوى من مرونة حلول سينيرجي، فضلا عن مرونة إدارة بيئات السحاب المتعددة من خلال حل إتش. بي. ون. سفير، إلى جانب تبني حلول الذكاء الاصطناعي في مركز البيانات لتبسيط العمليات مع حلول "إتش. بي. أنفوسايت" هناك أيضا تطور تقنيات التخزين نحو تبني كل منظومات تخزين فلاش.

> زوار جناح مايكروسوفت يكتشفون إمكانات التقنيات الجديدة التي ستنقل أماكن العمل إلى عالم المستقبل

ويضيف قائلا "سنظهر كيف يجمع أسلوب نموذج العمل جرينليك، مرونة السحابة العامة وجدواها الاقتصادية لأمن البنى التحتية في الموقع والتحكم بها. وستكون جوهرة الحلول عرض أول نموذج أولي للحوسبة المدفوعة بالذاكرة، الذي يعرض لأول مرة في الشرق الأوسط، وهو إنجاز مختبرات هيوليت باكارد باسم مشروع الآلة الذي يدخل تحولا أساسيا نحو معمارية الحوسبة للاستفادة من توليد كمية البيانات الهائلة". ويختم بالقول "تخيل كيف يمكنك توسيع قيمة الابتكار الرقمي في حياتنا في حال قمت بتسريع تنفيذ تحليلات في الذاكرة بصورة أسرع بـ 15 مرة وإنجاز تحليل مخططات رسومية على نطاق واسع بمعدل سرعة أعلى بـ100مرة أو تقييم نموذج مالي أسرع بـ10 آلاف مرة! يمكنك إعادة التفكير كليا بعمليات حيوية وتزويد زيادة هائلة في التأثير الإيجابي في حياتنا".

وتقدم «فيليبس» و«إي. أو. سي» أكبر مجموعة من المنتجات التي تحظى بعدد كبير من المستخدمين في المنطقة لتقدم في الأسواق حلول عرض كمبيوتري من المستوى الأول وصولا إلى الشاشات المحترفة.

الحلول الأمنية

وتعرض كاسبرسكي لاب خلال المشاركة في دورة 2018 من أسبوع جيتكس للتقنية، حلها الأمني القوي "كاسبرسكي ثريت أنتج مناجمت ديفانس"، بجانب حلول أخرى.

ويجمع حل كاسبرسكي هذا، الخاص بالتعامل مع التهديدات والدفاع ضدها، قدرات كاسبرسكي العالية ضد الهجمات الموجهة مع خدمات كاسبرسكي للأمن الإلكتروني وقدرات كاسبرسكي الجديدة الخاصة بالكشف عن التهديدات عند النقاط الطرفية والتعامل معها، ويضعها ضمن منصة واحدة.

ويمنح هذا الحل الشركات والجهات الحكومية المجال لاعتماد نهج استراتيجي يهدف إلى الكشف عن الهجمات المعقدة التي قد تُشنّ على البنية التحتية لتقنية المعلومات، والتحكم بنجاح في بيئاتها الأمنية الرقمية وتخفيف المخاطر المحدقة بها.

قال أمير كنعان، المدير العام لشركة كاسبرسكي لاب في الشرق الأوسط وتركيا وأفريقيا، إن شركته على استعداد لتزويد السلطات الحكومية المعنية بالأمن الرقمي خلاصة خبرتها، وأن تضع بين أيديها أفضل تقنياتها وخدماتها التي تمكّنها من دعم جهودها الرامية إلى مكافحة الجريمة الإلكترونية.

وأضاف "نحن نرى في جيتكس منصة لا مثيل لها لرفع مستوى الوعي حول الجوانب الأمنية الرقمية الحرجة لدى الجهات الحكومية والشركات والمؤسسات من جميع الأحجام، وسنقوم خلال الحدث المرتقب بعرض مجموعة من أبرز الحلول الأمنية".

38TH GITEX TECHNOLOGY WEEK

مفهوم جديد للسيارات من سناب

الرياضات المكثفة تزيد الضغط على عضلات الطفل

التمارين المتنوعة تجنّب التحميل الزائد على جانب واحد

ينغمس الأطفال بحماس وشغف كبيرين في ممارسة رياضاتهم المفضلة ويستمرون في التدرب لساعات طويلة ولا يتوقفون حتى عند الشعور بالتعب، وهذا ما يشكل خطرا جسيما على العضلات والأربطة والعظام ويزيد من إجهادها والضغط عليها، مما قد يتسبب في إصابات بالغة يصعب تجاوزها في ما بعد.

الرياضة المتوازنة ضرورية لكثافة العظام وقوتها

❏ **كولن (ألمانيا)** – على الرغم من أهمية الرياضة للطفل، إلا أن رابطة أطباء الأطفال والمراهقين الألمانية حذرت من عدم التوازن والتحميل على جانب واحد، وخاصة عند ممارسة أنواع الرياضات المكثفة.

وأوضحت الرابطة الألمانية أن الطفل إذا لعب كرة القدم مثلا لأكثر من ست ساعات، فإنه قد يصاب بتقوس القدم، ولذلك فإنه يجب الانتباه إلى التوازن مبكرا، ويمكن أيضا طلب المشورة من طبيب الأطفال أو طبيب العظام.

ولتجنّب التحميل الزائد على جانب واحد يفضل عموما ومن وجهة نظر طبية ممارسة الطفل للعديد من التمارين المختلفة، وعدم الالتزام مبكرا بنظام واحد.

تحذير الأطباء والأخصائيين لا يعني الامتناع تماما عن ممارسة الرياضات المكثفة، ولكن هو بمثابة توصية توجيهية للانتباه إلى القدر الأقصى من هذا النوع من التمارين. فقد بيّنت دراسة أجريت في جامعة "نوتنغهام ترنت" أنّ ممارسة التلاميذ للتمارين الرياضية المكثّفة خلال النهار الدراسي تحسّن من مستوى انتباههم وتركيزهم. ولفت الباحثون إلى أنّ ممارسة التمارين تساعد الأطفال في تحسين سرعة التفكير بشكل فعّال.

> النشاط البدني يساعد على نمو العظام والعضلات والمفاصل والقلب والرئتين بطريقة صحية، بالإضافة إلى الحفاظ على وزن مثالي للجسم

الدراسة التي نُشرت في دروية (بريفنتيف ميديسين ريبورتس)، شملت عينة من 44 تلميذاً في سن الـ12. وطلب من التلاميذ الخضوع لسلسلة من سباقات الركض خلال 10 ثوانٍ، تخللها جولات مشي طيلة 50 ثانية. واختبرت مجموعة من التمارين الخاصة بهدف تكرار النشاطات نفسها التي يمارسها الأطفال في ساحة المدرسة، إذ يركضون لفترة قصيرة ثم يتوقفون ثم يركضون ثانية لفترة قصيرة. وبعد ذلك طُلب من التلاميذ الخضوع لبعض الاختبارات لقياس أداء العقل.

وفي هذا السياق، قال كبير الباحثين سيمون كوبر "تلك الاختبارات تقيس القدرة المعرفية، من مستويات تركيز وقدرة على التركيز وانتباه الذاكرة، وهي كلها أمور نحتاجها في الدراسة". وتابع "لنتائجنا أهمية كبيرة بالنسبة إلى المدارس، فهي تظهر أهمية التربية البدنية، كما تدعم إدراج التمارين المكثّفة التي تعتمد على الركض للتلاميذ في سن المراهقة أثناء اليوم الدراسي".

ووفقا للباحثين، فإن أطفال المدارس الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و10 سنوات يطورون عظاما أقوى، ويزيدون القوة العضلية ويحسنون التوازن عندما تكون ألعاب الكرة، مثل كرة اليد وكرة القدم، أو تدريبات الدوائر في جدول نشاطهم اليومي.

وقال المؤلف الرئيسي للدراسة، الدكتور بيتر كروستروب للعلوم الرياضية وعلوم الصحة في جامعة بيتر كروستروب بنيويورك، "تبيّن أبحاثنا أن التمرين المكثّف في المدرسة له آثار إيجابية واضحة على كثافة العظام، والقوة العضلية والتوازن في الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و10 سنوات".

وفي الدراسة، التي نشرت في المجلة البريطانية للطب الرياضي، فحص الباحثون صحة العظام والعضلات في 295 من أطفال المدارس على مدى عام دراسي كامل وشارك الأطفال في مفهوم تدريبي يبحث في آثار أنواع مختلفة من التدريب الفاصل المكثف في المدرسة.

وقارن الباحثون التأثيرات على الأطفال الذين أخذوا دروس التربية البدنية المدرسية العادية مع الأطفال الذين كانوا يمارسون تمارين مكثفة لمدة ساعتين في الأسبوع، فضلا عن تمارين الجمباز والقوة.

وأشارت النتائج إلى أن الأطفال في الصف الثاني الذين مارسوا ألعاب الكرة لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع لمدة 40 دقيقة، ازدادت قوة العضلات بينهم بنسبة 40 بالمئة، فضلا عن حدوث تحسن بنسبة 15 بالمئة في مستويات التوازن، في حين ارتفعت كثافة العظام للأطفال بنسبة 45 بالمئة كاملة مقارنة مع مجموعة السيطرة.

وقال مالت نيجست لارسن، الأستاذ المساعد "تبين الدراسة أن كثافة العظام في مجموعة ألعاب الكرة ارتفعت بنسبة 7 بالمئة في الساقين و3 بالمئة في الجسم ككل، مما يعطي دفعة حقيقية لصحة العظام".

وأضافت أن التمرين في المدرسة للأطفال هو أول خطوة كبيرة نحو الوقاية من هشاشة العظام، في وقت لاحق من الحياة.

تجدر الإشارة إلى أن مجموعة من الباحثين الأستراليين، من جامعة هارلاند وجامعة ولونغونغ، قد أكدوا أنّ ممارسة الأطفال الذين يعانون من زيادة في الوزن للتمارين الرياضية يمكن أن تسبب ضغطاً على أقدامهم التي لا تزال في مرحلة النمو؛ لأن الطفل السمين عادة ما تكون قدمه مسطحة وسمينة، مما قد يؤدي إلى زيادة الضغط على الجزء المقوس من باطن القدم.

كما أوضحت الدكتورة ديان الرديفورد، قائدة فريق الدراسة، أن النشاط البدني مسألة حاسمة للصحة ووقف زيادة الوزن أمر مهم. وأضافت "إن الأطفال البدناء ربما يشعرون بعدم الراحة خلال التمارين الرياضية، لذا يجب وقف استخدام الرياضة معهم، واستخدام أنشطة بديلة للممارسات الرياضية المكثفة، مثل: السباحة وركوب الدراجات، فكل تلك أنشطة بديلة لا يشعر فيها الجسم بعبء الوزن الزائد.

كما أفادت دراسة نرويجية أن النشاط البدني يؤثر بالإيجاب على الأطفال، من حيث خفض خطر الإصابة بالاكتئاب، مثل الشباب والبالغين تماما.

الدراسة أجراها مجموعة من باحثين في الجامعة النرويجية للعلوم والتكنولوجيا، ونشروا نتائجها في دورية (بيدياتريكس) العلمية.

ولمعرفة تأثير ممارسة الرياضة على الأطفال، تابع الباحثون حالة 800 في سن السادسة من أعمارهم، على مدى 4 سنوات، لكشف العلاقة بين النشاط البدني وأعراض الاكتئاب. ووجد فريق البحث، أن ممارسة الرياضة، خصوصا تلك التي ينتج عنها تعرق، تحمي الأطفال من الإصابة بالاكتئاب.

وقال الباحثون إن نتائج دراستهم تشير إلى أن النشاط البدني يمكن أن يستخدم لطريقة الوقاية والعلاج من الاكتئاب في مرحلة الطفولة.

ونصح الفريق أولياء الأمور والعاملين في مجال الصحة، بضرورة حثّ الأطفال على ممارسة النشاط البدني، مثل ركوب الدراجة أو اللعب في الهواء الطلق، والحد من مشاهدة التلفزيون وألعاب الفيديو، لحياة صحية أفضل.

وكانت دراسات سابقة أظهرت أن المراهقين والبالغين الذين لا يمارسون الأنشطة البدنية، ويميلون إلى أنماط الحياة الخاملة مثل مشاهدة التلفزيون وألعاب الكمبيوتر، تزيد فرص إصابتهم بالاكتئاب.

وتنصح منظمة الصحة العالمية، الأطفال والشباب بممارسة الرياضة لمدة ساعة على الأقل يوميًا، بالإضافة إلى تخصيص الجزء الأكبر من النشاط البدني اليومي للألعاب التي يتم ممارستها في الهواء الطلق.

وأضافت المنظمة، أن ممارسة النشاط البدني تساعد الشباب على نموّ العظام والعضلات والمفاصل والقلب والرئتين بطريقة صحية، بالإضافة إلى الحفاظ على وزن مثالي للجسم.

وإضافة إلى ذلك، أظهرت دراسة كندية أن النشاط البدني في مرحلة الطفولة قد يساعد الدماغ على بناء احتياطي معرفي يمنع الإصابة بالتدهور المعرفي عند الكبرى. أجرى الدراسة باحثون في علم الأعصاب بجامعة "تورنتو" في كندا، ونشروا نتائجها في دورية (اينورو) العلمية.

ولرصد العلاقة بين النشاط البدني في مرحلة الطفولة والحد من التدهور المعرفي، فحص الباحثون مجموعتين من الفئران في سن صغيرة.

ووضعت المجموعة الأولى في قفص به عجلة مخصصة للركض، لمدة 6 أسابيع، فيما وضعوا المجموعة الثانية في قفص آخر لا توجد به أي وسائل للممارسة النشاط البدني، لنفس المدة المذكورة، التي تمثل مدة طويلة من حياة الفأر مقارنة بالإنسان.

ووجد العلماء أن ممارسة الرياضة البدنية في سن مبكرة، كان له تأثير طويل الأجل على قدرة الفئران على التعلم وحفظ استجابة الخوف، بالمقارنة مع المجموعة الأخرى. وكان نشاط الخلايا العصبية في الدماغ لدى الفئران التي مارست الرياضة، أكبر بكثير مقارنة بالتي لم تمارس نشاطًا بدنيًا.

كلما انتقل الجسم من الخمول إلى النشاط قلّ عدد الخلايا السرطانية

❏ **برلين** – أفادت رابطة مساعدة مرضى السرطان بأن ممارسة التمارين الرياضية يوميًا يمكن أن يحد من خطر الإصابة بمرض سرطان الثدي بنسبة 20 إلى 30 بالمئة.

وأوضحت الرابطة الألمانية أن أداء التمارين الرياضية لمدة 30 دقيقة من شأنها تنشيط عملية الأيض وتقوية النظام المناعي للجسم، كما إنها تساعد الجسم على إصلاح الضرر الذي يلحق بالتركيب الوراثي.

ونصحت الرابطة الألمانية النساء اللاتي لا يتحركن كثيرا بوضع أهداف قابلة للتحقيق والقياس أمام أعينهن مثل الركض 30 دقيقة يوميا لمدة ثلاث أشهر بشكل متواصل، والالتزام بها والقيام بالمزيد من النشاط في الحياة اليومية.

كما توصّل باحثون ألمان ودنماركيون إلى أن ممارسة الرياضة عامل مهم في القضاء على الخلايا السرطانية. وقد أثبتوا أن الرياضة يمكن أن تكون عاملا مهما مساعدا في محاربة السرطان.

الدراسة التي أشرف عليها البروفسور مارتن هاله، من جامعة ميونيخ التقنية، تقول إن الحركة مهمة جدا للقضاء على الخلايا السرطانية بعد الإصابة وقبلها، إذ يقول البروفسور هاله "عدم النشاط، سبب من أسباب الإصابة بالسرطان". ويضيف "كلما انتقلنا من حالة الخمول إلى النشاط، قلّ عدد الخلايا السرطانية في الجسم، حسبما أوضحت نتائج الدراسة على الخلايا السرطانية".

ليس المطلوب من المصابين بالسرطان ممارسة رياضات قوية وعنيفة ككرة القدم أو المصارعة، كي يضعف لديهم نمو الخلايا السرطانية. فلكل مريض يوضع برنامج رياضي خاص يتعود عليه تدريجيا ويدفعه للتحرك والنشاط أكثر. ويجب أن يكون البرنامج حسب قول البروفسور هاله، ملائما لمرحلة العلاج الكيميائي أيضا.

ونشر باحثون من الدنمارك دراستهم في مجلة "سيل ميتالبولزم" العلمية والتي أوضحوا فيها أن الفئران المصابة التي تتحرك على الدولاب الخشبي، انخفض عدد الخلايا السرطانية عندها إلى النصف مقارنة بتلك التي بقيت خاملة لا تمارس نشاطا معينا. والسبب، حسب الباحثين، يعود لارتفاع نسبة هرمون الأدرينالين في الجسم، الذي ينشط الخلايا المضادة ويرسلها إلى المناطق المصابة عن طريق الدم. ويعتقد العلماء الألمان أن مثل هذه العمليات موجودة أيضا في جسم الإنسان.

وتوصلوا في تحليلهم إلى أن الفئران النشطة، تحمل جينات تدفع إلى النشاط وتساعد على عمل نظام المناعة بالجسم. ووجدوا أن عدد الخلايا القاتلة للخلايا السرطانية وجسيمات الدم البيضاء عند الفئران النشطة أكبر من غيرها، وأن هذه الخلايا القاتلة تقوم بالقضاء على الخلايا السرطانية بعد انتقالها إليها عن طريق الدم.

ولم يكن من المهم خلال الدراسة إن كان الأدرينالين ينتج في الجسم عن طريق الرياضة أو يحقن في الفئران، فالنتيجة كانت واحدة. لكن نتيجة مهمة خلصت إليها الدراسة أيضا، وهي أنه في حال منع هرمون الأدرينالين من العمل، فإن الخلايا السرطانية لن يقل عددها، سواء من خلال ممارسة الفئران الرياضة أو عدمها. أي أن الأدرينالين عن طريق الرياضة عامل مهم في القضاء على الخلايا السرطانية في الجسم.

كما كشفت دراسة حديثة قام بها الطبيب الرياضي فريرك باومان مع فريق من الباحثين، أن الرياضة والحركة وسيلتان لمعالجة الآثار الجانبية لمرض السرطان، فخلال إدارته لمجموعة البحث في أحد المعاهد الرياضية بمدينة كولونيا، لاحظ تحسنا، بالإضافة إلى أن انخفاض معدل الجسيمات المسؤولة عن شيخوخة الخلايا وتحفيز الخلايا السرطانية، مع الرياضة. لكن الخطوة الأولى نحو ممارسة الرياضة من قبل من يعالجون من السرطان صعبة جدا، لأن العقبة الرئيسية هي الخوف، والشعور بعدم الطمأنينة. وتشير الدراسات إلى أن نشاط المصابين بالسرطان ينخفض إلى 30 بالمئة، بعد اكتشاف المرض، وهذا خطأ فادح فلا شيء أسوأ من عدم الحركة بعد الإصابة، لأن هذا الأمر يضر بعملية العلاج ضد السرطان.

> أداء التمارين الرياضية لمدة 30 دقيقة يوميا من شأنها تنشيط عملية الأيض وتقوية النظام المناعي للجسم

ونقل الموقع الألماني دويتشه فيله عن باومان قوله "يجب أن تكون طبيعة التمارين الرياضية التي يقوم بها المصاب ملائمة أيضاً لنوع الإصابة بالسرطان. فمثلاً هناك أنواع من السرطان التي يتم معالجتها بالعلاج الكيميائي، الذي يؤثر على القلب، كما أن سرطان الدم يضعف جهاز المناعة في الجسم، ما يستوجب الحذر خلال ممارسة رياضة معينة".

ويبدو أن فكرة ممارسة الرياضة بجانب المعالجة بالسرطان بدأت تلاقي ردود فعل إيجابية من الكثيرين خلال الأعوام الماضية.

الرياضة اليومية تصلح ضرر الخلايا السرطانية

أحلام الشباب تجارة مربحة لمراكز تعليم وهمية ممهورة بأختام «دولية»

تواطؤ من الجيل الجديد للحصول على مكاسب مادية سريعة بأقل جهد

انتشـرت بعض المعاهد التعليمية المتاجرة بأحلام جيل اليوم الذي يشـعر باليأس من ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلى حد الاستسلام أمام مراكز مجهولة وغير معتمدة، أملا في الحصول على شـهادات، حتى لو كانت وهمية، تساعدهم على الهروب من أزمات الفقر والبطالة والتدهور الاجتماعي.

محمود زكي
كاتب مصري

❑ **القاهـرة** – حـذرت حكومـة السـويد عبر حسـاب تابع لها ناطق باللغـة العربية على موقع "تويتر" مؤخرا، من اسـتخدام أسـماء جامعاتهـا ومعاهدها في عمليـات الاحتيال على الشـباب في دول عربيـة والترويج لمنح شهادات منسوبة لعدد منها.

وقبل نحو شـهرين شـغلت قضية تزوير شهادات عليا لعدد كبير من الشباب الكويتي باستخدام اسـم جامعة مصرية الرأي العام، واعتبرها البعـض قضية نصب خطيرة على الشباب في تاريخ جرائم الاحتيال.

ونجحـت المعاهـد والمراكـز الوهميـة فـي جـذب الآلاف مـن الشـباب فـي مصـر ودول عربيـة، مسـتغلة رغبتهـم في تحقيق طموحاتهم بأقصر الطرق العلمية.

وتلعب تلك المراكز على وتر وهم الشـباب بضـرورة اقتران كل شـهادة جامعية بأخرى غربيـة لتضفي قـوة تعليميـة أو اجتماعية أمام الأقـارب والأقران، وهو مـا جعل أغلب تلك المعاهد تخلق حالة من التشـويق بالزعم أنها تقدم شـهادات دولية بأسعار منخفضة وشهادات موثقة.

> المعضلة أمام الشباب تكمن في غياب الرقابة الحكومية على المراكز التعليمية، والاكتفاء بالتأكد من صحة ترخيصها المهني

ويعد تكـرار الاحتيـال باسـم جامعات سـويدية نموذجـا للعشـرات مـن الأمثلـة التي نمت في العقد الماضي بشـكل سـريع، وتسـببت في وقوع العديد من الشـباب في فخ المتاجـرة بأحلامهم وإقناعهم بالحصول على شهادات مميزة كالماجستير والدكتوراه، وهـم في منازلهم أو مـع حضور عدد صغير من الـدورات والمحاضـرات علـى الإنترنت والسـهلة من أجل اجتياز المتطلبات، بذريعة الحصـول فـي النهاية على شـهادة أجنبية معتمدة.

وتحولـت مراكز منح الشـهادات الدولية إلى ظاهرة ملحوظة اقترنت بالشباب الباحث عن إثبـات ذاتـه بالقفز السـريع، حتى وإن كانت بطرق مشـكوك فيها وتخالف القانون، لتحقيق أحلام البحث عن وظيفة بمرتب كبير أو الهجرة إلى إحدى الدول الغربية، بشهادة جامعية مرموقة أو كوجاهة اجتماعية مزيفة.

تطلق العشـرات من المراكـز الوهمية في مصر أسـماء براقـة باللغـة الإنكليزية على نفسـها، لتضفي نوعا من المصداقية وتعطي انطباعا بالعالمية، مثل مركز مانهاتن، ومعهد يـورك، وتسـتخدم ثلاثة حـروف مختصرة لتكـون مرتبطـة بهيئـة عالميـة يصعب فك رموزها مثـل "أم.سـي.واي" أو "آر.تي.أل"، وقدرة خاصة على بث إعلانات براقة وجذابة عبـر صفحات لهـا علـى مواقـع التواصل الاجتماعـي تحمل شـعارات تدغـدغ أحلام الشـباب وطموحاتهـم، مثل "دبلـوم جامعة لوبـاك طريقك إلى العمـل بألمانيا"، "احصل على ماجسـتير مـن جامعة دوليـة بأرخص الأسـعار وأقوى عروض العمل"، "هل سمعت عن الشـهادة الدوليـة الأميركية.. وسـيلتك للحصول على غرين كارد الأميركي؟".

وتواصلت "العرب" مع إحدى الصفحات باسم مركز "بولتمر الدولي للدراسات العليا"، ويصل عدد متابعيها إلى أكثر من 50 ألف شخص، وادعت الصفحة قدرتها على الشراكة مع جامعات أميركية كبيرة وتزعم أنها تقدم عبر مركزها في حي شبرا (وسط القاهرة) شهادات "ميني ماجستير" أو ماجستير "مصغرة" في كافة العلوم.

وأجاب مسؤولو المركـز عـن معنـى مصطلـح "مينـي ماجسـتير" وكيفية التقديم عليه؟ في تصريحات لـ"العرب" فقالـوا إنه مقترن بعدد مـن المعاهد والمراكز المعتمدة في الولايات المتحدة، والمنهج عبارة عن مجموعة محاضرات مدتها سـتة أشـهر متصلة، يقدمها محاضرو المركز ويسـتطيع بعدهـا المتقدم الحصول على ماجسـتير في الإعـلام من جامعة "بولتمـر" الأميركية بعد اجتياز امتحان نهاية الدورة باللغة العربية، ولا يشـترط الحصـول على امتحـان إجادة اللغـة الإنكليزيـة. ويكون علـى الطالب دفع مبلـغ 570 دولارا فقـط مقابل تلـك الخدمات المميزة.

حلول سهلة لمشاكل صعبة

لا خيارات بديلة

ومع بحث سريع على الإنترنت، تبين عدم وجـود جامعة بهذا الاسـم، ولا ذكـر للمركز المصري فـي أي جهة تتبع الولايات المتحدة. ولم تقـدم صفحات البحـث المختلفة تعريفا لمصطلح أكاديمي باسـم "ميني ماجستير"، مـع التأكـد مـن اسـتحالة الحصـول على ماجسـتير فـي العالم دون قضـاء عام كامل على أقل بدوام حضور يومي.

وحملـت تعليقـات زوار صفحـة المركز المجهـول على فيسـبوك تلهفا من الشـباب، الذيـن يسـألون المركز عـن موعـد التقديم وطبيعـة الامتحانـات وقـوة الشـهادات الممنوحة فـي توفير عمل بالخـارج وتعزيز فرص الهجرة.

ويقول سمير السـيد أحمد، حاصل على ليسـانس آداب مـن جامعة القاهـرة، وأحد الذين حصلوا على شهادة "ميني ماجستير" فـي علم النفس، إنه تبين عند الاطلاع عليها، مـن قبـل المجلس الأعلـى للجامعـات، أنها مزورة، مشـيرا إلى أنه تعرف على المركز عن طريق صديق حصل على شـهادة الليسانس من جامعـة كندية عبـر المركز ذاتـه بعد أن أوهمـه أنها الطريق الأسـهل للحصول على الإقامـة في إحـدى الدول الأجنبيـة والعمل هناك.

وأضـاف لـ"العـرب" أن ما شـجعه على استكمال الدراسة في المركز انخفاض أسعاره وسـهولة المواد المقدمة، حتى أن المحاضرين قدموا الإجابات قبل دخـول امتحان اجتياز الماجستير بأسبوع واحد.

ورغـم توقع أحمد منذ البداية احتمال أن تكون تلك الشهادة غير معتمدة، لكنه قال "لم تكن أمامي فرصة الاختيار، أبحث عن وظيفة منـذ أكثر مـن عامين بمرتب مجـز ولا أجد، وتوفر تلك الشـهادة جاء مناسـبا لأحلامي التي أتمنى تحقيقها ولا أستطيع".

وتعتبر جريمة خداع تلك المراكز والمعاهد للطلاب وإقدام الشـباب عليهـا بكثافة، ذات علاقة مشـتركة "ثنائيـة القطبين؛ لأن تلك المراكز تعد فسـادا لتحقيق الأرباح بوسائل غير شـرعية عن طريق دورات علمية مزيفة، ويشارك الشـباب في خداع أنفسهم بالبحث عـن وسـائل سـريعة، لا تتطلـب الكثير من العناء للحصول على مؤهلات غير صحيحة".

ويميل الكثير من الشـباب إلى سياسـة البحـث عن الحلول السـهلة والهـروب من المشـكلات الحياتية، والظـروف الاقتصادية المعقـدة واسـتفحال البطالـة، بخلـق حالة مـن الإنكار الذاتي تقوم علـى اختيار أقصر الطـرق، وإن كانت عبر قنوات غير شـرعية، بحجـة تحقيـق طموحاتهم الزائفـة. وهو مـا يرجـح إدراك الكثير مـن المتقدمين لتلك المراكز زيف شـهاداتهم، لكنهم يستمرون في اسـتكمال إجراءات التقدم ظنا منهم أنها قد تكون وسيلة لخداع أرباب العمل بعد ذلك.

وتقـول سـهير عبدالدايم، أسـتاذة علم الاجتمـاع بجامعـة القاهـرة، إن ظاهـرة الشهادات غير المعتمدة ليست مقترنة بكونها جريمـة تخالف القوانـين، لكنها ذنب فرضه المجتمع الذي اختار طريق الاستسهال كنهج عام، بداية من طرق حل الشـخص لمشـاكله وحتى تعليمه وصحته وسكنه.

وتوضح عبدالدايم لـ"العرب" أن الجميع يشـترك في تلك الظاهرة السلبية، بداية من المجتمع الـذي لا يجد غضاضـة في البحث عن مجد زائف لمجرد توثيق مظهر اجتماعي معين، والشـباب الذي اختـار عدم بذل الجهد لتحقيـق أحلامـه، والحكومـة التـي تركت المساحة لتلك المراكز للعمل بحرية دون رقابة عليها أو محاسبة.

رياء اجتماعي

رغم تنوع أهداف الإقبال على الشهادات، غير الموثقة من معاهـد مجهولة، بين الرغبة في السـفر والترقي في العمل أو البحث عن وظيفة وتحقيق الطموحـات بأقصر الطرق، يختلـف هدف أمجد مسـعود، الـذي تخرج مـن المعهد العالـي للاتصالات، عـن أهداف زملائه من المتقدمـين، حيث اختار الحصول على شـهادة ماجسـتير مزيفة في هندسـة الاتصالات من جامعة تدعى "ويسـت بروك" الأميركية، وهي جامعة وهمية، لأجل الزواج مـن زميلتـه بالجامعة بعـد أن رفض أهلها زواجه بسبب ضعف مؤهله الدراسي.

يشـير مسـعود لـ"العرب" إلى أنه كان عليه الاختيار بين خسارة الفتاة التي أحبهـا أو البحث عن وسـيلة لتحسـين سـجله التعليمي، وأنه حـاول الحصول على شـهادات عليـا مـن جامعـات حكوميـة معتمدة، لكنه كان يصطدم كل مـرة ببيروقراطية متطلبات التقـديم وارتفـاع أسـعار الدورات.

وتابـع "توصلـت عن طريق إعلانات الإنترنت، إلى إحـدى الشـركات التـي تعطي شـهادة متخصصـة، ووافقت علـى منحي الماجستير بالتقسـيط ودفع مبلغ 500 دولار علـى مـدار عام، كانت فرصـة عظيمة، وبدأت الدراسـة وبـدا من الوهلـة الأولى أنهـا دورة أقل من المسـتوى المتوقـع، لا سـيما بعـد أن لاحظ الدارسـون أن المناهج ضعيفة وغير متعمقة، كمـا أنه لا توجـد معايير واضحـة للتقييم، فضلا عن تدني مستوى المحاضرين".

ورغم تشـكك أغلـب الحضور فـي زيف الـدورة والشـهادة، لكن معظمهم اسـتكمل الدراسـة وحصـل علـى شـهادة موقعـة ومختومـة باللغة الإنكليزية، وسـواء كانت الشهادة مزورة أو حقيقية فالأمر لا يهم، فهي فـي النهاية منحت للشـاب المزيد من المظهر الاجتماعـي، ووفـرت له الاحتـرام في أعين أسرته وأسرة زوجته.

وتتناسـق قصة الشـاب أمجد مسـعود مع الكثير من الحـالات التي اتخذت من تلك الشـهادات واجهـة تعكس التقديـر العلمي للشـخص الحاصل علـى الشـهادة، خاصة الدكتـوراه، التي تضفي لقبـا جديدا يجاور اسم الحاصل عليها وتزيد من احترام الأقارب والأصدقاء دون أن يستطيع أحد كشفها.

وتتكـرر تلـك النمـاذج باسـتمرار دون خجـل، ويرجع البعـض أسـباب تزايد تلك الظاهـرة بين الشـباب إلى غايتـين، الأولى مرتبطـة برغبتهم في تحقيـق اعتزاز مزيف بالنفـس لبلورة طموح يبـدو أنهم عاجزون عن تحقيقه، مع الوضع الاقتصادي المتدهور والمستوى التعليمي المتدني.

أمـا الغاية الثانية فترتبط بأولياء الأمور والأسـر الذيـن يسـعدون بالمظهـر البراق ويتناسـون عدم صلاحيـة الشـهادات غير المعتمدة، دون اهتمام بجودة التعليم نفسـه، ومدى تأثيـره على عقليـة وتكوين ووجدان وشخصية الطالب.

ويرجـع الكثيـر مـن الخبـراء أسـباب الظاهـرة إلـى منظـور مجتمعـي للتعليـم وأهميتـه، وهي مسـألة تعـود جذورها إلى عقـود طويلة أضحـى فيهـا التعليم واجهة تتلخص في شـهادة تعلق على جدران المنزل دون اهتمام بتحقيق تعليم أفضل ينتج شابا قادرا على الإصلاح.

وباتت مواجهة ظاهرة الشـهادات المزيفة وإقبـال الشـباب عليهـا مقترنـة بتجديـد منظومـة التعليـم وقبلهـا إصـلاح نظـرة المجتمـع إلـى الشـهادة العليـا وارتباطها بالجهد للوصول إلى مكانة مرموقة تستحق الإشادة والتشجيع.

وظائف وهمية

لا يتوقف الاحتيال باسـتخراج شهادات عنـد المجـال الأكاديمي فقـط، لكنه يشـمل الوظائـف الوهميـة أيضا. تتعـدد قصص مراكز التأهيل إلى أعمال ووظائف معينة مع تكرر مكالمات رقم مجهول يحمل صوتا أنثويا عذبا يحيطه الكثير من الضجيج ليبدو نابعا من مركز اتصالات يعمل بجد. تسأل صاحبة الصـوت بكل رقة وأدب الشـاب عن سـماعه بأحـدث الـدورات الدوليـة لتعلـم مهارات التنميـة البشـرية ومهـارات إدارة الحياة، ثم يعود ليسـأل الصوت ذاتـه هل تحلم بأن تكون مرشدا نفسـيا أو أخصائيا اجتماعيا أو مدرب قدرات وتنمية بشرية؟

إذا حـاول الشـاب التملص منهـا دعته بـكل إخلاص إلى أن يأتي لحضور محاضرة واحدة مجانا ليتعـرف على إمكانيات المركز المدعـم من جهات حكوميـة أوروبية لتطوير المجتمع.

تعكس تلك المراكز نوعا من التسـلق على أحلام الشباب المنهك والبائس. تختار فقدانه لأهلية العمل في مجاله، وتطلق عنانه بتغيير السـلك الوظيفي بالكامل نحو مجال التنمية البشـرية، الذي لا يحتاج إلى شهادة خاصة، لكنه يتطلب مهارات اجتماعية ولغة حماسية دافعية.

> التعليم واجهة تتلخص في شهادة تعلق على جدران المنزل دون اهتمام بتحقيق تعليم أفضل ينتج شابا قادرا على الإصلاح

أضحت تلـك ظاهـرة مثيرة منـذ نهاية التسـعينات مـن القـرن الماضي مـع ظهور الراحـل إبراهيـم الفقـي خبيـر التنميـة البشرية، الذي نجح في غضون سنوات قليلة في تحقيق شـهرة واسـعة في مجال تنمية الذات والمهارات النفسـية. وبدا الرجل قدوة للكثيـر من الشـباب، لأنه لم يمتلك شـهادة علمية جامعية تتيح له التحول إلى خبير في مجال تطوير مهارات البشر.

تسـلمت الكثير مـن المراكز بعـده راية تدريـس كيفية تعلـم علم التنمية البشـرية وأصبحـت تنتج دفعات من شـباب يسـعى ليكون محاضـرا وعالما بشـهادات مجهولة ليقترن اسـمه بلقب دكتور بلا علم أو خبرة أو مهنة.

لم تتوقف الشـهادات المزيفة عند وظائف التنمية، لكنهـا ارتبطت أيضا بدورات إعداد مدرسـي اللغـات وقـادة المسـتقبل وبعض المتخصصين في علوم الإدارة وريادة الأعمال وإدارة المشـروعات الصغيـرة وغيرهـا من الوظائـف التـي ترتبط فـي ذهن الشـباب بتحقيـق مكاسـب ماديـة سـريعة بأقل جهد ممكن.

كل مـا تطلبه تلك المدارس هـو الانتظام فـي الحضور مع تحصيل مبالـغ تتراوح ما بـين 100 دولار وألف دولار ليحصل الشـاب فـي النهاية على شـهادات تحمل شـعارات جامعـات أجنبيـة، وتوقيع يصعـب قراءته بالإنكليزيـة ومباركـة بدخول سـوق العمل كخبير متخصص لم يتعلم شيئا جديدا.

تبقـى المعضلة أمـام الشـباب في غياب الرقابـة الحكوميـة على المراكـز التعليمية، والاكتفاء بالتأكد من صحة ترخيصها المهني، والذي يدرج ضمن مكان تعليمي يقدم خدمات دون النظر إلى طبيعتها أو مؤهلات مقدميها أو حتى ما يتم عرضه من مواد علمية.

مع كل أزمة يحملها مركز مجهول، تخرج الجهات الرسمية لتشجب وتدين تلك الأعمال وتؤكد عزمها دحر محاولات تزوير الشهادات العلميـة، لكن تبقى تلـك المراكز حاضرة بلا مساس، يدعمها الشـباب المتلهفون، لتتغذى على أحلامهم بلا جهد واقعي لتحقيقها.

تبدل الأدوار يكبل المرأة العربية بالمزيد من القيود المعنوية

تراكم المهام على المرأة يحولها إلى ذكر بجسد أنثوي

سعت قطاعات نسوية ومنظمات حقوقية كثيرة في العالم العربي إلى كسر الهالة التي تحيط بالرجل، وباتت أحلام البعض تقتصر على تحجيمه وتناست المرأة أن ذلك ربما يؤثر عليها كأنثى لطيفة، وربما تتخلى مجبرة عن كونها سيدة، وتلجأ أحيانا إلى استخدام الخشونة المادية أو المعنوية للتأكيد أنها يمكن أن تكون "سي السيد أيضا".

شيرين الديدامونى
صحافية مصرية

لا تختلف عن الرجل في شيء

❏ **القاهرة** – لدي الكثير من العضلات كالرجل، ويمكنني أن أعمل كثيرا كما يفعل.. أستطيع أن أحمل أوزانا أيضا.. ألست امرأة؟ لكني قوية مثله، الآن يجب عليكم ألا تخافوا من منحنا حقوقنا، فإذا قامت امرأة بإفساد العالم، أعطوها فرصة أخرى لإعادة ترتيب الأمور".. تلك الكلمات كانت من الخطاب المشهور "ألست امرأة؟"، من أوائل النصوص التي نادت بالنظر في معاناة النساء وألقته سوجورنر تروث المناضلة الأميركية الحقوقية.

المفارقة أن ما قالته عام 1851 يكاد يصف علاقة الملايين من النساء العرب بمجتمعاتهن حاليا، والأهم علاقتهن بشركائهن من الذكور، فبعضهن ظهرت عضلاتهن، وأخريات يحملن ما لا يحتمله رجال أقوياء.

تحققت بعد مرور أكثر من قرن ونصف القرن مطالب كثيرة لما نادت به تروث، وظهر في العقدين الأخيرين مصطلح "امرأة قوية ومستقلة"، بين السيدات العربيات، ورددته صغيرات عند التعبير عن أمنياتهن المستقبلية، فهي الصورة التي وجدن عليها أمهاتهن بعدما تبدلت الأدوار بين الرجل والمرأة وصارت الأخيرة رجلا في الدور والصفة بالنسبة للمحيطين بها وحملت لقب "سوبر ماما" كبديل للشخصية "سوبر مان".

هناك محاولات دؤوبة من بعض النساء للاستقلالية عن الرجل، ففي السعودية انطلقت حملة "أنا ولية أمري"، التي قادتها الناشطة آلاء سعيد آل شبر، للمطالبة بإسقاط الولاية عن النساء، فالمشكلة بالنسبة لها ولرفيقاتها أن المرأة في المملكة متساوية مع الرجل في العقوبات فقط دون الحقوق، وبالمثل تناقلت سيدات إماراتيات هاشتاغا للتخلص من ولاية الرجل عليهن.

لم يتوقف الأمر عند المطالبة برفع الولاية بل تعدينها لاستلابها من الرجال، وانتشرت في بعض الدول العربية ظاهرة "عصمة المرأة" كشرط أساسي لإتمام الزواج، خاصة في الدول التي خاضت حروبا، وتشير الإحصائيات إلى أن هناك أكثر من 400 ألف سيدة يحتفظن بالعصمة في أيديهن، ليحصنّ أنفسهن من غدر الرجال، ومن المتوقع أن تتضاعف أعدادهن في السنوات المقبلة أو تتحول إلى حق قانوني لهن. وفي مصر أعد عضو بالبرلمان مشروع قانون "لتنظيم عمل المأذونين" يجيز للمرأة تطليق نفسها من الزوج، كتبادل قانوني للأدوار.

> 400 ألف سيدة يحتفظن بالعصمة في أيديهن ومن المتوقع أن تتضاعف أعدادهن في السنوات المقبلة أو تتحول إلى حق قانوني

وتتواصل الحملات من أجل إنصاف النساء ومساعدتهن على نيل أدوار في المجتمع كالرجل، لكن السؤال المهم هل النساء راضيات وسعيدات بما تحصلن عليه، وهل تبدل الأدوار في الحيّز العام، قابله تغير للأدوار داخل المنزل، أم كانت قيودا جديدة كبلتهن وفاقمت الأعباء الملقاة على كواهلهن؟

نهايات موجعة

حتى وقت قريب كان المنزل عالم ثابت للمرأة، أو كما تقول الجدات، "مملكة" للمرأة، أما الشارع فهو مملكة الرجال، ولم يكن أحدهما يستطيع الاستغناء عن الآخر، فالزوج لا يتحمّل غياب المرأة عنه، وبالمثل هي حيث كان الرجل يمثل لها الحماية والأمان. الآن تبدل كل شيء وانقلبت الموازين لتختلف معايير القوامة بين الجنسين، وسادت صورة للمرأة العربية تخالف ما كان سائدا في الماضي.

وقالت مروة عبدالقادر إنها عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها تجاوبت مع الشعارات الرنانة بضرورة أن تكون امرأة مستقلة ماديا وتحقق ذاتها، وكانت تشعر بالسعادة وهي تتنقل بين المحافظات لتوعية الفتيات بضرورة استقلالهن.

واستطاعت عبدالقادر وهي طالبة أن تعتمد على نفسها في كل شيء، فكانت تحصل على مبالغ مالية من بعض المنظمات تكفي مصروفاتها الشخصية، وتظاهرت بالقوة لمواجهة الضغوط والتحديات المحيطة بها رغم طبيعتها الناعمة.

وتخرجت من كلية الهندسة لتتحول إلى امرأة عاملة مستقلة، وبعد الزواج والإنجاب اكتشفت أن الأعباء التي ألقيت عليها تحت شعار المساواة وتبادل الأدوار، عقاب وليس مكافأة، وطالما شغل تفكيرها سؤال لم تجد له إجابة على مدار السنوات الماضية، هل تكبدت النساء كل الحروب ضد المجتمعات الذكورية لتحقيق مطالبهن دون دراسة لما يترتب عليها من إجحاف وظلم لهن؟ وما حال النسوة اللواتي لم يخترن هذا الاستقلال أو يطالبن به وأجبرتهن ظروف الحياة على تحمل جميع الأعباء والمسؤوليات؟

وقالت عبدالقادر لـ"العرب" إنها تنهي عملها الساعة الرابعة عصرا وعليها أن تقوم بواجباتها المنزلية والاهتمام بأطفالها، وعليها أن تؤدي مهامها الزوجية مع رجل لا يتنازل عن حقوقه في علاقتهما الحميمة تحت أي ظرف، وتخصص نهاية الأسبوع لتوفير احتياجاتها المنزلية أو صيانة سيارتها، وفي ظل ارتفاع الأسعار، لا تنفق من راتبها الشهري على نفسها بل ينفق كله لسد باقي احتياجات الأسرة، عكس زوجها الذي يدخر من راتبه.

واعتبرت ما يحدث مؤامرة ذكوريّة على النساء، والمساواة المطلوبة تعود على المرأة بالمزيد من الخسائر وأنها لم ولن تتحقق، فالمساواة بالنسبة لها هي التحرر من كافة المسؤوليات التي أثقلت كاهلها.

وتمنت أن تكون مثل الرجل، تسهر مع صديقاتها في النادي الاجتماعي وتعود إلى المنزل وتجد طعامها جاهزا مع كوب شاي ساخن وهي جالسة على أريكتها المفضلة، ثم تذهب لتنام دون مطالب. لكن المرأة الآن مقيدة وتقوم بدورها ودور زوجها ولا تستطيع التوقف عن الدوران كي تستمر الحياة، وأنهت كلامها قائلة "لا أريد أن أكون امرأة قوية العضلات، إنما أريد أن أكون سيدة وكفى".

وتشابهت حالة عبدالقادر مع حالات كثيرة لنساء رصدتها "العرب" كلفهن تبادل الأدوار مع الرجل التنازل عن أهم ما منحته الحياة لهن وهي "أنوثتهن"، فارتضين تحمل ضغوط العمل إلى جانب مسؤولياتهن المنزلية الثقيلة، لا لشيء سوى للتخلص من فكرة جلد الذات وأنهن لم يتنازلن عن مكتسباتهن.

زوجات كثيرات تنصل أزواجهن من المسؤولية تجاههن وتجاه الأسرة فاضطررن إلى أن يأخذن مكانهم، ومطلقات لم يتكيفن مع وضع خاطئ أو زيجات فاشلة لا ترضيهن فاستقللن بأبنائهن ماديا، وأرامل فقدن أزواجهن فوقفن أمام واقع بائس وجمعن بين واجبات الأم والأب، وهناك عازبات أجبرتهن الظروف على مسؤوليات كثيرة.

وأكدت إحداهن وتدعى أمل لـ"العرب" أنه إذا كانت المرأة غير مضطرة إلى مثل هذه الحياة، فعليها ألا تحارب لأن تعيشها، ولا تتحمل مسؤوليات أكثر من طاقتها أو تعرض نفسها لضغوط ومشاكل، وإنما عليها أن تستمتع بالحياة التي تكون أفضل كلما كانت الضغوط قليلة.

وذكرت أمل النساء بروايات رسمت واقعا مؤلما للمرأة التي تبدلت أدوارها مع الرجل دون نهاية سعيدة، منها رواية "بيت الدمية" للكاتب هنريك إبسن، التي دارت أحداثها حول امرأة لطيفة وديعة محبة، كافحت كثيرا من أجل منزلها وزوجها. لكنها اكتشفت أنه يستغلها لتسديد ديونه، وكانت تتوقع وقوفه إلى جانبها وتقديره لتضحياتها، ليأتي اليوم الذي قالت له "سأغادر البيت الآن"، وحين توسل إليها، أجابته "أريد أن أعرف من أنا".

بعدما تبدلت الأدوار الاجتماعية التقليدية للزوجين وتخلى الرجل عن مسؤولياته وصارت المرأة معيلة الأسرة اتكل الزوج عليها في كل شيء وظهر مقابل كل امرأة قوية مستقلة رجل "لا مسؤول".

عاشت لبنى سليم، مديرة فرع لأحد البنوك الأجنبية، معاناة يومية بسبب شجارها مع زوجها بعد أن أصبحت فجأة العائل الوحيد للأسرة ما ملأ حياتها بالتوتر، بسبب ترك زوجها لعمله، ورفضه البحث عن عمل جديدة.

اعتمد الزوج على عملها وكان يأخذ جزءا من راتبها لنفقاته الخاصة، دون أن يفكر في مسؤوليات المنزل أو أبنائه الثلاثة، وغدت أجمل أوقات الزوج هي التي تغيب فيها الزوجة عن البيت وتذهب للعمل. وطلبت الطلاق من زوجها لكنه رفض واستقوى عليها، وهددها بأنه سيفضحها في مكان عملها وينشر بين صديقاتها أنها على علاقة برجل آخر.

وأكدت آية ماهر، أستاذة الموارد البشرية بالجامعة الألمانية في القاهرة، لـ"العرب" أن تغير الوضع الاقتصادي وانتشار البطالة تسببا في تهاوي القوامة المادية للرجل، وحدث تبادل للأدوار، فهناك أزواج انسحبوا وتواروا عن الأنظار، وتركوا المجداف للمرأة لكي تبحر بالأسرة.

وأشارت إلى أن هناك دراسة أكدت أن تبادل الأدوار التقليدية يتسبب في سخط الطرفين، فالمرأة المعيلة للأسرة بعملها تزيد احتمال إصابتها بالكآبة، والعكس صحيح بالنسبة للرجل الذي يكون سعيدا حين ينهض بمهمة إعالة الأسرة، ويكون مصدر دخلها الرئيسي.

ووجد باحثون أن سعادة الرجل تناقصت فور خروجه من سوق العمل ليكون مسؤولا عن شؤون المنزل وينهض بالأعباء التي تتولاها تقليديا ربة البيت، لكن لم يحدث هذا مع المرأة ولم يتأثر وضعها النفسي نحو الأسوأ نتيجة تركها الوظيفة لتصبح أما تلازم البيت لإدارة شؤونه ورعاية الأطفال.

وأوضحت رشا عبدالحكيم، استشارية الأمراض النفسية، أن تراكم الأدوار على المرأة جعلها رجلا في جسد أنثوي، فقسوة الضغوط وإهمالها عاطفيا واتكالية الرجل عليها أفقدتها نعومتها في التعامل معه.

وأكدت عبدالحكيم لـ"العرب" أن هناك نساء ترددن عليها ظهرت عليهن علامات الرجولة، بعد ارتفاع نسبة هرمون الذكورة لديهن، مثل ظهور شعر الذقن والعضلات والصوت الخشن، وهو أمر خطير يشير إلى اضطرابهن نفسيا نتيجة للدور الذي يؤدينه، وتعاملت الطبيبة معهن بشكل سريع بالأدوية وليس بالجلسات خوفا من تدهور حالتهن.

الأخطر من ذلك أن الأمر يترك آثارا سلبية على العلاقة الحميمة بين الزوجين، فحينما تنقلب الأدوار تهتز صورة الرجل عند المرأة، وهذا يؤثر على أداء الرجل سيكولوجيا، ويجعله يفرض رغباته على زوجته بشكل مستمر، خوفا من فرض تصوّرها لحياة جنسيّة تختارها بنفسها.

ويتكيف الزوج مع فكرة أن تكون المرأة رجل البيت، وفي عقله الباطن ردود فعل عنيفة تجاه زوجته، بسبب فقدانه امتيازاته الطبيعية، وعلى الرغم من تبدل الأدوار وخسارته لسلطته المعنوية سيعوّضه إخضاعها لإرادته ورغباته الجنسية للتنفيس عن إحباطه. وقد يتجاوز تبدل الأدوار الفتور الجنسي إلى الخيانة.

إنصاف ذكورية

يقر فاتح، عسكري جزائري متقاعد، بأن ضغوط الحياة الاجتماعية في البلاد، ودور المرأة في التكفل الحقيقي بأعباء الأسرة في الكثير من الحالات، يدفعان باتجاه إعادة ترتيب الأوراق والأولويات بين المرأة والرجل في مسألة الوصاية وحتى العصمة، لأن الدور الذي تقوم به في سبيل تربية وإعالة أفراد أسرتها، بات يحتم على المجتمع إنصافها والاعتراف لها بقدرتها على امتلاك مأمورية الأسرة، خاصة إذا كان الزوج غير قادر على القيام بمهامه.

وذكر فاتح في تصريح لـ"العرب" أن "الذهنية الذكورية في المجتمع الجزائري لا تزال تمارس الجحود تجاه المرأة في هذا المجال، رغم أن الوقائع والاعترافات واسعة النطاق، وأن نوعا من التجاهل العمدي يلف المسألة، فالكثير من العائلات تكون الزوجة والأم فيها هي محور الأسرة، بسبب شخصيتها وتأثيرها على أفرادها، وحسن تدبيرها وإدارتها لشؤون البيت، مما يجعلها وصية في الواقع لكن بصفة غير معلنة".

وأضاف "الواقع لا يجب إنكاره، فهناك من الرجال من لا يحملون من الرجولة إلا الذكورة، ولولا سند الأم أو الزوجة، لكانوا مشاريع اجتماعية فاشلة، وأن النساء هن من يقع عليهن عبء العائلة، سواء بالتربية أو الإدارة والتصرف، أو توفير الحاجيات اليومية، لكن لا يعترف لهن بشكل رسمي بالوصاية".

> تونس تضع إمكانية إتاحة تسجيل المولود بلقب الأم ضمن مجموعة من القوانين قيد الدراسة لصالح الأمهات التونسيات

ويسلم فضيل سعودي، إمام بضاحية بوفاريك بالعاصمة الجزائرية، بانطواء المجتمع على هذه الظاهرة التي تكون المرأة فيها هي الوصية على العائلة لسبب من الأسباب، لكنه غير معترف بها، ومع ذلك يدرجها في خانة الأحكام الفقهية وما يعرف بقوامة الرجل، ويشدد على أن الدين الإسلامي عالج المسائل التي يكون فيها التقصير من الرجل أو عدم قدرته على تحمل مسؤوليات العائلة. وأكد في رده على استفسارات "العرب" أن "الإسلام كرم المرأة وشرّع بأحكامه للمجتمع الإسلامي، وأن الفرق شاسع بين الوصاية والعصمة، ولا يهم المرأة أن تكون وصية على الورق، لأن وصايتها أزلية في تربية وبناء الأجيال والمجتمعات، ولا يمكن لأحد إنكار ذلك، بينما العصمة هي حكمة إلهية قدرها الله عز وجل".

وترى بهية، أستاذة تعليم ثانوي جزائرية، المسألة من زاوية التضامن الأسري وتضافر الجهود لتربية وتنشئة الأبناء، والمهم بالنسبة لها هو إخلاص النوايا، لأن الحديث عن أولوية الوصاية والعصمة بين المرأة والرجل سيجر المجتمع إلى جدل مزمن وإلى أزمات ليست في الحسبان، ولو أن هناك من الحالات ما يتوجب على المشرع ومؤسسات الدولة الحسم فيها، لأن الضرر واضح على المرأة التي تتحول إلى مناضلة من أجل أسرتها، ومجبرة على التنازل للرجل، تقديسا للدين والتقاليد الاجتماعية ونظرة المحيط. وتحاول تونس الاعتراف بجهود التونسيات من خلال سن مجموعة من القوانين تصب في صالحهن إذ لا تزال إلى الآن تبحث عن سبل حماية المرأة حيث وضعت جملة من القرارات من بينها إتاحة تسجيل المولود بلقب الأم ضمن مجموعة من القوانين قيد الدراسة.

شارك في إعداد التقرير: صابر بليدي

التعليم المبكر ينمّي قدرات الطفل في التواصل الاجتماعي

الخوف من إدخال الطفل إلى المؤسسات التربوية مبكّرا يجعله منطويا

تخاف الكثير من الأسر وخاصة الأمهات عند خروج الطفل للمجتمع وتخشى الكثير منهن أن يجد أبناؤهن صعوبات في الاندماج مع المحيطين به في الإطار العائلي الموسع أو في المؤسسات التعليمية وفي المجتمع بصفة عامة. وهو ما يدفع العديد من الأسر إلى الحرص على الخروج مع الطفل منذ شهوره الأولى ووضعه في رياض الأطفال عندما يكبر، لكي يسهل عليه الابتعاد عن أمه وعن أجواء البيت ويندمج مع أقرانه والمحيطين به.

سعاد محفوظ

❏ **القاهرة – توجد العديد من الفترات الحساسة والمهمة في حياة الطفل منذ ولادته وهذه الفترات تلعب دورا أساسيا في تكوين شخصيته ونموه المتوازن وقد تقع العديد من الأمهات في أخطاء تربوية بصفة عفوية لكثرة حبهن لأبنائهن فتخفن عليه من الآخر وتحبسنه في أحضانهن، ولا تعين خطورة هذه السلوكات إلا عندما يكبر ويصبح شخصا منطويا على ذاته عاجزا على التواصل مع الآخرين.**

تقول الدراسات العلمية إن الذكاء العاطفي لدى الطفل يتطور بين عمر 6 و18 عاما، وتلك السنوات تؤثر في اكتسابه مهارات وقدرات خاصة، كالثقة بالنفس والدافع الذاتي والسيطرة على النفس والمتابعة والاستمرار عند بدء عمل ما، والقدرة على تحويل الشعور السلبي إلى شعور إيجابي. وخلال الفترة من 5 إلى 7 سنوات تتطور قدرة الطفل اللغوية، وتنتهي فترة تعلم المهارات المكتسبة عند بلوغه العشر سنوات تقريبا كتعلّم الموسيقى.

وتؤكد أستاذة أصول التربية بجامعة عين شمس سيناء أحمد سلامة، على المزايا المعرفية لكل من برامج ما قبل الروضة التي تساعد الأطفال في سن 4 سنوات، وبرامج التعليم المبكر التي تخدم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من سنة إلى 3 سنوات وعائلاتهم.

> الأطفال الذين تواجه تصرفاتهم بالسخرية من قبل الكبار، أو يتعرضون للعقوبة أو التجاهل، يصبحون خجولين

وتفيد برامج ما قبل الروضة معظم الأطفال، خاصة أطفال الأسر ذات الدخل المتدني، وتساعدهم في الكثير من مجالات الاستعداد للمدرسة. كما أنّ برامج التعليم المبكر تؤدي إلى ارتفاع معدل النمو الاجتماعي – الانفعالي، وتفيد آباء الأطفال أيضا.

وتضيف سلامة أن "برنامج ما قبل الروضة يعمل على مشاركة الآباء في أنشطة أطفالهم في المدرسة والمنزل، وقد اكتشفنا أن الأطفال الذين لم يشاركوا في برامج ما قبل الروضة لم يكن أداؤهم جيدًا في اختبارات المعرفة التي تقيس مهارات القراءة وما قبل القراءة، ومهارات ما قبل الكتابة والتهجئة، ومهارات التفكير الرياضي وحلّ المشكلات، مقارنة بالذين شاركوا في برامج ما قبل الروضة".

وحسنت برامج ما قبل الروضة درجات الاختبار ومهارات الأطفال، وفق مقاييس المعرفة واللغة، والنمو الاجتماعي والانفعالي، وقورن آباء الأطفال المشاركون في برامج التعليم المبكر بالآباء الذين لم يشارك أطفالهم في هذه البرامج من حيث علاقتهم بأطفالهم، فكان هناك ارتباط وثيق بين الآباء وأطفالهم عندما يتفاعلون معهم.

ويرى استشاري الدراسات النفسية عبدالعزيز حسن أن الرعاية والاهتمام اللذين يحظى بهما الطفل في السنوات الثماني الأولى من حياته، لا سيما خلال السنوات الثلاث الأولى، تؤدي دورا حاسما في نمو الطفل، وتؤثر فيه طوال حياته، ويتعلم الأطفال بسرعة منذ لحظة ولادتهم، وهم يتعلمون بشكل أسرع عندما يحظون بالحب والاهتمام والتحفيز، بأشكاله كافة، فضلا عن الرعاية الصحية السليمة. بالإضافة إلى أن تشجيع الأطفال على اللعب والاكتشاف يساعدهم على التعلم والنموّ اجتماعيًا وعاطفيا وبدنيا وفكريا.

ويتعلم الأطفال السلوك عن طريق تقليد سلوك أقرب الناس إليهم مما يستدعي أن يحذر الكبار في تصرفاتهم أمام الأطفال، ويجب على الوالدين ومقدّمي الرعاية أن يعرفوا علامات الخطر التي تشير إلى تأخر نموّ الطفل.

الخطوات الأولى الصحيحة تضمن مستقبل الطفل

ويشير عبدالعزيز إلى أنه "ينبغي للأمهات احتضان أطفالهن ومعانقتهم واللعب معهم، لأن ذلك يحفّز النموّ ويعزز التطور العاطفي، وكذلك يجب العناية بالرضاعة الطبيعية التي تزوّد الرضيع بالأمن والاطمئنان، كما تنصح الأمهات بفهم انفعالات الأطفال لأنها حقيقية وقوية، وقد يشعرون بالإحباط إذا عجزوا عن عمل شيء ما أو الحصول على شيء يريدونه".

أما الأطفال الذين تواجه تصرفاتهم بالسخرية من قبل الكبار، أو يتعرّضون للعقوبة أو التجاهل، فيصبحون خجولين وغير قادرين على التعبير عن عواطفهم، وإذا ما تحلّى مقدّمو الرعاية بالصبر والتعاطف عندما يعبّر الطفل عن انفعالات قوية، فمن المرجّح أن ينمو الطفل أكثر سعادة وتوازنا. كما أن العقاب البدني أو إظهار العنف يعيق نموّ الطفل.

أما دور الأب فيعدّ دورا مهما على نحو خاص، إذ بوسعه أن يلبّي احتياجات الطفل من الحب والحنان والتحفيز وتوفير بيئة آمنة وخالية من العنف.

وهو ما يحتم على المحيطين بالطفل أن يشجعوه على اللعب والتفاعل الاجتماعي، والانتباه إلى تأخر النموّ النفسي والجسدي مع دفعه للتحدث إلى الأصدقاء والإنصات إليهم، وتوفير بيئة اجتماعية تربوية سليمة مليئة بالودّ، وتنمية قدراتهم في النطق والحركة.

من جانبه يقول أستاذ الدراسات الاجتماعية بجامعة حلوان أسامة أبوالنصر "إن التعلّم المبكّر للطفل لا شك له سلبياته وإيجابياته، فربما يشعر الطفل أنه يواجه عالما غريبا لا يستطيع أن يتكيّف معه، ويشعر بالغربة داخل المدرسة والحنين إلى البيت، ويستغرق في البكاء كونه لم يتعود إطلاقا على الابتعاد عن أسرته وبيته ومازال مرتبطا بأمه وقد يتطلب ذلك وقتا حتى يتعود على التجربة".

ومن جهة أخرى فإن التعليم المبكّر للطفل يساهم في تطوير شخصيته ويعلّمه معنى الالتقاء برفقاء المدرسة وكيف يتعامل معهم، ويعبّر عن ذاته وهنا لا بد للمعلمة القائمة على تعليم الطفل أن تتميّز بالصبر والتسامح والحنان والثقافة حتى لا تسبّب صدمة شعورية للطفل إذا كانت قاسية في سلوكها معه.

ويدعو أبوالنصر إلى الاهتمام توفير الألعاب التربوية التي تخاطب ذهن الطالب والألعاب الرياضية البسيطة التي لا تعترضه صعوبة في ممارستها، كما أن الفضاء التربوي يحبّذ أن يكون جذّابا وفيه الألعاب الآمنة حيث يمكن للطفل أن يمارس حياته فيه بأمان ومتعة.

ويوصي المختصّون في علم النفس والتربية ألا تكون المادة العلمية المقدّمة للطفل كثيفة أو لا تتناسب مع عمره واهتماماته، لذلك ينصحون بإعداد المنهج المناسب ليعلّم الطفل مهارات في الحياة، ولا تقوم على الحفظ والتلقين وإنما على التفكير وحلّ المشاكل وتعزيز الهوايات، وبذلك يحقق التعليم المبكر للطفل مزاياه وأهدافه طالما توافرت له العناصر التربوية الضرورية التي تساعد الطفل على النموّ بدنيًا وذهنيًا.

لكي لا تذهب المواهب في مهب الريح

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ في مسيرتي المهنية الطويلة نسبيا، ما يربو على الثلاثين سنة، أتعامل باستمرار مع جميع المراحل العمرية للتلاميذ، أطفالا ومراهقين وشبانا، وأنا مختصّ في اللغة العربية وآدابها يصادفني تلامذة متميزون فعلا في فروع المادة، وأخصّ بالذكر الذين يمتلكون توجّهات أدبية وقدرات في الصياغة والتأويل والتخييل تفوق ما لدى أقرانهم وأترابهم.

وتجدني –بوعي أو دونه أحيانا– أميل إلى هؤلاء لدفعهم بطرق بيداغوجية وأخرى تحفيزية لصقل مواهبهم الإبداعية، فتارة أشير عليهم بمطالعة روايات معيّنة فيها مستوى راق من الاستعمالات اللغوية ومستوى عال من تركيبة النسق السردي والحكائي مثل خماسية عبدالرحمن منيف "مدن الملح"، أو فيها بعد إنسانيّ يصوّر المأساة البشرية في بعض وجوهها كـ"شرق المتوسط" لمنيف أيضا، أو توجّها وجوديا ملحميا كما في كتابي محمود المسعدي "السد" و"مولد النسيان".. والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدا.

بتقادم العهد انقطعت تقريبا علاقتي بـ"تلامذتي المبدعين" لسنوات طويلة، ولكن من حسنات الوسائط الإعلامية الحديثة تقريب المسافات، وسمح فيسبوك بالتلاقي مجددا، وكان الذي يجمعني بهؤلاء "الإبداع الهاوي" الذي أردته أن يكون سبيلا من سبل حياتهم فيصبح "إبداعا محترفا". كانت الصدمة كبيرة جدًا لأنني بتواصلي معهم لم أجد سوى القلة القليلة التي واصلت نهج الكتابة، أما البقية فقد قبرت لديهم اللغة واستعمالاتها المخصوصة، وفي أحسن الأحوال لا تمثل سوى وسيلة عمل في مجال التعليم مثلا.

وطرحت سؤالا حارقا لما اعتراني من إحباط: لماذا تقبر المواهب في مهدها؟ وقس على الأدب واللغة مجالات كثيرة أخرى منها ما يتعلق بالعلوم ومنها ما يتعلق بالاقتصاد أو الفن أو الرياضة.

بدردشتي مع البعض من تلامذتي القدامى اتضح أنّ من الأسباب الجوهرية لعدم تنمية القدرات الطبيعية الناتجة عن الموهبة أساسا ما يعود إلى الأوضاع العائلية التي تقف حائلا دون تحقيق الأهداف الشخصية والذاتية.

وهنا أعود إلى ما عشته شخصيا عند تخرّجي، وبالرجوع إلى مسيرتي الجامعية تميّزت في المسار الأدبي وكنت قادرا معرفيا وذهنيا على إكمال الدراسة والتخصّص في المجال وربما التدريس بالجامعة في ما بعد. ولكنني دفنت ذلك الحلم الجميل عمدا والسبب عائلي اجتماعي، إذ هناك أفواه جائعة تنتظر من يطعمها، وأجساد أنهكتها السنين وأعياها المرض، وكان لا بد من تضحية ما، إما تكون بكل الأحلام الجميلة والقناعة بأن طريق الإبداع والموهبة وصل إلى حدّه الأقصى الممكن، وإما بالتضحية بالروابط الاجتماعية والأسرية والاتجاه نحو العقوق الذي لا يُبرر ولا يقبل لا اجتماعيا ولا أخلاقيا.

كنت أدفع تلامذتي إلى التشبث بمهاراتهم ومواهبهم ومحاولة تنميتها والسير في دروبها رغم العراقيل والصعاب، وكنت أعلم وأخفي أنني أول ضحايا هذا المسار.

الموهوبون لا ينمون مواهبهم فيخسرون وتخسر عائلاتهم ثم مجتمعاتهم طاقات خلاقة فعلية قادرة على البناء المثمر والفاعل، كان من المفروض أن يكونوا القاطرة الحضارية للفعل الحضاري. ينقطعون عن ممارسة إبداعاتهم ويوجهون دفة اهتماماتهم لمجالات أخرى قد لا يحبونها أو هم يكرهونها ويمارسون أنشطتهم صلبها مكرهين ويتدنى مردودهم وإنتاجيتهم.

الأشخاص والأسر والمجتمعات بما فيها من مؤسسات حكومية وأخرى مدنية مستقلة، مسؤولون عن هذا "العطب" في المسارات الحياتية. يبدأ الكبت من الفضاء العائلي وتنعدم هوامش الحرية لممارسة ما يبرع فيه الأطفال، فنختار لهم ما يجب أن يحبوا وما يمكن أن يمارسوا ونحدد عوضا عنهم مساراتهم التعليمية، أدبية أو علمية أو اقتصادية أو تقنية، بحسب ميولاتنا لا بحسب ما يستطيعون فعله في ما يختارونه بأنفسهم وبشغف وحبّ كبيرين.

وكأننا بذلك نتلمّس إنجازا ضائعا لم نستطع الإيفاء به في الماضي، فمن كان يحلم بأنه سيصير أديبا يريد من أحد أبنائه أن يحقق عوضا عنه الحلم المفقود، وقس على ذلك من كان يحلم أن يكون طبيبا أو مهندسا أو تاجرا..

تتواصل هرسلة المواهب بطريقة لا واعية في أغلب الأحيان، في الفضاءات التعليمية وليس من عذر لذلك سوى الضعف المادي لمجابهة متطلبات صقل هذه المواهب، وأحيانا أخرى يشكل البعد عن مراكز التجمعات السكانية الكبيرة في القرى وفي المدن عوائق أمام البروز، فعلى سبيل الذكر طفلان يمهران لعبة كرة القدم، أحدهما في الريف على سفح جبل والآخر في العاصمة ويقطن قرب مركب رياضي، وبشيء من التأطير سيصبح أحدهما عند كبره لاعبا محترفا متميزا ولكنهما لا يحتكمان على نفس الفرص والحظوظ، فالأول تكاد الفرصة لديه تكون صفرا والثاني ترتفع النسبة كثيرا.

الأمر عسير ولكنه يتطلب من الجميع –وخاصة الفضاء الأسري الأول– أن يبادروا إلى اكتشاف المواهب ومحاولة دفعها ليس دفعا معنويا فقط بل بتهيئة الظروف النفسية والمادية للنجاح، وأعتقد أن ذلك سيكون استثمارا وطنيا جيدا لصالح الأشخاص والأسر والمجموعة الوطنية ككل، ومن واجب الفضاء المدرسي أن يكرّس مجهوداته لمعاضدة المجهود الأسري، كما من واجب المجهود الجمعياتي معاضدة المجهود الرسمي.

طبق اليوم

حبار بالبهارات مع سلطة

* **المقادير:**
- كيلو من الحبار مقطّع.
- ملعقة كبيرة من الكمون.
- عصير ليمون.
- قليل من الملح وفلفل أسود.
- نصف ضمة بقدونس.
- حبة من الطاطم.
- فصان من الثوم.
- ثلاث بصلات.
- زيت للقلي.

* **طريقة الإعداد:**
- نغسل الحبار بالماء الساخن أو الماء والخل ونشطفه عدة مرات حتى ينظف.
- نقطع الحبار إلى حلقات دائريّة ثم نقطع البصل والثوم والبقدونس.
- نجهز المقلاة ونضع فيها زيت القلي، والبصل، والثوم، ونقلبهم قليلا حتى يبدأ البصل بالذبلان.
- نضيف بعد ذلك الحبار المقطّع فوق البصل، والثوم، ونقلبهم جيداً ونضع عليه البهارات ونتركه بعض الوقت.
- نضيف الطماطم المقطعة ونقلبها مع البقية ثم نضع غطاء على المقلاة ونتركها على نار منخفضة خمس دقائق.
- نفرم البقدونس ونضيفه إلى المقلاة ونغلق عليها مرة أخرى بغطاء المقلاة.
- نتركها على نار غاز منخفضة حتى تنضج.
- نطفئ الغاز عند نضج الحبار ونضعه في طبق التقديم ونزيّنه ببعض ورق البقدونس، وقطع الليمون ونقدمه على مائدة الطعام ومن الممكن تقديم بجانبه بعض السلطة أو قلي بعض البطاطا.

موضة

إيلي صعب يطلق مجموعته لفساتين العرائس لخريف 2019

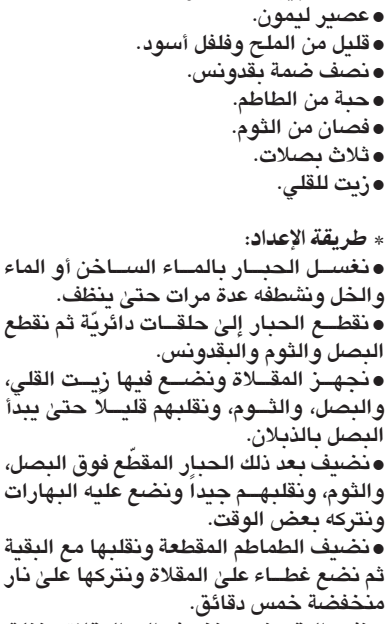

❏ كشف المصمم اللبناني إيلي صعب النقاب عن مجموعته الثانية لفساتين العرائس لخريف 2019. وراوحت تصميمات هذه الفساتين بين موديلات البرانسيس ونماذج الأميرات والتصميمات الموغلة في الحداثة الحقيقية. مؤكدا من خلالها لمسته وطابعه الخاص كمصمم أزياء عالمي يجمع بين الحداثي والكلاسيكي.

وجمعت فساتين زفاف 2019 في تصميمات صعب الجديدة بين الطابع الرومنسي بجمال الدونتيل والتطريز الخفيف والترتر الثمين وبين تفاصيل التصميم الحديثة والتي تجسد جمال جسم العروس التي تختارها.

ووفرت فساتين زفاف خريف 2019 بلمسات صعب مجالا واسعا في الاختيار بحسب الذوق، حيث تجد العروس التي تفضل الطابع الكلاسيكي لمسات تقليدية في الفساتين، كما تجد الأكمام الطويلة وما يتناسب مع العرائس المحجبات، وفي نفس الوقت تجد من ترغب من العرائس في مظهر عصري لمسات جريئة في الفساتين القصيرة.

وكعادته اعتمد صعب على نوعية الأقمشة الراقية التي تخرج تصميماته بشكل مميز يطغى عليه الطابع الأنثوي الناعم.

حان موعد المجد الأوروبي للسيدة العجوز

ماسيميليانو أليغري يقود ثورة التغيير في يوفنتوس

يشهد التاريخ أن لإيطاليا سجلا كبيرا مع المدربين، حيث ترك الكثيرون بصمتهم خلال سنوات مضت وغيرهم يصنع التاريخ اليوم ليس في إيطاليا وحدها بل في كل العالم. وها هو ماسيميليانو أليغري يكتب قصة نجاح كبيرة مع فريق يوفنتوس، الذي يواصل جهوده من أجل السيطرة على القارة الأوروبية في السنوات المقبلة خاصة بعد التعاقد مع العملاق البرتغالي كريستيانو رونالدو.

❑ **روما** – أكد ماسيميليانو أليغري، المدير الفني لفريق يوفنتوس الإيطالي، أنه يرى الوقت قد حان من أجل فوز الفريق بدوري أبطال أوروبا. وقاد أليغري يوفنتوس إلى نهائي البطولة خلال عامي 2015 و2017، لكنه خسر من قطبي إسبانيا برشلونة وريال مدريد. وقال المدرب الإيطالي في تصريحات صحافية "بعد الفوز بسبع بطولات دوري و4 كؤوس إيطاليا، حان وقت المجد الأوروبي الآن". وأضاف "كريستيانو رونالدو؟ أعتقد أن طريقة تدريبه طبيعية ونحن دائما ما نجعله يشعر بالقرب منا".

وأما عن الفريق بشكل عام هذا الموسم وسلسلة الانتصارات، فقال "في الحقيقة علينا التركيز على كل مباراة بشكل منفرد، بعد العطلة الدولية لدينا جنوى ولن تكون مباراة سهلة". وحول الإصابات، أكد المدرب "دوغلاس كوستا أصبح جاهزا للمباراة القادمة أمام جنوى ولا أعلم موقف سامي خضيرة حتى الآن". يذكر أن يوفنتوس فاز بجميع مبارياته التنافسية هذا الموسم بتحقيق 10 انتصارات في جميع البطولات.

وبدأ المدرب الذي ولد بمدينة ليفورنو، مسيرته كلاعب وسط في الدوري الإيطالي، حيث قضى معظم مسيرته في الدرجات الدنيا، قبل أن ينضم إلى بيسكارا عام 1991. ولعب بعدها لأندية كالياري، بيروجيا، بادوفا، ونابولي قبل أن يعود إلى بيسكارا في 1998. ولم تعرف مسيرته الكروية الكثير من النجاح. كما أدين بالتلاعب في نتيجة مباراة عام 2000 وعوقب بالإيقاف لعام واحد.

وتم اختيار ماسيميليانو أليغري عام 2014، ليخلف أنطونيو كونتي على رأس الجهاز الفني للبيانكونيري، بعد طرده من ميلان لتردي النتائج. وهو تعيين لم يعجب الجماهير، كونه لم يحظ بمسيرة كبيرة في عالم التدريب، حيث بدأ مسيرته التدريبية عام 2004 مع أندية في الدرجات الدنيا، وفي 2007 انتقل لتدريب ساسولو وقاده للصعود إلى الدرجة الثانية في 2008. بعدها تولى أليغري تدريب كالياري لموسم واحد. ثم انتقل إلى ميلان، وتمكن المدرب الإيطالي من تحقيق لقب الدوري الإيطالي قبل أن يحصل على لقب كأس السوبر في الموسم التالي.

وبعد أزمة الميلان، أخفق أليغري في البناء على نجاحاته، وأقيل من منصبه عام 2014، لينتقل إلى يوفنتوس. ورغم نجاحه مع فريق السيدة العجوز، تتباين الآراء حوله، حيث يعيد البعض سبب التألق للمدرب نفسه، بينما يعيد آخرون السبب لقوة الفريق. وفي حقيقة الأمر، قد لا يكون أليغري المدرب الأفضل في العالم، لكن إنجازاته برفقة اليوفي كفيلة بأن ترد على كل الانتقادات، فبالرغم من الآراء المتباينة، تمكن المدرب الإيطالي من تحقيق لقب الإسكوديتو الرابع على التوالي للنادي، إضافة إلى بلوغه الدور النهائي لدوري أبطال أوروبا الأول للنادي منذ عام 2003. وتوالت النجاحات في ما بعد لتتمثل بـ4 ألقاب دوري إيطالي، 4 كؤوس كوبا إيطاليا ولقب السوبر الإيطالي. والنجاح الكبير على الصعيد المحلي، يواجهه فشل على الصعيد الأوروبي. فخلال 4 مواسم تمكن أليغري من تغيير أسلوب اللعب، حيث بدأ مشواره مع يوفنتوس محافظا على خطة كونتي (2-5-3). ومع تحقيق النتائج الجيدة، بدأ أليغري في التغيير التدريجي حتى وصل إلى (4–3–1–2)، وهي خطة تتغير من مباراة إلى أخرى تبعا لاختلاف المنافس. وعلى عكس يوفي كونتي الذي تميز بالالتزام الدفاعي من كل اللاعبين، اتسم يوفي أليغري باللعب دون الكثير من التعقيدات، مكتفيا بالاعتماد على قدرات اللاعبين، ومنحهم الحرية، ما أثر نفسيا على اللاعبين وساهم في تشكيل شخصية للفريق، وظهر ذلك جليا في أوروبا.

وهي حلة جديدة أعادت للنادي هيبته، بعد النتائج المتذبذبة أوروبيا في آخر فترات أنطونيو كونتي مع الفريق.

ويعود سبب فشل كونتي أوروبيا، إلى عدم مرونته التكتيكية، حيث كان يصر دائما على خطة (2-5-3)، والتي رغم نجاحها محليا، فشلت أوروبيا، بعد أن لعبت الفرق على الثغرات التي كان يتركها ثلاثي الدفاع البطيء، إضافة إلى الاعتماد الأكبر على السرعة والمهارة اللتين تفتقدهما معظم الأندية الإيطالية التي تفضل الجانب التكتيكي عن الفني والمهاري، ما جعل أليغري يلعب بأربعة مدافعين.

بعد السيطرة المحلية على الألقاب، وبعد اقتراب اليوفي مرتين من الكأس الأوروبية الأغلى، بات المطلب الرئيسي الآن جلب ذات الأذنين إلى ملعب "أليانز أرينا"، إذ أن الجماهير لن تقبل أي عذر هذه السنة لعدم تحقيق دوري الأبطال، خاصة أن التطلعات كثرت بعد جلب أفضل لاعب في العالم 5 مرات كريستيانو رونالدو. الأسماء موجودة، والاستقرار الفني أيضا، وهذا ما يجعل اليوفي أحد أبرز المرشحين لنيل اللقب الأوروبي الأغلى، في موسم قد يكون الأخير لأليغري، في حال لم يتمكن من تحقيق دوري أبطال أوروبا.

أربعة نجوم

رصدت تقارير صحافية خطة نادي يوفنتوس الإيطالي للمنافسة بقوة على البطولات المحلية والقارية خلال الموسم الجاري.

وطبقا لما نشرته صحيفة "توتو ميركاتو" الإيطالية، فإن فابيو باراتيسي المدير الرياضي ليوفنتوس يجهز لخطة تعاقدات شرسة خلال الانتقالات الشتوية في يناير المقبل، لتدعيم صفوف الفريق والسعي إلى انتزاع البطولات المحلية والأوروبية.وأضافت الصحيفة أن السيدة العجوز يسعى لضم الرباعي أنتوني مارسيال، وماتيو دارميان من مانشستر يونايتد، وآدريان رابيو وأنخيل دى ماريا من باريس سان جرمان الفرنسي. وكان يوفنتوس بدأ موسمه بصفقة وصفت بأنها "صفقة القرن" بضم البرتغالي كرستيانو رونالدو قادما من ريال مدريد مقابل 105 مليون يورو.

ويفكر نادي يوفنتوس الإيطالي في التعاقد مع اللاعب الفرنسي بول بوغبا نجم وسط فريق مانشستر يونايتد الإنكليزي في فترة الانتقالات الشتوية القادمة.

وكان بوغبا دخل في خلافات مع المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو مدرب مان يونايتد بسبب طريقة اللعب التي يتبعها الفريق في الفترة الأخيرة. وقالت تقارير صحافية إيطالية، إن نادي يوفنتوس يرغب في استعادة بوغبا مرة أخرى إلى صفوفه خاصة مع إعجاب المدرب الإيطالي ماسيمليانو أليغري المدير الفني لليوفي بقدراته.

ويذكر أن بوغبا كان ساهم في فوز المنتخب الفرنسي ببطولة كأس العالم 2018 في روسيا، حيث سجل هدفا في المباراة النهائية أمام المنتخب الكرواتي في مباراة انتهت بفوز فرنسا برباعية مقابل هدفين.

وانضم بوغبا إلى صفوف مانشستر يونايتد في صيف عام 2016 مقابل 89 مليون جنيه إسترليني قادما من نادي يوفنتوس. وحاول برشلونة الإسباني التعاقد مع بوغبا في صيف العام الحالي لكن مانشستر يونايتد رفض بيع اللاعب.

ومن ناحية أخرى دخل يوفنتوس في سباق التعاقد مع نجم أرسنال، الذي ينتهي عقده بنهاية الموسم الحالي، وفقا لتقارير صحافية إنكليزية. ويتعلق الأمر بالدولي الويلزي آرون رامزي، الذي قالت عنه صحيفة "ديلي ميل" البريطانية، إنه بات هدفا لليوفي، الذي يريد أن يسبق الجميع لخطفه، ومن المنتظر أن يقدم عرضا مغريا للاعب في يناير المقبل.

وتشير التقارير إلى أن رامزي سيطلب راتبا مرتفعا، قد يصل إلى 250 ألف إسترليني أسبوعيا، خاصة أن انتقاله لأي فريق آخر سيكون مجانيا، الصيف المقبل. ويعد ماسيمليانو أليغري، المدير الفني ليوفنتوس، من أشد المعجبين برامزي، علما أنه يوجد اهتمام من جانب ليفربول وتشيلسي أيضا بضم اللاعب. لكن فرصة اللعب إلى جانب كريستيانو رونالدو، في صفوف البيانكونيري، قد تكون عاملا حاسما في اختيار الويلزي. "أينما يحل البرتغالي كريستيانو رونالدو تحل الألقاب".. حقيقة يراها الجميع في مدينة تورينو الإيطالية، وتحديدا جماهير نادي يوفنتوس. ويقدم البرتغالي مستوى مميزا منذ وصوله إلى ناديه الجديد.

وأظهر كريستيانو رونالدو قوته الذهنية بمساهمته في قيادة يوفنتوس حامل اللقب إلى فوزه العاشر تواليا في مختلف المسابقات، وذلك رغم اهتزاز صورته بسبب اتهامه في قضية اغتصاب تعود إلى عام 2009. وعزز فريق "السيدة العجوز" صدارته للدوري، كما عزز الرقم القياسي لأفضل بداية موسم له بتحقيق فوزه العاشر تواليا في جميع المسابقات (8 في الدوري و2 في دوري أبطال أوروبا).

وتفوق يوفنتوس ضد يونغ بويز على إنجاز موسم 1930–1931 حين خرج منتصرا من مبارياته الثماني الأولى، علما وأن الفريق الإيطالي فاز بمبارياته التسع الأولى في موسم 2005–2006 لكن ألغيت نتائجه بعد تجريده من لقب الدوري على خلفية فضيحة التلاعب بالنتائج التي أودت به إلى الدرجة الثانية.

ويعول يوفنتوس كثيرا على رونالدو للفوز بدوري أبطال أوروبا، خاصة أن البرتغالي فاز باللقب الأوروبي الأغلى في آخر ثلاث سنوات.

ويبدو يوفنتوس هذا الموسم فريقا قويا جدا، وخسارته على المستويين المحلي والأوروبي ستكون صعبة. وأي فريق سيفوز على يوفنتوس يجب أن يقدم مستويات مميزة، كون الفريق الإيطالي يمتلك تشكيلة مميزة، ودكة بدلاء مكتملة.

ورغم وجود النجم البرتغالي فإن تقارير صحافية نقلت عن مدرب يوفنتوس الإيطالي ماسيمليانو أليغري، قوله إن "الفريق لا يعتمد على النجم البرتغالي رونالدو، مؤكدا في الوقت ذاته على قيمته". وذكر أليغري "كريستيانو من أفضل لاعبي العالم، وأنا سعيد جدا بما يقوم به، إنه يضيف الكثير من القيمة إلى الفريق لكن الفريق لا يعتمد عليه وحده".

انطلاقة تاريخية

ولم يخسر أليغري أي لقاء في المواجهات المحلية والأوروبية منذ بداية الموسم الحالي. ولكن العنصر الأهم الذي استطاع المدرب الإيطالي تحقيقه هو إخراج الطاقة الكامنة داخل اللاعبين للوصول إلى الحسم الأوروبي والمحلي وتحقيق الثلاثية (الدوري والكأس ودوري أبطال أوروبا)، كما أن تداخل مراكز اللاعبين يفرض على أليغري اللعب بأكثر من خطة وقد استهل هذا الموسم بخطة 3–5–2 ما يوفر الواقعية في التعامل مع لاعبيه. وتغلب أليغري على ما تعانيه الأندية الإيطالية بسبب الانحدار المادي الذي تشهده السوق وخاصة في تأمين دكة بدلاء جيدة تغطي حالات الإصابات والنقص في الصفوف عند حدوثها، إذ غالبا ما تؤدي الانكسارات الأوروبية إلى انخفاض جودة دكة البدلاء، ما يسبب أحيانا زعزعة النسق الذي يلعب به المدرب، وهذا ما يحاول أليغري تجاوزه.

> بعد السيطرة المحلية على الألقاب واقتراب اليوفي مرتين من الكأس الأوروبية الأغلى، بات المطلب الرئيسي الآن جلب الكأس ذات الأذنين إلى ملعب أليانز أرينا

وتبرز فائدة خطة أليغري 3–5–2 في الإغلاق الدفاعي التام ضد أي فريق تكون لديه نزعة هجومية، إذ يعود الظهيران للمساندة في حالة الدفاع، وفي حالة الاستخلاص والارتداد يقوم الظهيران بالصعود مرة أخرى ومساندة اللاعبين في صناعة اللعب. ولكن مع الأندية التي تلعب بنزعة وقوة دفاعية، لا يعود الظهير كثيرا إلى الوراء إلا في حال الضغط العالي من المنافس، ويقوم بالمساندة الهجومية لضمان الكثافة وقد يتحول إلى جناح صريح بما يضمن ضم الجناح إلى العمق لتأمين كثافة هجومية أكبر.

ولكن المحدد الأول لخطة أليغري هو سرعة الانتشار والتحولات بالكرة أو دونها بما يضمن الحركة بين الخطوط وتشتيت مدافعي الخصم. وعادة ما يغير أليغري من خطة 3–5–2 إلى 4–4–2 أو 4–3–2–1. ويجيد يوفنتوس جميع طرق الدفاع بوجود خطه الثلاثي بونوتشي كيلليني وبارزالي أو كالدارا، ويستطيع اللعب بتوازن ما بين خطي الدفاع والهجوم أو بأسلوب الضغط العالي بتوازن الضغط ما بين المراكز كافة بما يشتت المنافس.

وعالج أليغري المشاكل التي عصفت بالنادي في العام الماضي وخاصة ما يتعلق بالثغرة الدفاعية التي تضرب الفريق بين الحين والآخر من الكرات العرضية، أو بطء انطلاق الهجمة من الخطوط الخلفية باتجاه الأمام. ولكن المطلوب من المدرب الإيطالي هو الوصول وحمل الكأس ذات الأذنين الكبيرتين (كأس دوري أبطال أوروبا) بالإضافة إلى الدوري والكأس.

إيطاليا تسعى لتفادي خيبة جديدة أمام بولندا

مانشيني في وضع لا يحسد عليه والخسارة تعني النزول إلى المستوى الثاني

سيكون المنتخب الإيطالي الأحد في وضعية حرجة قد تزيد في تعميق جراح بطل العالم في أربع مناسبات، حين يلتقي نظيره البولندي على أرضية ميدانه في مباراة لحساب دوري الأمم الأوروبية لا تقبل القسمة على اثنين. وتأتي هذه المواجهة المصيرية التي سينزل الخاسر فيها إلى المستوى الثاني، وسط تصاعد الجدل حول النتائج السلبية التي يحققها "الآتزوري" بقيادة مانشيني الذي منحت له كل الصلاحيات لتأهيل جيل جديد شاب قادر على المنافسة عالميا. لكن فيما تحتدم نبرة الجماهير للمطالبة بالنتائج، يقرّ المدرب الجديد بأن الانتظار والتسلح بالصبر هما الأمل الوحيد لكي يعود المنتخب الإيطالي إلى سالف عهده.

❏ **روما** – بعد غيابه عن كأس العالم للمرة الأولى منذ 60 عاما، يجد منتخب إيطاليا نفسه في وضع حرج آخر رغم التغيير الذي أجراه على إدارته الفنية، وذلك لأن الخسارة الأحد أمام مضيفه منتخب بولندا ستجعله ينزل إلى المستوى الثاني في دوري الأمم الأوروبية لكرة القدم.

ورغم انطلاق حقبة المدرب الجديد روبرتو مانشيني بفوز ودي على السعودية (2–1) في مايو الماضي، إلا أن المنتخب الإيطالي فشل في تحقيق الفوز طيلة خمس مباريات متتالية، وكان آخرها المباراة الودية التي جمعته الأربعاء على أرضه ضد أوكرانيا وانتهت بنتيجة (1–1).

> خسارة المنتخب الإيطالي أمام مضيفه منتخب بولندا ستجعله ينزل إلى المستوى الثاني في دوري الأمم الأوروبية لكرة القدم

ويجد "الآتزوري" نفسه في ذيل المجموعة الثالثة من المستوى الأول للبطولة القارية بعد جولتين على انطلاقها، بنقطة واحدة حصل عليها من تعادله في المباراة الأولى على أرضه ضد بولندا بالذات (1–1)، قبل أن يخسر مباراته الثانية ضد البرتغال (1–0).

وستكون مباراة الأحد مصيرية للمنتخبين لأن الخاسر فيها سينزل بشكل مؤكد إلى المستوى الثاني، ما سيعمق جراح الإيطاليين بشكل خاص.

وعاد إلى تشكيلة "الآتزوري" لاعب وسط باريس سان جرمان الفرنسي ماركو فيراتي، فيما استبعد المهاجم المشاغب ماريو بالوتيلي الذي استدعي إلى المنتخب الشهر الماضي للمرة الأولى منذ الخروج المخيب من الدور الأول في كأس العالم 2014.

لكن لاعب مانشستر سيتي الإنكليزي وإنتر السابق ونيس الفرنسي حاليا قدم أداء مخيبا خصوصا في مباراة بولندا. كما فشل في الوصول إلى الشباك هذا الموسم مع فريقه نيس، فأبعده مدربه باتريك فييرا عن رحلة الفريق إلى تولوز السبت الماضي في الدوري.

وفي ظل غياب بالوتيلي ومهاجم تورينو أندريا بيلوتي، أعاد مانشيني استدعاء مهاجم تورونتو الكندي سيباستيان جوفينكو الذي حمل ألوان بلاده منذ 2015.

وبدوره، عاد فيراتي بعد غيابه بسبب الإصابة عن التعادل مع بولندا والخسارة ضد البرتغال الشهر الماضي، بعد أن غاب أيضا عن مباريات بلاده الودية ضد السعودية وفرنسا (3–1) وهولندا (1–1).

وعاد مهاجم يوفنتوس السابق جوفينكو إلى تشكيلة المنتخب بعد غياب 3 أعوام وتحديدا منذ الفوز على النرويج 2–1 في تصفيات أمم أوروبا 2016.

وفي ظل استمرار الأزمة رغم الاستعانة بمانشيني خلفا لجانبييرو فنتورا الذي أقيل من منصبه بعد فشل التأهل إلى مونديال روسيا 2018، فقد خرجت الصحف الإيطالية بعناوين متشائمة جدا بعد الخسارة في الجولة الثانية أمام البرتغال. وكتبت "كوريير ديلا سيرا" أن "إيطاليا مانشيني في أزمة منذ الآن"، فيما رأت "لا ريبوبليكا" أن "إيطاليا لم تنجح حتى الآن في النهوض من كابوس كأس العالم".

وبالنسبة إلى صحيفة "غازيتا ديلو سبورت"، فإن "إيطاليا لم تستيقظ"، فيما انتقدت "لا ستامبا" ما وصفته بـ"إيطاليا الصغيرة".

ومن المؤكد أن الخسارة أو حتى التعادل في مباراة الأحد ضد بولندا التي خيبت الآمال في مونديال روسيا بخروج روبرت ليفاندوفسكي ورفاقه من الدور الأول، ستجعل مانشيني في وضع لا يحسد عليه بتاتا.

كابوس الخيبات يلاحق الآتزوري

والنزول إلى المستوى الثاني في النسخة الأولى من دوري الأمم الأوروبية يترافق مع عواقب تتجاوز الكبرياء، إذ أنه يضع إيطاليا أمام احتمال مواجهة منتخبات كبرى في التصفيات المؤهلة لكأس أوروبا 2020 أو كأس العالم 2022.

ويواجه المدرب الجديد مانشيني منذ توليه مقاليد المنتخب الإيطالي انتقادات لاذعة بسبب النتائج المخيبة للآمال التي حققها الإيطاليون في خمس مباريات تحت قيادته، حيث لم ينجح في تحقيق الفوز سوى في مباراة واحدة أمام السعودية، بينما خسر في مباراتين أمام فرنسا والبرتغال وتعادل في مثلهما أمام بولندا وهولندا.

ورغم أن مانشيني تولى القيادة الفنية منذ فترة قليلة، إلا أن هوية المنتخب الإيطالي، وفق العديد من المتابعين، يبدو أنها في طريقها للضياع، بعدما فشل المدير الفني في إظهار بصماته خلال كل المباريات الودية التي تسبق الاستحقاقات الرسمية وخاصة الأوروبية ، ولم يقدم المنتخب ككل ما يشفع له ويُظهر أنه في طريق العودة إلى منصات المجد كسابق عهده.

وفي السابق كان "الآتزوري" معروف بكونه يمتلك أقوى الخطوط الدفاعية، وكان ذلك سببا رئيسيا في فوز الفريق بكأس العالم عام 2006، إلا أنه مع مانشيني بات من أكثر الخطوط ضعفا في الفترة الأخيرة، فخلال الـ5 مباريات التي خاضها استقبلت شباكه 7 أهداف وهو معدل كبير مقارنة بتاريخه.

ويحذر العديد من الخبراء الرياضيين من أن الهوية الدفاعية لمنتخب إيطاليا باتت مهددة بالفشل في ظل عدم قدرة العناصر الموجودة حاليا على سد الفجوة التي يعاني منها الفريق، سواء النجوم الكبار الذين باتت أعمارهم مرتفعة أو الشباب الذين يفتقدون للخبرة.

ورغم أن مانشيني لا يتحمّل وحده مسؤولية التراجع الكبير في أداء "الآتزوري"، إلا أنه يتحمل جزءا منها، خاصة في ظل عدم ثباته على تشكيلة موحدة، وإجراء العديد من التغييرات في كل مباراة، وهو ما يُضعف من شكل الفريق.

وعرف المنتخب صاحب الكؤوس العالمية الأربع في السنوات الأخيرة تراجعا كبيرا في أدائه، وكل ذلك أكده غيابه لأول مرة منذ 60 عاما عن المونديال بعجزه عن الترشح لمونديال روسيا 2018 بعد أن منى بخيبة كبرى حين تعادل سلبا مع ضيفه السويدي في إياب الملحق الأوروبي الفاصل المؤهل لمونديال موسكو.

دع الحاضر يستذكر التاريخ

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ حدّث التاريخ الكروي العالمي، فقال إن هناك أساطير كتبوا أسماءهم بأحرف من ذهب، لقد تركوا إرثا عظيما لا أحد قادر أن يمحوه، هناك دون شك مارادونا وثمة بلا ريب بيليه، لقد شكّلا الثنائي الأكثر إثارة في زمن الكرة المجيد.

وتتالت بعد ذلك الأسماء، لقد سطع أكثر من نجم في السماء. لاعبون كثر للغاية تركوا أيضا إرثا خالدا، مرّت السنون سريعا، والقائمة تظم "عظماء" أعطوا الكثير للكرة العالمية، ربما آخرهم ميسي ورونالدو في الوقت الراهن، لكن قطعا فإن القائمة لن تغلق أبدا طالما هناك مكان يتسع لكل متألق وجهبذ.

كل هذا الحديث ليس إلا مقدمة لكلام مستفيض عن نجم لا يشقّ له غبار، نجم شقّ الطريق بسرعة الضوء، بات اليوم رغم صغر سنه، حيث لم يبلغ بعد سن العشرين، واحدا من أفضل اللاعبين في كوكبنا وأحد المرشحين لنيل جائزة الأفضل في العالم.

حديثنا يخص الفرنسي الواعد المبهر كيليان مبابي الذي يبدو اليوم وبكل بساطة بصدد إعادة صياغة التاريخ بفضل ما قدمه في حيّز زمني للغاية. لقد اختصر كل المسافات، وبهذا الحاضر الموغل في النجاح استحضر فصول نجاحات أسطورية لمن سبقوه، بل إن حاضره استذكر التاريخ وجعله واقعا مقضيا.

مبابي لا يشبه ميسي ولن يكون يوما ما نسخة جديدة لرونالدو. مبابي يختلف عن كل النجوم الآخرين الذين يرتعون بكل براعة وتألق عالمي لافت في هذا الزمان. مبابي يبدو أنه بصدد تقديم نفسه كأحد نجوم ذلك الزمن القديم الذي كان ميزته الأساسية البريق الأخّاذ الساحر لـ"فلتات" الكرة.

صياغة مبابي للسيرورة الكروية واستذكاره التاريخ بدأ يتجسدان شيئا فشيئا، وبدأ الأمر يتضح رويدا رويدا، ففي موسمين ونيف قدم نفسه وأثبت للعالم أنه لاعب استثنائي كأنه بيليه يبعث من جديد.

دعنا عندما نتحدث عن هذا اللاعب نبدأ من الحلقة الأخيرة لشريط الإنجازات العديدة لنجم باريس سان جرمان، فذات سهرة كروية ودية جمعت منذ أيام قليلة المنتخب الفرنسي بنظيره الأيسلندي، برز مبابي كأنه ملاك حارس قادم من السماء لينقذ المنتخب المتوج خلال الصائفة الماضية بكأس العالم من هزيمة مخجلة.

لقد غيّر مسار المباراة بلمح البصر، كان المنتخب الفرنسي متأخرا في النتيجة بهدفين، لكن مبابي أعاد الأمور إلى نصابها بفضل لمحاته المتفردة ولمساته الساحرة، فعدّل الكفّتين ببراعة مدهشة جعلت الصحف الفرنسية تتغنى مجددا بهذا الفتى الموهوب.

وقبل ذلك تمكن مبابي من تقديم نفسه مجددا مع فريقه الباريسي كأفضل ما يكون سواء في منافسات الدوري المحلي أو في دوري الأبطال، لقد سجل إلى حد الآن ثمانية أهداف. أما في دوري الأبطال فقد ترك بصمته في مباراتين متتاليين، سجل ضد ليفربول وكرّر الأمر ذاته ضد فريق زفيزدا الصربي أو ما يعرف سابقا بالنجم الأحمر ببلغراد.

ربما ما حققه في بداية هذا الموسم لا يبدو كافيا كي يبرهن نجاحه في استحضار "روح" بيليه على الملاعب اليوم، ولذلك من المنطقي والبديهي العودة خطوات قليلة إلى الوراء.

خطوات تعيد عقارب الساعة إلى الحدث الكروي الأبرز الذي أقيم منذ حوالي ثلاثة أشهر في روسيا، ففي تلك الحقبة أعاد مبابي كتابة التاريخ. لقد قاد منتخب بلاده للحصول على التاج العالمي بفضل أهدافه المميّزة وعطائه الغزير.

لقد دخل بقوة نادي الأساطير والعظماء، تجاوز بهذا الإنجاز عباقرة هذا الزمان، فلا ميسي ولا رونالدو ولا نيمار تمكنوا من الظفر بالتاج، وحتى زيدان لم يحقق الإنجاز، زيدان قاد فعلا فرنسا للحصول على كأس العالم، لكنه لم يكن فتى يافعا مثل مبابي صاحب الـ19 ربيعا.

فقط بيليه سبق مبابي، بيليه في الزمن الغابر رفع الكأس العالمية عاليا وهو في الـ17 من عمره، يأتي بعد ذلك مبابي الذي ولد من يومه "عظيما".

بالأمس القريب تصدرت صورة مبابي غلاف مجلة "التايم" الأميركية لتكون على واجهة غلافها، لقد اختارته لكونه رائد "الجيل الجديد" وأحد أبرز وأشهر نجوم كرة القدم في الوقت الحاضر.

مبابي أجرى حوارا مطولا مع هذه المجلة، ولعل أبرز ما جاء فيه قوله "أنا أعمل بنصيحة قدمتها لي والدتي، وهي أنه إذا ما أردت أن تكون لاعبا عظيما عليك أولا أن تكون رجلا عظيما".

وقال أيضا إن التواضع والاحترام والوضوح هي معايير وسرّ شهرته، ولعل هذه الوصفة جعلته اليوم يصنف ضمن أقوى اللاعبين وأوفرهم حظا كي يسحب البساط من تحت أقدام الجميع. فمبابي يتمتع بأسبقية السن. وهو اليوم أصغر بحوالي عشر سنوات من ميسي وأكثر من عشرة أعوام من رونالدو. هو اليوم مشروع "ماكينة أهداف" لا تهدأ ولا تصدأ.

هو أكثرهم تقاربا في مسيرته مع بيليه، فالحاضر الذي استذكر التاريخ قد يمتد لسنوات طويلة، سنوات سيسطع خلالها نجم مبابي أكثر وأكثر وقد يتوج خلالها بألقاب عديدة.

مبابي الذي ولد ليكون نجما أسطوريا وتاريخيا، خطف كل الأضواء وحطم كل الأرقام القياسية. فهو اللاعب الأصغر سنا على مرّ التاريخ الذي ينتقل من فريق إلى آخر بصفقة ناهزت 180 مليون يورو. ربما هذا الأمر يبدو من الأسباب التي تؤكد أن النجم الفرنسي الأسمر لم يكتف باستذكار التاريخ، بل هو بصدد صياغة الحاضر وكتابة المستقبل.

تييري هنري يعود إلى موناكو مدربا

❏ **باريس** – أعلن نادي موناكو الفرنسي السبت، أنه عيّن المهاجم الدولي السابق تييري هنري مدربا له خلفا للبرتغالي ليوناردو جارديم بعقد يمتد حتى يونيو 2021.

ولم يكن خبر التعاقد مع ابن الـ41 عاما مفاجئا، إذ سبق لصحيفة "ليكيب" الرياضية أن كشفت مساء الجمعة أن هنري سيعود إلى موناكو، الفريق الذي أطلقه إلى النجومية، من أجل الإشراف عليه بعقد لثلاثة أعوام، مشيرة إلى أن هنري "سيترك بلجيكا السبت من أجل السفر إلى الإمارة الفرنسية، حيث سيتم الإعلان رسميا عن التعاقد معه لثلاثة أعوام، على أن يتم تقديمه الاثنين".

وجاء التأكيد السبت من موناكو الذي قال في بيان "تييري هنري (41 عاما) سيستلم مهمة قيادة الفريق اعتبارا من الاثنين".

وسيكون موناكو أول اختبار جدي لهنري كمدير فني بعد أن عمل منذ 2016 كمساعد للمدرب الإسباني روبرتو مارتينيز في منتخب بلجيكا، علما وأن أسطورة أرسنال الإنكليزي رفض في أغسطس الماضي عرضا للإشراف على النادي الفرنسي الآخر بوردو.

وظهر هنري للمرة الأخيرة مع المنتخب البلجيكي مساء الجمعة في المباراة التي فاز فيها على سويسرا (2–1) في دوري الأمم الأوروبية، وبقي بعد المباراة على أرضية الملعب من أجل وداع اللاعبين الذين بدا التأثر عليهم.

وحتى قبل الإعلان عن تركه منصبه مع "الشياطين الحمر" من أجل استلام الإشراف على فريق بداياته، أشاد مارتينيز بمساعده الفرنسي بعد مباراة الجمعة، مشيرا إلى أن "تييري حمل معه كل الخبرة التي كسبها، هو عرف كيف يكسب تقدير المجموعة، وهو يملك القدرة على أن يصبح مدرّبا عظيما، وهذا الأمر سيحصل سريعا".

ويعود هنري إلى الفريق الذي بدأ فيه مسيرته الاحترافية عام 1994 وبقي في صفوفه حتى 1999 وأحرز معه لقب الدوري المحلي (1997)، وسيعاونه في مهامه الجديدة البرتغالي جواو كارلوس فالادو ترالياو القادم بنفيكا، والأيرلندي باتريك كوامي إمبادو القادم من أرسنال. ولم يفز موناكو سوى بمباراة واحدة هذا الموسم في المرحلة الأولى من الدوري ضد نانت، وخسر آخر أربع مباريات له في جميع المسابقات، وهو يعيش سلسلة سيّئة لم يحقق فيها أي فوز في 10 مباريات منذ 11 أغسطس الماضي.

عقد لثلاثة أعوام

نوبل البديلة للآداب تمنح جائزتها لمؤلفة خيال تاريخي

حصلت الكاتبة الفرنسية ماريز كوندي على جائزة نوبل للآداب البديلة، التي تأسست بمبادرة من بعض المثقفين والناشرين السويديين، إثر توقف منح جائزة نوبل الأصلية للآداب هذا العام بسبب الفضيحة الجنسية التي طالت زوج إحدى أعضاء لجنة التحكيم ماتارينا فروستسون، وأدت إلى استقالة عدد من أعضاء لجنة التحكيم الآخرين.

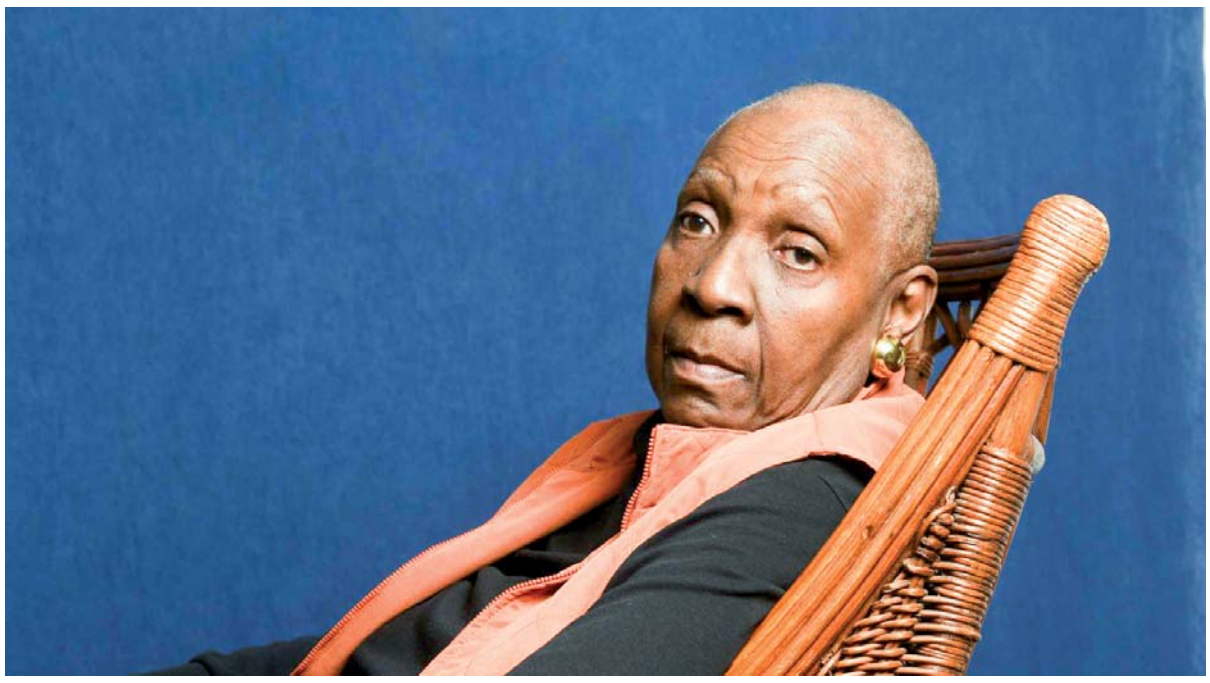

ماريز كوندي تفوز بجائزة استثنائية في سنة استثنائية

❏ **ستوكهولم** – فازت ماريز كوندي الروائية والمؤلفة القادمة من منطقة غوادلوب الفرنسية والمتخصصة في مجال الخيال التاريخي بجائزة تحل محل نوبل للآداب، والمسندة من قبل "الأكاديمية الجديدة".

وولدت الكاتبة المتوجة بالجائزة الجديدة في 1937 في بوانت-بيتري، في عائلة مكونة من ثمانية أطفال، وفي سن السادسة عشرة غادرت غوادلوب لمواصلة دراستها بباريس، فحصلت على شهادة الإجازة في الأدب من جامعة السوربون في عام 1960، ثم تزوجت مامادو كوندي الممثل الغيني المعروف الذي لعب دور أرشيبالد في مسرحية "الزنوج". وبعد ذلك تركت باريس متوجهة إلى أفريقيا، حيث درست لمدة اثني عشر عاما في المدارس الثانوية بغينيا وغانا ونيجيريا والسنغال.

وكتبت كوندي عددا من المسرحيات والدراسات عن الأدب الكاريبي، وبالموازاة مع ذلك أعدت أطروحة دكتوراه في الأدب المقارن بجامعة السوربون بعنوان "الصورة النمطية عن السود في الأدب الكاريبي" ثم اشتغلت مدرسة بجامعة باريس.

وفي العام 1976 بدأت كتابة الرواية، ونشرت روايتين استوحتهما من تجاربها في أفريقيا "حريماخونون" (1976) و"موسم في ريهاتا" (1981)، أما روايتها الثالثة، فكانت "سيغو"، وهي عمل من جزأين "أسوار الأرض" (1984)، و"الأرض المشتتة" (1985) التي حققت بها نجاحا وانتشارا كبيرا كما ترجمت إلى اثنتي عشرة لغة، وكانت "سيغو" خاتمة أعمالها عن أفريقيا.

دعيت ماريز كوندي للتدريس في الولايات المتحدة في عام 1985، وأسست مركز الدراسات الفرنسية والفرنكوفونية في جامعة كولومبيا.

وفي العام 1986 عادت إلى غوادلوب التي ألهمتها روايات بديعة مثل "حياة خسيس" (1987) و"عبور القرم" (1989) ومن العام 2004 إلى العام 2008 ترأست لجنة "ذاكرة الرق"، كما كان كتابها "أطعمة وعجائب" ضمن اللائحة القصيرة لجائزة بوكر 2015.

وحصلت ماريز كوندي على جوائز أدبية كبرى كرمت أدبها الإنساني وعمقها الأدبي والجمالي.

وفي بادرة غير مألوفة في عالم النخب الثقافية والفكرية، أعلنت "أكاديمية جديدة" تتألف من مجموعة من الكتاب والممثلين والموسيقيين عن جائزة في مجال الأدب تحل محل نوبل. واختارت الهيئة قائمة من 47 مؤلفا، ثم قائمة مختصرة تضم ثلاثة مؤلفين في تصفيات نهائية، وهم المؤلفة الفيتنامية الكندية كيم ثوي، والمؤلف البريطاني الأميركي نيل جايمان، والكاتبة ماريز كوندي من منطقة غوادلوب الفرنسية.

وتشكلت المنظمة كنوع من الاحتجاج ولملء الفراغ بعد أن أعلنت الأكاديمية السويدية في مايو الماضي أنها لن تمنح جائزة نوبل في الآداب، وذلك للمرة الأولى منذ سبعين عاما.

وتتخبط الأكاديمية السويدية في أزمة كبيرة كانت آخر تجلياتها الاستغناء عن خدمات الأمينة الدائمة للهيئة بفعل الشرخ بين الأعضاء إثر الاتهامات بالتحرش الجنسي في حق مفكر متزوج من امرأة عضو في المؤسسة.

ويدور الخلاف حول مزاعم عدة نساء بالاعتداء الجنسي والتحرش بحق جان كلود أرنو، وهو مصور وشخصية ثقافية شهيرة في السويد وزوج الشاعرة كاتارينا فروستنسون عضو الأكاديمية.

وقد أدى نشر هذه الشهادات إلى خلاف عميق بين أعضاء الأكاديمية الـ18 حول طريقة التعامل مع هذه القضية، واختار ستة منهم الاستقالة من بينهم الأمينة الدائمة للأكاديمية سارة دانيوس. ويتمتع الأكاديميون بعضوية دائمة وهم غير مخولين الاستقالة من حيث المبدأ، لكن في إمكانهم ترك مقاعدهم في الهيئة شاغرة.

صباح العرب

عدلي صادق

التعذيب بالموسيقى

❏ كنا دائما، في اعتقالنا المديد، نطالب بتحسين شروط حياتنا، فلا يُستجاب لبعض ما نريد إلا بالإضراب عن الطعام. يُلبّى الأمر الثانوي ويتعثر الأساسي. في ذات واقعة، كان من بين ما نريد، أن نستمع إلى بعض الموسيقى، لكي يطغى صوتٌ عذبٌ على ضجيج السجن في النهار، وجاءت التلبية بإحضار عشرة أشرطة جديدة، مُنتقاة، لمشاهير المطربين والمطربات، وبدأت ميكروفونات العنابر تحمل إلينا النغم من غرفة الضابط المناوب!

كأنما السجّانون قد أخذوا علما بما يقرره علم النفس، بخصوص إمكانية تحويل الموسيقى إلى وسيلة تعذيب. فالموسيقى في الأصل، ذات تأثير في كيمياء المُخ، لا سيما في مستويات تردّدها وتكرارها وتفاوت طبقاتها، ناهيك عن المعاني المختارة لفحوى الأغنيات.

وقرأنا أن مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي "أف.بي.آي" هو أول من اشتق لنفسه فكرة التعذيب بالموسيقى. لكنّ حاملي المفاتيح في سجننا اتبعوا وسيلة أعتى، لكي تنقلب تلبية الطلب إلى عبء على حاسة السمع وعلى نبضات القلب، وتُحيل الأغنية العذبة إلى سوط عذاب. كانت أولى التكتيكات هي تدوير الشريط نفسه حتى يَبلى أو يتقطع. وذريعة السجان هي انشغالاته، فلا وقت عنده لتغيير الشريط لزوم ترفنا.

كانت "قارئة الفنجان" جديدة وبدأوا بها. تلقيناها ابتداء بترحاب، مستمتعين بمذاق موسيقى محمد الموجي، وهي ذات نكهة خاصة. ومع التكرار، كان وقع الموسيقى يغطس، وتطفو معاني التشاؤم والقدرية البائسة في قصيدة نزار. معتنقو الماركسية تقبلوا الموضوع شكلا في البداية، لكنهم رفضوا المضمون وأداروا حديثا عن اليائس الذي لجأ إلى قارئة فنجان، ودخلنا في مسألة ما وراء الطبيعة والوجود المادي. بعدئذ، ومع التكرار نفسه، تأفف المؤمنون والقدريون. وساعدت بعض المقاطع على مفاقمة التبرّم، وأقلها شؤما تلك التي يقول فيها عبدالحليم "وسترجع يوما يا ولدي، مهزوما مكسور الوجدان، وستعرف بعد رحيل العمر، بأنك كنت تطارد خيط دخان"!.

لم تعد لنا حاجة للأغنية، فلماذا ننهزم وكيف نطارد خيط دخان؟ كان الجواب هو البدء من جديد "جَلَستْ والخوف بعينيها..". وكلما انتهى موضوع السيدة القارئة، نعود إلى سماع الحكاية نفسها. فقد جلست مرة أخرى، وستجلس مرارا.

طالبنا من جديد بتحسين شروط حياتنا. وفي اللقاء مع مدير السجن، أصبحت الموسيقى التي انقلبت وظيفتها، موضوعا رئيسا، بدأ به رفيق طريف. قال لمدير السجن "جَلَستْ.. جَلَستْ.. جَلَستْ" نريدها أن تقف مرة، أن تتحرك، أن تخرج وأن تتنفس!

كانت الأغنية، بمعايير الجودة، عملا فنيا بديعا، لكن موضوعها في ظروفنا، لم يكن صالحا للتسرية عن القلوب، وإن كان -ربما- يتنبّأ بالآتي!

دفن الموتى عصي على فقراء فنزويلا

❏ **ماراكايبو (فنزويلا)** – بقيت جثة وينسيسلاو لثلاثة أيام على سريره حتى لفت رائحة اهترائها الحي برمّته، وذلك لعدم امتلاك أفراد عائلته الموارد اللازمة لدفنه شأنهم في ذلك شأن فنزويليين كثيرين تحوّلت إجراءات مواراة موتاهم الثرى كابوسا لهم.

ومثل هذه القصص ليست نادرة في فنزويلا التي بات فقراؤها الآخذة أعدادهم في الازدياد عاجزين عن تكبّد تكاليف الدفن اللائق لأحبائهم المتوفين مع استفحال الأزمة الاقتصادية في البلاد.

وتوفي لوينسيسلاو الفاريز (78 عاما) في 4 أكتوبر في حي فقير في مدينة ماراكايبو (غرب) بولاية زوليا.

وقد حاولت ابنته ليساندرا طلب المساعدة لتغطية تكاليف الدفن، غير أن مساعيها باءت بالفشل، وهي التي شهدت على تحلل جثة والدها الذي أصبح مقعدا قبل عام بسبب انسداد في الأوعية الدموية، وقد تعذر علاجه على مدى خمسة أشهر من مرض الجدري بسبب النقص الكبير في الأدوية.

وتقول العاملة في مصبغة إن "الجثة كانت قيد التحلل، رائحة المنزل كانت كريهة للغاية، لم أعرف كيف أنظفه".

وبعد ثلاثة أيام، قدمت بلدية مجاورة النعش للعائلة فيما كانت الرائحة النتنة للجثة المهترئة على السرير المضرج بالدماء تصل إلى الناحية المقابلة من الحي.

وبعدما طلبت عبثا المساعدة من السلطات، انتهى الأمر بعائلة أندر براتشو المقيمة أيضا في ماراكايبو إلى إنشاء حفرة في باحة المنزل لدفنه. وكان قد مرت 24 ساعة على وفاة الرجل الثلاثيني جراء تسمم في الدم ناجم بحسب أقربائه عن النقص في المضادات الحيوية، وقبل الوفاة، كان هذا المعماري البالغ 39 عاما أشبه بالجثة، بوجهه المجوف وضلوعه الظاهرة.

وتعود هذه المآسي كلها إلى الأزمة الاقتصادية التي تضرب فنزويلا ما يتسبب بنقص كبير في المواد الأساسية، وتضخم ارتفعت نسبته إلى حدودها القصوى، بحسب صندوق النقد الدولي.

ميلانيا ترامب لا تهتم بمغامرات زوجها الجنسية

❏ **واشنطن** – تحدّثت ميلانيا ترامب لأول مرة عن الاتهامات الجنسية التي تطارد زوجها دونالد ترامب في الإعلام، خاصة بعد إصدار الممثلة الإباحية ستورمي دانيلز، كتابا يتناول ماضي الرئيس.

وأفادت ميلانيا خلال مقابلة مع قناة "إي.بي.سي نيوز"، أنها لا تهتم بما ينشره الإعلام عن علاقة زوجها بالممثلة الإباحية، وأضافت أن الأمر لا يعنيها، مؤكدة أن أمورا أكثر أهمية بكثير تشغل بالها.

وأشارت إلى أن الإعلام يضخّم الأمور ويحاول الترويج لأشياء من هذا القبيل، حتى يحصل على إعلانات، لكن السيدة الأولى أقرّت بأن الأمر يكون مزعجا في بعض الأحيان.

وأكدت ميلانيا أنها تحب الرئيس الأميركي على الرغم ممّا يشاع عن كونه رجلا ذا سجل طويل من المغامرات الجنسية، وفق ما نقلت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية.

وفي حديثها عن حركة "مي تو" (أنا أيضا) المناهضة للتحرش الجنسي، قالت ميلانيا إن من يوجّهن التهم مطالبات بتقديم الأدلة، وعدم الاكتفاء بادعاء التعرض لاعتداء، لا سيما أن الإعلام يواكب هذه القصص بانتباه شديد.

وتابعت "أنا أؤيد النساء، وهن بحاجة إلى الاستماع إليهن.. نحن بحاجة لدعمهن، وكذلك الرجال، وليس النساء فقط".

وكانت دانيالز قد ادعت أنها مارست الجنس مع ترامب خلال دورة لألعاب الغولف على بحيرة تاهو بكاليفورنيا في العام 2006، وهو ما نفاه ترامب، لكنه اعترف بتعويض محاميه السابق مايكل كوهين، عن مبلغ تم دفعه لنجمة الأفلام الإباحية، بموجب اتفاق سرّي قبل الانتخابات الأميركية.

«فانكي جروف» يعيد الديسكو إلى هافانا

❏ **هافانا** – في إطار مشروع موسيقي يحافظ على عدم فناء كلاسيكيات الديسكو، على الأقل في كوبا، يقوم مغنون بالغناء على الألحان الموسيقية تحت أضواء كاشفة وردية، حيث تظهر المغنيات في فساتين قصيرة لامعة والمغنون وهم يرتدون سراويل طبعت عليها أشكال زهور، ويتراقصون مع الغناء على أنغام الموسيقى.

و"فانكي جروف" هو مشروع يجري تنفيذه في العاصمة الكوبية هافانا، ويقدم مغنين يؤدون عروضا مباشرة لكلاسيكيات الديسكو، وقد أطلق الألماني، بيرند هيرمان، المشروع بالاستعانة بمجموعة كبيرة من التسجيلات الموسيقية.

وإلى جانب مجموعة من الفنانين الكوبيين، فإن هيرمان البالغ من العمر 56 عاما، هو المسؤول عن اختيار مطربي العروض المباشرة، الذين يغنون على أنغام ألحان موسيقية تم عزفها وتسجيلها دون غناء، وموجودة على الجانب "ب" من أسطوانات تسجيلاته.

ويشار إلى أنه بعد وصول فيدل كاسترو إلى الحكم، تم فرض رقابة على بعض أنواع الموسيقى في كوبا خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، ويتزامن ذلك مع حدوث ازدهار لموسيقى الديسكو في أنحاء العالم، والتي لم يصل الكثير منها إلى آذان الكوبيين العاديين، على الإطلاق.